

العُرُوقِةُ وَالْإِسْلَامُ فِي دَارْفُورُ فِي الْعَصُورِ الْوَسْطَى

دكتور
رَجَبُ مُحَمَّدِ عَبْدِ الْحَلِيمِ

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

دار الثقافة للنشر والتوزيع
٢٠٠٥ سنة صيف الدين الهادي - الفيحاء
ت : ٩٠٤٦٩٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

الى الشعب السودانى الشقيق اهدى هذا الكتاب ، تعبيراً عن
روابط الاخوة والمصير الواحد والدم المشترك الذى يجرى فى عروقنا
مزوجاً بـمياه النيل التى تهب الحياة لأبناء الرادى فى شماله وجنوبه ،
وتجعلهم كالغصون فى دوحة واحدة تسقى بماء واحد .

المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحديث في هذا الكتاب هو حديث العروبة والاسلام في دارفور في العصور الوسطى ، تلك العصور التي انتهت بعد قيام سلطنة الفور الاسلامية في هذا الاقليم بقليل ، وذلك حسب تقسيم الغربيين لعصور التاريخ . ولم يكن قيام هذه السلطنة في الواقع الا نتويجا لحركة انتشار الاسلام وازدياد الطابع العربي لهذا الاقليم ، نتيجة لتدفق قبائل عربية عديدة عليه في القرون الثلاثة الاخيرة من العصور الوسطى .

ومع ذلك فان اخبار هذه الهجرات واخبار انتشار الاسلام في دارفور نادرة ويلفها الغموض ، وانعكس هذا الامر على تاريخ هذا الاقليم ، فلم يتعرض له احد بالحديث عن تاريخه العربي والاسلامي فيها قبل القرن السادس عشر او السابع عشر للميلاد . وعلى ذلك فان هناك نقصا شديدا يكاد يصل الى حد العدم بالنسبة لتاريخ العروبة والاسلام في دارفور في العصور الوسطى وقبل قيام سلطنة دارفور الاسلامية قرب نهاية هذه العصور .

وكان من اهدافنا في هذا الكتاب ازالة هذا الغموض ، وسد ذلك النقص الذي تعرض له تاريخ هذا الاقليم قبل قيام السلطنة الاسلامية فيه ، وذلك بالبقاء الضوء على تاريخ هجرات العرب اليه ، على تاريخ انتشار الاسلام والثقافة الاسلامية فيه ، لنعرف مدى تغلغل العروبة والاسلام بين سكانه ، ولنعرف ايضا مدى ارتباط هذا الاقليم الواسع بالمحيط العربي والاسلامي العام في العصور الوسطى ، واثر ذلك في انفعاله بالعروبة والاسلام في تلك العصور ، هذا الانفعال الذي

أدى - وكما سنرى - الى تأكيد عرويته واسلامه ، وادى فيما أدى الى قيام سلطنة اسلامية عربية كانت هى الفصل الختامى فى الجهود التى بذلتها القبائل العربية فى اضافة صفة العروبة والاسلام على هذا الاقليم الهام من اقاليم السودان الشقيق .

أما هذا الغموض وذلك النقص الذى اشرنا اليه وأدى الى جهالة شبه كاملة بالتاريخ العربى والاسلامى لهذا الاقليم الهام قبل قيام سلطنة دارفور الاسلامية قرب نهاية العصور الوسطى ، فإنه يعود الى عوامل عديدة . من هذه العوامل أن بعض الكتاب والمؤرخين يربطون بين انتشار العروبة والاسلام فى بلاد السودان عامة ومنها دارفور ، وبين قيام الدولة العربية الاسلامية فى هذه البلاد ، فلا يرون أن الاسلام والعروبة انتشرا فى ملكة مقرة ببلاد النوبة على سبيل المثال الا بعد قيام دولة بنى كنز الاسلامية فى عام ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م على انقاض ملكة مقرة المسيحية (١) .

بالنسبة لدار فور فانهم بالتالى لا يرون انتشار العروبة والاسلام فيها الا بعد قيام سلطنة دارفور الاسلامية والتى اختلفوا فى زمن قيامها اختلافا عظيما . فبعضهم - كما سنرى - جعل قيامها قرب منتصف القرن الخامس عشر للميلاد ، وآخرون جعلوا ذلك قرب منتصف القرن السادس عشر ، وغيرهم جعلوا ذلك قرب نهاية القرن السابع عشر .

ومعنى ذلك أن انتشار العروبة والاسلام فى دارفور لم يبدأ

(١) محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الافريقية ، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة سنة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥ ، ص ٣١٠

وعن قيام وتاريخ دولة بنى كنز ، انظر الدراسة القيمة التى قام بها الدكتور عطية القوصى باسم « تاريخ دولة الكنوز الاسلامية » دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية سنة ١٩٨١ م .

فى نظرهم الامع قيام هذه السلطنة او حتى بعد قيامها ، فهو انتشار
لا يرجع عندهم لآكثر من ثلاثة قرون ونصف ان لم يكن اقل ، وهم فى
ذلك يخلطون بين العروبة والسباسة خلطا شديدا . وقد دعتهم هذه
النظرة غير الواقعية بالنسبة لدارفور والسودان بصفة عامة الى انهم لم
يكلفوا انفسهم مشقة البحث عن تاريخ انتشار العروبة والاسلام فى
هذه البلاد قبل قيام السلطنة الاسلامية فيها ، سواء كانت هذه
السلطنة قرب منتصف القرن الخامس عشر او بعد منتصف القرن
السابع عشر .

وبطبيعة الحال فان العناصر الاساسية للعروبة هى النسب العربى
واللغة العربية ، ولا علاقة لهذين العنصرين بقيام حكومة اسلامية بالمعنى
المعروف ، سواء فى دارفور خاصة او فى بلاد السودان عامة .
فقد عاشت فى هذه البلاد جماعات عربية مسلحة خضعت للنظام القبلى
وعاشت فى ظل الدولة المسيحية فى بلاد النوبة وكذلك فى دارفور الوثنية ،
وذلك قبل ان تقوم فى هذه البلاد جميعها ممالك اسلامية . ولم تقم
هذه القبائل العربية المسلمة بالتوسع فى هذه الممالك والاستحواز
على السلطة فيها وتحويلها نهائيا الى الاسلام الا بعد ان تهيات الظروف
واشتد ساعد الهجرات العربية فى العصور الوسطى .

اذن فتاريخ العروبة والاسلام فى دارفور قديم وسابق على قيام
سلطنة دارفور الاسلامية ، وكان لزاما علينا ان ندلى بدلونا فى هذا
التاريخ ، حتى نبين للناس الجذور الضاربة للعروبة والاسلام فى هذا
الاقليم الهام .

وهن الاسباب الاخرى التى ادت الى عدم وجود تاريخ للعروبة
والاسلام فى دارفور فى العصور الوسطى ، هو عدم وصول احد
من الرحالة المسلمين اليها فى تلك العصور ، ومن ذهب منهم الى بلاد
النوبة او السودان النيلى وتوغلوا فيه الى مسافات بعيدة مشاطين

لنهر النيل ، ضاعت كتبهم ولم يصلنا منها الا فقرات قليلة واشارات خاطفة لا تسمن ولا تغنى من جوع ، وردت فى بعض الكتب الأخرى التى نقل فيها أصحابها هذه الاشارات .

وعلى سبيل المثال ، فالرحالة المعروف باسم ابن سليم الاسوانى الذى عاش فى القرن الثالث للهجرة / التاسع للميلاد زار السودان وتوغل فيه وألف كتابا يسمى « كتاب تاريخ النوبة والمقرة وعلوة والبجة والنيل » ولكن هذا الكتاب ضاع ولم يعثر عليه حتى الآن ، وان كانت فقرات منه قد إردت عند المقريزى الذى نقل عنه نص معاهدة البقط (٢) وغيرها من اخبار السودان التى لا تشير من قريب أو بعيد الى دارفور ، وذلك بسبب بعدها عن مجرى نهر النيل الذى كان دليل المسافرين أو الرحالة الذين حاولوا اكتشاف هذه البلدان .

وكذلك الحال بالنسبة لرحالة آخر هو الحسن بن محمد المهلبى الذى قام برحلة طويلة فى السودان بتكليف من الخليفة العزيز بالله الفاطمى (٣٦٥ - ٣٨٦ هـ / ٩٧٥ - ٩٩٦ م) ، وألف له فى عام ٣٧٥ هـ / ١٩٨٥م كتابا فى الطرق والمسالك تحدث فيه عما رآه وشاهده فى بلاد السودان ومناجم النيل . وقد ضاع هذا الكتاب هو الآخر ولم يبق منه الا فقرات قليلة اقتبسها بعض المؤرخين مثل باقوت الحسوى والقلقشندى وأبى الفدا (٣) . وفى هذه الفقرات لا نجد أيضا ذكرا لدارفور .

وقد أدى هذا الأمر الى حرمان السودان عامة ودارفور خاصة

(٢) محمد عوض محمد : نفس المرجع ، ص ١١٣ ، وانظر أيضا هامش (٢) بنفس الصفحة .

(٣) عطية القوصى : محاولة العرب والمسلمين كشف منابع النيل فى القرن الأولى للإسلام ، بحث فى كتاب العرب وأفريقيات : دار الثقافة العربية ، القاهرة سنة ١٩٨٧ ، ص ٥١

من التجربة الشخصية لهؤلاء الجغرافيين والرحالة ، تلك التجربة التي اباطت اللثام عن كثير من جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية للأمصار الاسلامية التي زارها هؤلاء الرحالة او كتب عنها اولئك الجغرافيون . يضاف الى ذلك ان هؤلاء الرحالة سواء ابن سليم الأسواني أو المهلبى لم يثبت ان ابا منيما زار دارفور ، وكل ما عرفناه عن السودان هو مملكة مقرة ومملكة علوة وبلاد البجة .

وقد حاول ابن سليم الأسواني أن يعرف ما وراء هذه الممالك فلم يستطع ، ويقول فى ذلك : « ولقد اكدت فى السؤال عنها - ان عن الأنهار والروافد التى تصب فى نهر النيل وبالذات الروافد التى تأتى من الحبشة - واستكشفتها من قوم عن قوم ، فما وجدت مخبرا يقول انه وقف على نهاية جميع هذه الأنهار ، والذى انتهى اليه علم من عرفنى عن آخرين الى خراب ٠٠٠ وان هذه الروافد وكذا النيل الأبيض ليس له نهاية » (٤) .

وعلى ذلك فان السودان فى نظره لم يكن الا مملكة مقرة ومملكة علوة التى لم تكن حدودها الجنوبية واضحة تماما فى ذهنه ، والتى كانت لا تزيد فى الغالب عن ارض الجزيرة المحصورة بين النيلين الأبيض والأزرق .

وحتى الجغرافيون والرحالة المسلمون الذين أتوا بعد ذلك وتحديثوا عن هجرات القبائل العربية من مصر الى السودان ، فانهم لم يتحدثوا إلا عن الهجرات التى اتجهت الى بلاد مقرة وأوطان البجة ، ولم نعلم ان احدا من هؤلاء الجغرافيين والرحالة تحدث عن هذه الهجرات الى بقية السودان مثل بلاد علوة او بلاد دارفور ، ولم تصلنا أخبار هذه الهجرات الا من مصادر سودانية تتمثل فى اوراق النسبة التى يحتفظ

(٤) المقريزى : الختلط المقرئنة ، مطبعة النيل ، القاهرة ،

بها كثير من الأسر السودانية حتى الآن ، والتي استطاع ماكبايكل ان يجمع معظمها وقام بنشرها فى الجزء الثانى من كتابه المعروف باسم

The history of the Arabs in the sudan

ولم يعوض هذا النقص الشديد فى تدوين تاريخ دارفور فى العصور الوسطى ما كتبه المؤرخون فى العصر الحديث والمعاصر . ذلك ان من كتب منهم كتب عن بلاد النوبة الاسلامية بقسميها وهى بلاد النوبة السفلى التى قامت فيها دولة الكنوز الاسلامية قرب انتهاء الربع الأول من القرن الرابع عشر للميلاد على أنقاض مملكة مقرة المسيحية كما أشرنا ، وبلاد النوبة العليا التى قامت فيها مملكة الفونج الاسلامية على أنقاض مملكة علوة المسيحية فى بداية القرن السادس عشر الميلادى ، ومن تعرض منهم لتاريخ دارفور الاسلامى فانه لم يتناول من هذا التاريخ الا ما ظهر منه بعد قيام سلطنة دارفور الاسلامية على يد سليمان سولون ، أما قبل قيام هذه السلطنة فلم يكتب أحد شيئاً . فالحديث عن دارفور عندهم هو حديث عنها منذ منتصف القرن الخامس عشر أو منتصف القرن السادس عشر أو منتصف القرن السابع عشر حسب التاريخ الذى جعلوه بدءاً لقيام هذه السلطنة .

وحتى الأستاذ الشاطر بصيلى عبد الجليل الذى كنا ننتظر منه أن يكتب لنا عن دارفور بصفته من أهل السودان وتتوافر له امكانيات ربما لا تتوافر عند غيره ممن كتبوا عن السودان من المصريين وغيرهم ، نراه حينما يتحدث عن هجرات العرب الى السودان لا يذكر هجرتهم الى دارفور فى اكثر من صفحة واحدة فى كتابه المعروف باسم « تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط » ، وربما لم يجد الأستاذ الشاطر من المطومات والأخبار ما يساعده على القيام بهذا العمل ، ولذلك فهو

(٥) مصطفى مسعد : امتداد الاسلام والعروبة الى وادى النيل

الأوسط ، المجلة المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٨ ، سنة

يدعو الى الاهتمام بهذا الموضوع الذى تصدينا له والذى كان جديرا ان يقوم به قبل غيره من الناس .

ولهذه الأسباب كلها أصبح البحث فى تاريخ العروبة والاسلام فى دارفور قبل قيام سلطنة دارفور الاسلامية أمرا فى غاية الصعوبة ، وقد بذلنا كل ما استطعنا ، وتلمسنا الأخبار والروايات التى تتعلق بهذا الموضوع من خلال اطلاعنا على كتابات عديدة ، عربية وغير عربية ، تناولت تاريخ السودان بصفة عامة ، واختصت احداها بدراسة لاقليم دارفور فى بداية القرن التاسع عشر الميلادى .

وصاحب هذه الدراسة فى تاريخ دارفور الحديثة هو محمد بن عمر التونسى الذى زار دارفور فى عام ١٨٠٣م ، وعاش فيها حوالى سبع سنوات ونصف السنة ، ألم فيها باحوال البلاد المما تاما وترك لنا كتابا سماه « تشحيد الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان » تحدث فيه عن هذه الأحوال وعن طريق سلاطين الفور المعاصرين له ، معتمدا على رؤيته الشخصية وعلى روايات الثقات من أهل البلاد ، تلك الروايات التى حفظوها جيلا بعد جيل . ولكنه للأسف لم يتعرض لتاريخ دارفور السياسى والثقافى فى الفترة التى حددناها لهذا البحث ، وليس هناك فى كتابه منها الا مجرد اشارات يمكن أن تفيد فى موضوعنا الذى خصصنا له هذه الدراسة .

ومع ذلك فإن كتاب التونسى مصدر هام عن الأحوال العرقية والقبلية والثقافية والسياسية لدارفور فى عصره ، لأنه أول من زودنا بأخبار واقعية موثوق بها عن هذا الاقليم ، ولم يكن لدينا قبل عهده سوى مذكرات قليلة كتبها الرحالة براون **G. Browne** وبارت **Barth** ، وناختيجال **Nachtigal** . وما كتبه هؤلاء الباحثون أيضا عن دارفور وعن العروبة فيها قبل قيام سلطنة دارفور الاسلامية ما هو الا اشارات عابرة ، ولم يتركزوا لنا دراسة وافية أو مفصلة عن هذا الموضوع ، مع انهم كتبوا كثيرا عن اقاليم السودان الأخرى

فى شىء من الاستفاضة ، كما يلاحظ ان ما كتبوه عن بلاد السودان بصفة عامة فى العصور الوسطى تد اضرأا عليه صفة الغموض ، وصبوه رغم قلته فى قالب من التشكك ، سعيا منهم الى طمس التاريخ العربى والاسلامى لهذه البلاد فى تلك العصور ، وحتى يقال بان تاريخ السودان العربى والاسلامى لا يرجع الا لبضع قرون ، وحتى يقال ان جذور العروبة والاسلام فيه غير ضاربة فى اعماق التاريخ ومن السهل اقتلاعها والقضاء عليها .

وقد حاول من جاء من اخوانهم من المستعمرين ان يقوموا فعلا بهذا العمل ، فعزلوا جنوب السودان عن شماله ، وبدلوا مجهودات جبارة لعزل السودان عامة عن بقية الاسرة العربية وربطه بالثقافة الاوربية حتى يتمكنوا من القضاء على هويته العربية الاسلامية . وقد جنحوا فى ذلك ازلا الى الاساءة الى العرب واتهامهم بتجارة الرقيق وشن الحروب على القبائل ، كما عمدوا الى تخریب البلاد وطمس معالم الحضارة العربية بها (٦) ، ثم تطرقوا بعد ذلك الى التشكك فى عروبة السودان بصفة عامة حتى قال المستر هولت على سبيل المثال بان مجموعة الجعليين الذين ينتشرون فى السودان الشمالى حول ضفاف نهر النيل يعود اجدادهم الاوائل الى اصل نوبى ، وان ما بدعيه الجعليون من انهم من نسل بنى العباس هو نسب منتحل ادعته جماعات حديثة النعمة ، وأنه لا بد ان تفهم بهذا المعنى مزاعم الاسرات الحاكمة فى دارفور من انها تنحدر من اصل عباسى (٧) ، وتطرف احدثهم وقال ان عرب السودان جميعا ما هم الا اجانب وليسوا من أهله فى شىء (٨) .

(٦) الشاطر بصيلى عبد الجليل : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م ، ص ١٦

(٧) دائرة المعارف الاسلامية ، طبعة دار الشعب ، مصر ، بدون

تاريخ ، ج١٢ ، ص ٦٦

(8) Mac Michael : A history of the Arabs in the Sudan, Vol.2. Comridge , 1922, p. 197.

وللاسف فقد تآثر بعض المؤرخين السودانيين بهذه الأقوال حتى قال احدهم أنه وقت عمل احصاء لسكان السودان فى عام ١٩٥٦م ادعى (وتامل كلمة ادعى) ٣٩٪ من مجموع السكان أنهم ينتمون الى قبائل عربية(٩) .

ومع ذلك فقد استطاع بعض الكتاب الآخرين أن يعطونا اخبارا عن دارفور ، وتمكن احدهم وهو ماكمايكل الذى كان ضمن الحملة التى غزت الاقليم فى عام ١٩١٦ وانتهت حكم على دينار(١٠) ، أن يقدم لنا صورة شاملة للمجتمع العربى فى السودان ، ساعده فى ذلك شغله لمنصب السكرتير الادارى فى الخرطوم اثناء الحكم البريطانى .

وقد اتاح له هذا المنصب الذى كان يعادل منصب وكيل وزارة الادارة المحلية فى ذلك الحين فرصة الاتصال المباشر بزعماء القبائل والذوات العربية فى السودان عامة . وقد أفاض له هؤلاء الزعماء بكل ما لديهم من معلومات عن تاريخ العروبة فى السودان ، كما أنه تنقل فى بوادى السودان بحكم منصبه كمفتش للادارة المحلية ، واستطاع ان يرجع عددا من الوثائق وأن يسجل كثيرا من الروايات المحلية التى تتعلق بالاسلام والعروبة فى السودان ، وفى اقليم دارفور بطبيعة الحال (١١) . ولذلك كان اعتمادنا كبيرا على هذا الباحث ، وخاصة فى الحديث عن القبائل العربية فى دارفور .

(٩) مدثر عبد الرحيم : الامبريالية والقومية فى السودان (١٨٩٩ -

١٨٥٦ م) ، دار النهار للنشر ، بيروت ، سنة ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ ، ص ١٤
(10) Arkell : The History of Darfur 1200 - 1700 A. D. (journal of the Sudan Notes and Records, XXX III, part Iv ,1952, p. 268.

(١١) سر الختم عثمان على : العلاقات بين مصر والسودان فى العصور الوسطى بين القرنين الثانى عشر والرابع عشر ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القاهرة ، سنة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ، ص ٢٨١

وعلى ذلك فإن المصادر والمراجع التى تتحدث عن تاريخ العروبة والاسلام فى دارفور فى العصور الوسطى تكاد تكون نادرة ، لما سفناه من اسباب ، ولأسباب أخرى يمكن أن نقول عنها أنها أسباب ذات طابع تاريخى .

ذلك ان كثيرا من القبائل العربية التى هاجرت الى دارفور فى تلك العصور ذابت تدريجيا فى السكان المحليين بحكم الجوار والمصاهرة والاختلاط ، مما أدى الى ضياع أنساب بعض هذه القبائل ، وبالتالي تعذر تدوين تاريخها ومعرفة البلدان التى أتت منها ، وتعذر معرفة دورها على وجه التحديد فى نشر العروبة والاسلام فى هذا الاقليم(١٢) .

كما أن بعضا من القبائل العربية المهاجرة الى دارفور اختلطت ببعضها اثناء اقامتها فى دارفور وفى بلاد السودان بصفة عامة ، ونجم عن ذلك تكتلات قبلية جديدة يتعذر معها معرفة أصولها الأولى(١٣) ، مما أدى الى قلة الكتابة عن هذه القبائل .

وهكذا كانت ندرة المصادر والمراجع التى كتبت عن دارفور فى العصور الوسطى تعتبر تحديا كبيرا لاي كاتب يحاول أن يخوض فى هذا الموضوع . ولذلك كان علينا ان نبذل المزيد من البحث والتنقيب وكان علينا أن نستخدم أسلوب استكشاف ما كان موجودا فى دارفور على ضوء ظروف هذا الاقليم وظروف الأقاليم والبلدان المحيطة به ، ومدى تغلب العروبة والاسلام عليها ، وتأثير ذلك كله على اقليم دارفور قبل أن يصبح ساططة اسلامية على يد سليمان سولون ، لأنه لا يمكن فصل تاريخ هذا الاقليم عن تاريخ هذه البلدان باى حال من الأحوال ، وخاصة فى العصور القديمة والوسطى .

وقد رجعنا فى جمع مادة هذا الكتاب الى العديد من المصادر

(١٢) المرجع السابق ، ص ٢٨٢

(١٣) نفس المرجع ونفس الصفحة .

العربية القديمة ، والمراجع العربية الحديثة ، والى عديد من المراجعين الأجنبية التى أفادتنا كثيرا والتى ترى ثبنا بأسمائها فى نهاية هذا الكتاب ، ومنها استطعنا أن نقدم صورة واضحة بقدر الامكان لهذا الموضوع . فتحدثنا أولا وفى ايجاز عن البيئة الجغرافية لدارفور وعن المتاح معرفته من التاريخ القديم والوسيط لهذا الاقليم وذلك فى الفصل الأول من هذا الكتاب ، ثم تحدثنا بعد ذلك عن هجرات العرب الى دارفور .

وفى هذه النقطة رأينا أن نبدأ بالحديث عن أسباب هذه الهجرات ، ثم عن الجهات التى أتت منها ، والطرق التى سلكتها ، والأزمة التى أتت فيها ، وذلك فى الفصل الثانى . أما الفصل الثالث فقد خصصناه للحديث عن القبائل العربية التى هاجرت الى دارفور ، ومظاهر حياة هذه القبائل وعلاقتها بالسكان المحليين ، وعن مساهماتها فى نشر العروبة فى هذا الاقليم .

أما النقطة المحورية الثانية فى هذا الكتاب والتى استغرقت الفصل الرابع والأخير ، فهى الحديث عن الاسلام وانتشاره بين أهل دارفور ، وعن العوامل التى أدت الى هذا الانتشار ، وما نتج عن هذا الانتشار من قيام سلطنة اسلامية عربية كنتيجة لنجاح حركة التعريب ، وكنتيجة من أهم نتائج انتشار الاسلام فى هذا الاقليم الهام . وختينا حديثنا عن الاسلام فى دارفور بدراسة تبين مظاهر انتشاره ، رهى مظاهر كثيرة دعمها وعمقها وأعطاهها طابع الدوام والاستمرار ، ظهور سلطنة دارفور الاسلامية فى عام ٨٤٨هـ / ١٤٤٥م .

ورغم الجهود التى بذلناها فى هذا الكتاب ، فاننا لا نزعم أننا اتينا بالقول الفصل فى هذا الموضوع الهام ، وما فعلناه ما هو الا محاولة قد تتبعها محاولات فى ضوء ما يكتشف من وثائق أو اثار ، وعلى اية حال فلا كمال الا لله وحده ، وهو من وراء القصد ، وهو يهدينا سواء المسبيل .

رجب محمد عبد الحلیم

الفصل الأول

جغرافية دارفور وتاريخها القديم

الحديث فى هذا الكتاب كما قلنا هو حديث عن هجرات العرب الى دارفور وقيامهم بنشر العروبة والاسلام فيه . ولم يكن قيامهم بهذا العمل التاريخى فى فراغ من الأرض ، أو فى فراغ من الناس ، ذلك أن العرب قدموا الى أرض ذات حدود معروفة ، ولها طبيعتها الخاصة ، ولا قبائلها وسكانها المنتشرون على أرضها ، ولها مواردها الطبيعية وأسلوب حياتها . ولابد أن ذلك مؤثر فى القادمين الجدد من العرب ، ومؤثر فى جهزدهم العربية والاسلامية ، وفى اعطاء هذه الجهود طابعا خاصا يتواءم مع المكان والزمان .

وناثير البيئة على هذا النحو هو تأثير الجغرافيا فى التاريخ وأحداثه ، ولذلك كان لابد من حديث عن جغرافية دارفور لمعرفة مدى تأثيرها فى موضوعنا الذى نقصده فى هذا الكتاب .

جغرافية دارفور :

نقع دارفور فى الجزء الغربى من جمهورية السودان الحالية ، ويمكن أن نعين حدودها على وجه التقريب . فهى تحد حاليا شمالا بخط عرض ١٥ درجة ، وجنوبا بخط عرض ١٠ درجة ، وغربا بخط طول ٢٢ درجة ، وشرقا بخط طول ٢٧ درجة شرقى جرينتش (١) .

وهذه الحدود تتقارب مع الحدود التى أتى بها المؤرخون ،

فقال عنها نعوم شقير أنها تمتد من بئر النطرون بالصحراء الكبرى شمالا الى بحر العرب ومديرية بحر الغزال جنوبا ، وتمتد من كردفان عند حلة الشريف كباشى شرقا ، الى وادى كجا الذى يفصلها عن مقاطعة وادى غربا(٢) .

وقال عنها التونسى أنها تمتد شرقا من شرقى الطويشة(٣) بمسيرة يومين ونصف يوم(٤) ، وتمتد غربا عند آخر دار المساليط وآخر دار قمر وأول دار تامة ، وهو الخلاء الكائن بينها وبين وادى ، أما من ناحية الجنوب فقد امتدت الى الخلاء الكائن بينها وبين دار فرتيت ، وامتدت من الشمال الى بئر المزروب ، وهو أول بئر يعرض لمن يتوجه اليها من مصر(٥) ، وكثيرا ما تغيرت هذه الحدود فى عصور التاريخ المختلفة . اذ كانت دارفور تمتد رواقها على أراضى واسعة من بلاد وادى ومن كردفان ، وأحيانا من بحر الغزال(٦) .

كما أن هذه الحدود كانت تجعلها على اتصال بدول انحطت بها من معظم جهاتها . فمن الشمال كانت توجد مملكة الزغاوة وما وراءها من الدول العربية القائمة فى شمال افريقيا ، ومن الشرق كانت هناك

- (٢) نعوم شقير : تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ، القاهرة سنة ١٩٠٣ ، ج١ ص ٧٢ ، عبد الله حسين : السودان من التاريخ القديم الى رحلة البعثة المصرية ، القاهرة سنة ١٩٣٥ ، ج٢ ص ٤٦٣ ، (٣) التونسى : تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، تحقيق د. خليل محمود عساكر ، د. مصطفى مسعد ، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، سنة ١٩٦٠ ، ص ١٣٦ ، الشاطر بصليى عبد الجليل : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ٢٧٦ ، (٤) التونسى : نفس المصدر ، ص ٣٤٧ ، (٥) المصدر السابق ، ص ١٣٦ ، (٦) دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٩ ، ص ٨٣

مملكة مقرة ومملكة علوة المسيحيين ، ثم مملكة الكنوز ومملكة الفونج
الاسلامييتين اللذين قامتا على انقراض هاتين المملكتين فى أواخر العصور
الوسطى . ومن الغرب مملكة واداي ومملكة الكانم والبرنو وما وراء ذلك
من ممالك السودان الغربى مثل مالى والتكرور وغانة . ومن الجنوب
بحر الغزال وما وراءه من بلاد الكونغو وأواسط افريقيا .

وموقع دارفور على هذا النحو يعتبر موقعا جغرافيا هاما
اذ أنها بهذا الوضع تصبح منطقة ربط وصلة وعبور بين السودان النيسى
وبلاد السودان الأوسط التى نشأت فيها ممالك الكانم والبرنو التى
تقع فى حوض بحيرة تشاد . كما أن دارفور بهذا الموقع تقع على
طرق القوافل التى ربطت شمال الصحراء الكبرى وجنوبها الشرقى وبين
شرق القارة وغربها (٧) .

وقد ترتب على هذه الحقيقة الجغرافية الواضحة أن تعرضت
دارفور للتأثيرات الثقافية والعرقية التى ميزتها وطبعتها بطابع خاص (٨)
بعد أن أصبحت ميدانا تقابلت فيه الهجرات وطرق القوافل (٩) ، كما
أن هذا الموقع دفع حكام دارفور الى السيطرة فى بعض الأحيان على
مناطق بعيدة تقع وراء دارفور ، اذ امتدت سيطرتهم على منطقة دارفرتيت
وحوض بحر الغزال ، وكذلك على جانب من كردفان وعلى جزء كبير
من واداي (١٠) .

(٧) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ، ص ٧٢ ، عبد الله حسين :

السودان من التاريخ القديم الى رحلة البعثة المصرية ، ج ٢ ص ٤٦٣

(٨) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ،

ص ٣٧١ ، Mandour El Mahdi : A short history . of the Sudan, ،
London, 1965, p. 54.

(٩) الشاطر بصيلى : تاريخ رخصات السودان الشرقى والأوسط ،

ص ٣٧٣

(١٠) المرجع السابق ، ص (٣٧) ، دائرة المعارف الاسلامية ،

ج ٩ ص ٨٣ .

وفى نفس الوقت فان دارفور وبسبب موقعها الذى يعطى حماية طبيعية لأهلها بسبب بعدها عن الدول ذات النفوذ والمنعة كانت ملجأ للأسرات الحاكمة التى خرجت من حوض وادى النيل الأوسط منذ العصور التاريخية القديمة . والمثال على ذلك ما أشارت اليه المصادر التاريخية عن هجرة الأسرة الحاكمة فى مملكة مروى الواقعة شمال الخرطوم فى منتصف القرن الرابع للميلاد الى دارفور بعد غزو الحبشة لهذه المملكة فى عام ٣٥٠م (١١) ، وكذلك خروج ملك علوة المسيحية نحو الغرب فى القرن الثالث عشر للميلاد لأسباب تاريخية معينة (١٢) .

وقد ساعد على اعطاء الحماية لسكان دارفور عامل آخر غير عامل الموقع ، وهو عامل التضاريس التى تحيط بها ذلك أن حدوده

(١١) قام الملك عيزانا ملك اكسوم (أثيوبيا) بحملة على مملكة مروى وقوض أركانها ونتج عن ذلك أن قامت على انقاضها ثلاث ممالك نوبية . وفى الشمال قامت مملكة النوبات التى امتدت من الشلال الأول الى الشلال الثالث وعاصمتها فرس ، وتليها جنوبا مملكة مقرم وتنتهى حدودها الجنوبية عند مكان عرف بالأبواب عند الكتاب العرب ، ويظن أنه بالقرب من كبوشية ، وكانت دنقلة العجوز عاصمة لهذه المملكة ، ثم تأتى جنوبا منها مملكة علوة وعاصمتها سوبا التى تقع على النيل الأزرق جنوب الخرطوم الحالية . وقد انتشرت المسيحية فى هذه الممالك الثالث .

انظر : سر الختم عثمان على : نفس الرجوع ، ص ١٥٨ ، مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، تاريخها وبعض مظاهرها ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ١١ سنة ١٩٦٣ ، ص ٢٢٣ ، الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى لنفس المؤلف ، الأنجلو المصرية ، سنة ١٩٦٠ ، ص ١٢ ، ١٣

(١٢) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى

والأوسط ، ص ٣٧

تنتهى فى الشمال عند الصحراء الليبية الى مساحات رملية و صحراوية شاسعة ، نادرة الماء والزرع ، وتمثل فى نفس الوقت حاجزا مانعا لأى هجمات عسكرية مبالغتة يمكن أن تأتيها من هذه الناحية ، وتعطى لأهل دارفور امكانية السيطرة على الواحات القريبة منها والتي تقع فى شمالها .

اما المنطقة التى تقع شرق اقليم دارفور فهى عبارة عن سلسلة عريضة من التلال الرملية تعرف بالأقواز ، وقد قامت هذه التلال بدور الحاجز بينها وبين جارتها كردفان . كما قام حاجز من نوع آخر فى جنوب دارفور ، ألا وهو بحر العرب الذى يخرج من دارفور ويصب فى بحر الغزال ، وتقع فى جنوبه منطقة واسعة ينتشر فيها البعوض وذباب تسي تسي . أما الناحية الغربية لدارفور فهى منطقة مفتوحة فليس بينها وبين ما يقع خلفها من بلدان من هذه الناحية موانع جغرافية ، سواء كانت جبلية أو مائية ، ولذلك فقد كانت على صلة بهذه البلدان ، مثل وادى وياجرمى والكانم والبورنو التى تقع فى حوض بحيرة تشاد ، ومن ثم كانت حدود دارفور الغربية تخضع لطبيعة علاقاتها مع هذه الدول ، وكانت تؤثر فيها العوامل السياسية والقبلية (١٣) .

وتضاريس دارفور نفسها عبارة عن هضبة تكثر بها الجبال والتلال خصوصا فى الشرق والشمال والغرب ، وقليل منها فى الجنوب كجبال الداجو وغيرها ، ولا يكاد يوجد بها مكان متناسب الا نادرا ، وأرضها رملية وكثيرة الأودية والأشجار (١٤) .

ولعل أبرز ظاهرة طبيعية فى هذا الاقليم هو وجود سلسلة

(١٣) مصطفى سعد : سلطنة دارفور ، ص ٢١٥

(١٤) عبد الله حسين : السودان من التاريخ القديم ، ص ٢٦٣ ، الموسوعة العربية الميسرة ، دار نهضة لبنان للطبع والنشر ، سنة

جبال أشهرها جبل مرة الصغير الذى سميت هذه السلسلة كلها باسمه
وإصارت تعرف باسم جبل مرة (١٥) . ويقع هذا الجبل فوق هضبة
تحدها الفاشر ونيالا وكبكية ، وهى المواطن الأصلية لشعب الفور (١٦) ،
ويبتدئ نحو مائة ميل من الشمال الى الجنوب ، ونحو ستين ميلا من
الشرق الى الغرب ، ويبلغ ارتفاع أعلى قممه نحو ١٥٠٠ قدم عن سطح
الأرض المجاورة له ، ونحو ٦٠٠٠ قدم عن سطح البحر . وهو جبل
واقر الخصب كثير الينابيع كثير المطر ، وفيه كثير من أشجار الفاكهة
والحبوب مما لا يوجد فى غيره من أعمال دارفور ، ومن أشهر قممه
« جبل طرة » الذى كان مركز سلاطين الفور قبل انتقالهم الى الفاشر ،
وفيه مدفن السلاطين الخاص ، وجامع كبير قديم (١٧) .

وإذا قسمنا دارفور الى أقسام جغرافية فانه يمكن تقسيمها من حيث
التضاريس الى ثلاثة أقسام عرضية . القسم الأول فى الشمال وهو
عبارة عن منطقة برارى وسهوب تتخللها مجموعة من التلال والأودية
ذات الأشجار والأعشاب التى تصلح للرى ، اذ تسقط عليها أمطار
بمقدار حوالى ١٠ بوصات ، تساعد على نمو النباتات والأعشاب اللازمة
للرى ، ولا تساعد كثيرا على الاشتغال بالزراعة ولذلك فان أهل هذه
المنطقة أو هذا القسم من دارفور من البدو وأشباه البدو الذين تقوم
حياتهم أساسا على رعى الابل وتربيتها والاتجار فيها (١٨) .

أما القسم الثانى من دارفور فهو المنطقة التى تقع فى وسطها ،
وهى منطقة جبلية فى بعض أجزائها ، ورملية فى طرفها الشرقى

(١٥) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٥٧

(١٦) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى

الأوسط ، ص ٣٧٥ ، مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، ص ٢١٦

(١٧) نعوم شقير : تاريخ السودان القديم والحديث ، ج ١ ص ١٠٩

(١٨) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى

والأوسط ، ص ٣٧٥ ، مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، ص ٢١٦

والغربي ، وهي أكثر أمطارا من المنطقة الشمالية ، اذ تسقط عليها
أمطار تتراوح بين ١٢ بوصة فى منطقة السهول ، و ٢٥ بوصة حول تلال
جبل مرة . ولذلك فان حياة أهلها تقوم على الاشتغال بالزراعة (١٩) .

أما المنطقة الجنوبية والتي تقع جنوبى خط عرض ١٢ شمالا
فهى عبارة عن منطقة رعوية كثيرة الأشجار كثيرة الأمطار ، اذ تتراوح
أمطارها بين ٢٥ و ٣٥ بوصة ، ولذلك فان حياة أهلها تقوم على رعى
الماشية وتربيتها ، وينتقل أهلها لمزاولة هذا العمل بالقرب من الأنهار
فى الجنوب (٢٠) .

هذا عن تضاريس دارفور المتنوعة وأمطارها المتفاوتة ، أما مناخها
فانه يتدرج من حيث الحرارة من الشمال الى الجنوب ، فهو حسن فى
الشرق والوسط والشمال ، ردىء فى الجنوب ، ومتوسط فى الغرب (٢١) .
ومن المقيّد هنا أن نتعرف على مناخ السودان بصفة عامة حتى نعرف منه
وضوح دارفور وموقعها فى هذا المناخ بالنسبة لغيره من أقاليم
السودان الأخرى .

فمناخ السودان يغلب عليه المناخ القارى ، اذ يقع ضمن المنطقة
الاستوائية . ونظرا لعظم مساحته التى تزيد عن مليونين ونصف مليون
كيلو متر مربع ، ونظرا لامتداده الواسع ما بين خط عرض ٢٢ درجة
و ٤ درجات شمال خط الاستواء ، فان مناخه يتنوع من منطقة لأخرى ،
ففى المنطقة الشمالية التى تنحصر بين خطى عرض ٢٢ و ١٨ شمالا تهبط
عليه الرياح الشمالية طول السنة من الصحراء ، ولذلك فان هذه
المنطقة تعتبر من أكثر أجزاء العالم حرارة وجفافا . أما الحزام الأوسط

(١٩) المرجعين السابقين ونفس الصفحات .

(٢٠) المرجعين السابقين ونفس الصفحات .

(٢١) عبد الله حسين : السودان من التاريخ القديم ، ص ٤٦٣

الذى يمتد من خط ١٨ الى خط ١٢ شمال خط الاستواء فهو أكثر مطرا من المنطقة الشمالية ، وذلك فالمناخ فيه الطف قليلا منه فى هذه المنطقة . أما المنطقة الجنوبية التى تقع بين خطى عرض ١٢ و ٤ فهى غزيرة المطر ، ترتفعة الرطوبة كثيرة الأشجار والغابات (٢٢) .

ولما كان اقليم دارفور ذو المساحة التى تزيد حاليا عن نصف مليون كيلو متر مربع (٢٣) يمتد ما بين خطى عرض ١٥ و ١٠ شمال خط الاستواء ، فانه بذلك يقع فى المنطقة الوسطى أو الحزام الأوسط من دولة السودان ، ولذلك فان مناخه يعتبر أفضل بكثير مما يقع شماله وجنوبه من أراضى هذه الدولة وأقاليمها ، وان كان الجزء الشمالى من دارفور يتأثر كثيرا بالرياح الشمالية الجافة ، ويقل فيه المطر وترتفع درجة الحرارة ، بينما تقل درجة الحرارة كما أتجهنا جنوبا وتقل كثيرا فى جبال مرة حيث تطيب الحياة .

أما موارد اقليم دارفور الاقتصادية فهى متنوعة وتتناسب مع ظروفه الطبيعية والجغرافية ، فاهله من الرعاة يربون الماشية والابل والأغنام ، وتزرع فيه محاصيل عديدة ، منها الذرة والدخن الذى يعتبر الغذاء الرئيسى عندهم ، وكذلك تزرع أنواع الخضروات المختلفة ، ويزرع القمح الذى لا يزرع عندهم الا فى جبل مرة ، لكثرة امطاره ، وعلى مياه الآبار فى كوبيه وككبكية . ويزرعون أيضا القطن والأرز والسمسم الذى يزرعون منه الشئ الكثير (٢٤) .

وتنمو فى بلادهم الأشجار المثمرة وغير المثمرة . أما المثمرة فمنها النخيل والليمون والموز والهجليج والنبق والتبلدى وهو شجر ضخم

(٢٢) مدثر عبد الرحيم : نفس المرجع ، ص ١٢ ، ١٣

(٢٣) الموسوعة العربية الميسرة ، ج ١ ، ص ٧٧٣

(٢٤) التونسى : نفس المصدر ، ص ٣٠٤ - ٣٠٦

أجوف الجذع ينبت فى الفيافى ويخترن ماء المطر فى تجويفه ،
فيأتى إليه أهل البادية فى غير أوقات المطر ويشربون منه ، وهناك أيضا
شجر الدليب (الجوز الهندى) والحميمض والدوم (٢٥) .

أما الأشجار غير المثمرة فكثيرة جدا وتكاد لا تدخل تحت حصر ،
ومن أشهرها وأنفعها شجر العشر والحشاب الذى يؤخذ منه الصمغ
العربى ، والسنتط والطلح والكتر والقفل والحراز ، وهى أشجار
ينتفعون بأخشابها فى بناء بيوتهم . وهذه البيوت تبنى إما من قصب
الدخن أو قصب رفيع يسمى المرهيب الذى لا يعمل الا للأغنياء وأكابر
الدولة (٢٦) . وعلى هذا النحو ترى تنوع الموارد الطبيعية والنباتية
التي يعيش عليها سكان دارفور .

وسكان دارفور نزوح العرب اليها كانوا يتكونون أساسا من عناصر
السود وشبه السود . وعناصر السود هى العناصر أو القبائل التي
كانت تهاجر الى الاقليم من السودان الجنوبي ، وهى عناصر زنجية
فى الأساس (٢٧) ، وكانت لها السيادة فى عصر من العصور على
ما يعرف الآن باسم دارفور (٢٨) ، أما عناصر شبه السود فهى من أقدم
السكان أصولا فى البلاد . وقد أتت هذه العناصر الى دارفور نتيجة
لهجرات مختلفة من عناصر مختلفة من الشمال والغرب والشرق ،
لأن الاقليم وكما سبق القول منطقة عبور بين الشمال والجنوب ، وبين
السودان النيلي والسودان الأوسط وتشاد (٢٩) .

(٢٥) المصدر السابق ، ص ٣٠٧ - ٣١١

(٢٦) المصدر السابق ، ص ٣١٢ - ٣١٤

(٢٧) نعوم شقير : تاريخ السودان القديم والحديث ، ج١

(28) Mandour : op . cit. p. 54 .

(29) Ibid : p. 54.

ولذلك فان معظم سكان دارفور وكذلك معظم سكان واداي وكانتم
وياجرهم وبرتو من بلاد السودان الأوسط ، وسكونو ومالي من بلاد
السودان الغربى ، اقل سسزادا وأوفر عقلا وارقى حضارة من السود
بل انهم فى الملامح والحضارة اقرب الى العرب منهم الى السود .
وكانوا على الديانة الفتشية قبل هجرة العرب اليهم ونشر الاسلام بينهم ،
كما انهم ينقسمون الى قبائل مختلفة ، لكل منها لغة خاصة بها ، وملك
من جنسها يحكمها (٣٠) .

ومن اقدم هذه القبائل او الممالك الصغيرة التى سكنت اقليم
دارفور شعب الداجو ، ولعلمهم اصحاب الاقليم الاقدمون ، وكان مركزهم
فى جبل داجو الذى يقع على مسيرة يومين الى الغرب من داره (٣١) .
ويرى بعض المؤرخين انهم هاجروا الى دارفور اصلا من جبال النوبا
الواقعة غرب النيل الابيض جنوب خط عرض ١١ درجة ، وفرضوا نفوذهم
على المنطقة الوسطى والجنوبية من دارفور وعاشوا فيها ، واستطاع
هذا الشعب معتمدا بجبال مرة ان يؤسس سلطنة محلية تشبه من
بعض الوجوه سلطنة غانة فى غرب افريقيا ، او ممالك النوبة فى وادى
النيل (٣٢) ، واصبحوا مع شعب الفور يكوّنون معظم اهل دارفور (٣٣) .

ويذهب ناخيتجال الى ان الداجو او التاجو او التاجوين كما سماهم
بعض الكتاب المسلمين القدامى ، استطاعوا ان يحكموا دارفور قرونا
من جبال مرة ، وسلموا سلطانهم بعد ذلك الى العرب التجار الذين

(٣٠) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٤٨

(٣١) دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٩ ص ٨٤ ، نعوم شقير :

نفس المرجع ج ١ ص ٤٩

(٣٢) حسن محمود : الاسلام والثقافة العربية فى افريقية ، دار

الفكر العربى ، القاهرة سنة ١٩٨٦ ، ص ٣٢٤

(٣٣) دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٩ ص ٨٤

نزحوا الى الاقليم(٣٤) . ومن المحتمل أن مملكة الدايجو قد امتدت الى المنطقة الشرقية الجنوبية ولم تمتد سلطتها الى الشمال او الغرب ولم تشمل جبل مرة(٣٥) .

وعلى ذلك فان الدايجو هم فى الغالب ازل من اسسوا ملكا فى اقليم دارفور(٣٦) ، وسوف نتعرض لتاريخهم فى شىء من التفصيل حين حديثنا عن تاريخ دارفور القديم .

ومن القبائل او الشعوب الأخرى التى سكنت دارفور شعب التنجور ، وهو شعب يختلف عن الدايجو ، فقد قيل فى أصله أنهم من العرب أو النوبة أو البربر(٣٧) ، ولعل اسمهم مشتق من كلمة « تجار » ، مما يدل على أصلهم العربى(٣٨) ، ولذلك فاننا نؤجل مناقشة أهل هذه الفئة من أهل دارفور الى حديثنا عن الهجرات العربية الى هذا الاقليم . ومهما كان الأمر فان مملكتهم استقرت فى شمال دارفور .

ومن المحتمل أن مملكتى الدايجو والتنجور قامتا جنبا الى جنب ، التنجور فى الشمال والدايجو فى الجنوب والوسط ، غير أن سلطان التنجور لم يستمر طويلا فى دارفور ، وربما كان مرجع ذلك الى أن ضغطا وقع عليهم من الشمال ، أو الى أنهم توسعوا فى بسط نفوذهم حتى وصلوا غربا الى وادى ، مما أدى الى تخلخل سلطانهم وضعف نفوذهم فى دارفور بعد مضى قرنين من قدومهم اليها وحكمهم للجزء الشمالى من هذا الاقليم(٣٩) ، مما مهد الأمر أمام الفور كى يسيطروا نفوذهم على الاقليم كله .

(٣٤) المرجع السابق ، ج ٩ ص ٨٤

(35) Mandour : op. cit, p. 55.

(36) Ibid : op é cit . p 55.

(٣٧) مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، ص ٢٢٥

(٣٨) دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٩ ص ٨٤

(٣٩) مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، ص ٢٢٦

وكان هؤلاء الفور أصحاب السيادة فى جبال مرة ، وفى المرتفعات التى تقع غرب هذه الجبال (٤٠) ، وهم الذين اعطوا اسمهم للاقليم كله ، فصار يعرف باسم دارالفور أو دارفور ، على الرغم من أن هذا الاقليم كانت تسكنه عناصر وقبائل كثيرة مختلفة ، بينما كان الفور يمثلون فقط جزءا محدودا منه ويتركزون فى جبال مرة . والسبب فى اطلاق اسم الفور على كل الاقليم يعود الى أنهم كانوا بصفة عامة أهم قبيلة فى هذه المنطقة ، إذ أنهم نجحوا فى تأسيس سلطنة كبيرة ازدهرت طويلا ، وكانت سايقة لسلطنة الفونج التى ظهرت فى الشرق ، وسلطنة واداي التى ظهرت فى الغرب (٤١) .

وربما يعود السبب فى ذلك أيضا الى أن الفور كانوا أسبق القبائل فى سكنى هذا الاقليم (٤٢) ، وان كان هذا الأمر لا يمكن التحقق منه ، أو لأن كلمة الفور تعنى اللون الأسود ، وكان معظم سكان الاقليم ممن يحملون هذا اللون ، ولذلك تم اطلاقه على الجميع ، فسموا باسم الفور ، وسميت بلادهم باسم دارفور (٤٣) .

ومهما كان الأمر فان شعب الفور بأعدادهم وفروعهم الكثيرة كانوا يشكلون مجموعة من السكان الوطنيين الذين اختلطوا على مر العصور بمجموعة من أناس أبيض منهم لونا كانوا يتكلمون لسانا نوبيا وأتوا من السودان الشمالى ، ومن بلاد الزوية على وجه التحديد (٤٤) . وذلك انه منذ حوالى القرن السابع للميلاد وفد على هذا الاقليم

(40) Mac Michael : The Coming of the Arabs to the Sudan
(in the Anglo Egyptian Sudan from within) London, 1932, p. 32

(41) Mandour, op . cit, p. 54.

(٤٢) عبد الله حسين : السودان من التاريخ القديم ، ج٢ ، ص ٤٦٣

(٤٣) المرجع السابق ، ج٢ ص ٤٦٣
Arkell : A history of the Sudan, p. 217

(44) Mandour : op. cit, p. 54.

قبائل من الشمال عن طريق النيل من ناحية ، وعن طريق الصحراء من ناحية أخرى . فمن ناحية النيل جاءت جماعات نوبية من الميذوب والبرقد ، على حين جاءت جماعات ليبية من البدايات والزغاوة من شمال افريقيا ، واستطاعت هذه القبائل النوبية والليبية بفضل ما امتازت به من الغلبة العقلية وما لديها من وسائل حربية جديدة ، أن تطرد جماعات السرد الى الجبال وان تقيم فى هذه المنطقة ممالك خاصة (٤٥) ، وخاصة فى شمالى الاقليم (٤٦) .

ومهما كانت درجة اختلاط الفور بغيرهم ، فإنهم حافظوا على نقاء جنسهم وعاشوا فى جبل مرة ، وانقسموا الى ثلاث شعوب أو ثلاث مجموعات كبرى ، هى الكنجارة الذين كانوا يعيشون فى شرق جبل مرة ، والذين تسربت اليهم الدماء العربية عند هجرة العرب الى الاقليم ومصاهرتهم لهم ، ونتج عن ذلك قيام سلطنة اسلامية على يد سليمان سولون كما سيجىء القول . أما الشعبة الثانية من الفور فهم الكراريت ، وكانوا يسكنون فى جبل يسمى جبل سسى ، وهو أحد جبال مرة ، وتمتد مناطق سكناهم الى حد دار اباديما فى الجنوب ، وأما الشعبة الثالثة فهم الفور المسون تمررکه ، وكانوا يسكنون فى دار اباديما نفسها والتى تقع فى جنوب جبال مرة ، أو على وجه التحديد فى جنوب غربى دارفور (٤٧) . وكان لكل من هذه الشعب الثلاث لغتها الخاصة التى تتكلم بها ولها ملوكها وحكامها (٤٨) .

وبجانب الداجو والتنجور والفور ، عاشت فى دارفور ، قبائل أخرى كثيرة لم تستطع أن تؤسس مملكة واسعة فيها كما فعلت هذه الشعوب الثلاثة . من هذه القبائل : الزغاوة ، والبرتى ، وميدوب

(٤٥) مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، ص ٢١٧

(46) Mac Michael : op. cit, p. 32.

(٤٧) التونسى : نفس المصدر ، هامش ٤ ص ١٤٣ ، ص ١٤٤ ، ١٤٥

(٤٨) دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٩ ص ٨٤

فى الشمال ، والمساليط والقمر (بكسر القاف وتسكين الميم) فى الغرب ،
والفلاتة والبرقد والفرتيت والبيقو فى الجنوب(٤٩) .

لها الزغاوة فقد كانوا فريقين ، زغاوة كبا فى شرق دار قمر ،
وعندهم الكثير من الخيل والحمير ، وزغاوة الدور ، وهم على بعد مسيرة
اربعة أيام من الشمال من الفاشر(٥٠) . والزغاوة كما يقول التونسى
« مملكة واسعة وبها خلق لا يحصون كثرة ، لهم سلطان وحدهم يخضع
لسلطان الفور ، وهى يشبهه قائدا من فواده »(٥١) .

والبرتى قبيلة كبيرة من أصل مختلط تسكن جنوبى تلال ميدوب
فى شرقى دارفور عند خط عرض ٢٤ : ١٤ وخط طول ٤٣ : ١٥ ،
وكانوا قد هجروا ، ووطنهم الاصلى فى تلال تجابو (تقابو) التى تقع
على بعد مسيرة ثلاثة أيام الى الشمال من الفاشر ، بسبب ضغط
سلاطين الفور عليهم(٥٢) .

واما الميدوب فهم سكان جبل يحمل نفس الاسم ويقع فى الركن
الشمالى الشرقى من دارفور على بعد اربعمائة ميل من مدينة الخرطوم
الحالية ، و ٣٥٠ ميلا جنوب غربى بلدة الدبة . وتعود جماعة الميدوب
الى أصل نوبى حيث أنهم يتكلمون لغة تشبه لغة النوبيين ، مما يرجح أن
هجرتهم أتت من بلاد النوبة الى منطقة جبل ميدوب(٥٣) .

(٤٩) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٣٦ - ١٣٧ ، ١٤٧ ،

Mac Michael : op cit , p 17

(٥٠) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٤٩

(٥١) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٣٦ - ١٣٧

(٥٢) المصدر السابق ، هامش ١ ص ١٠٠ ، نعوم شقير : نفس

المرجع ، ج ١ ص ٤٩

(٥٣) التونسى : نفس المصدر ، هامش ١ ص ١٣٧ ،

Mandour : op cit , p 33

بلادهم فى طريق درب الأربعين ، وهم يعيشون على تربية الأبل
والخيل والضأن (٤٥) .

أما القمر فهم يعيشون فى غربى دارفور ، وتعرف بلادهم بدار قمر ،
وتقع شمال بلاد المساليط وشرق دار تاما ، ومركزهم أبو عشر على
مسيرة ثلاثة أيام الى الشمال من كلكل ، وملوكهم مصاهرون للملك
الفور (٥٥) ، وبلادهم فقيرة فى مواردها الطبيعية . وتعيش جماعاتهم
على زراعة الدخن ورعى الأغنام والماشية . ويدعى القمر الانتساب الى
أصل عربى ، ويتكلم معظمهم اللغة العربية (٥٦) .

والمساليط مجاورون للقمر من جهة الجنوب ، وهم أصلا من الزنوج
ثم اختلطوا بالعرب بعد هجرتهم اليهم ، ويتكلمون لغة تختلف عن
لغات سكان دارفور ، وتبلغ مساحة بلادهم ما بين ٧٠٠٠ الى ٧٥٠٠ ميل
مربع ، وتحدها واداي من ناحية الغرب ، ودار صليح من ناحية الجنوب ،
ودار قمر ودار تاما من ناحية الشمال ، والفور من ناحية الشرق ، وبلاد
المساليط بلاد فقيرة ، وتحتل الأغنام والماشية الثروة الرئيسية لدى
هؤلاء القوم (٥٧) .

أما قبائل الجنوب ، فمنها الفرتيت ، وان كان التونسي لا يعدها
ضمن دارفور ، اذ يعتبر أن آخر حدود دارفور الجنوبية تنتهى الى الخلاء
الكائن بينها وبين دار فرتيت (٥٨) ، بينما اطلق العرب فى زمن التونسي
على القبائل الزنجية والوثنية التى تسكن فى أقصى جنوب دارفور
وشمالى بحر الغزال وفى إقليم واداي اسم فرتيت ويقول آركل وماكمباكل
أن الفرتيت كانوا سكان جبل مرة الى الجنوب ، حيث انقسموا هناك

(٥٤) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٤٩

(٥٥) المرجع السابق ، ج ١ ص ٤٨

(٥٦) الترئسى : نفس المصدر ، هامش ٢ ص ١٣٦

(٥٧) المصدر السابق ، هامش ٤ ص ١٢٦

(٥٨) المصدر السابق ، ص ١٣٦

الى قبائل شتى ، منها رونجة ، وبندا ، وشث ، وينجا ، وفراوجيه (٥٩) ،
ويخلاف الفرتيت فهناك من قبائل جنوبى دارفور أيضا البرقد ،
وهى قبيلة تسكن شمال وشرق قبيلة الداجو ، ومركزها جبل مسكو
الواقع بين جبل مرة فى الغرب وبين جبل حريز ومنطقة الرزيقات فى
الشرق . وتسكن شعبة من هذه القبيلة على مسيرة يوم شمال شرفى
مدينة الفاشر الحالية ، وشعبة أخرى فى وادى ، ويقول بارت
أنهم من أصل زنجى (٦٠) .

وكذلك البيقو ، فهم أيضا من سكان جنوبى دارفور . ويقال ان
موطنهم الأصلى يقع فى منطقة بحر الغزال ، وأنهم هاجروا من هذه
المنطقة الى دارفور منذ زمن بعيد ، حيث منحهم سلطان دارفور أرضا
ينزلون فيها ، وكانت أم السلطان محمد فضل (١٨٠٢ - ١٨٣٩ م)
منهم ، ولذلك فقد أعطاهم حريتهم وفرض عقوبة الاعدام على من يتجر
فى أبنائهم (٦١) .

وهناك أيضا من القبائل التى تعيش فى دارفور ، قبائل البرقر ،
والميمة ، والمراريت ، والعورة ، وكبقة ، وكاجة البدو ، ورووق ،
وتامة ، وسميار ، والبديات .

أما البرقو فهم أصلا من سكان وادى وبرنو ، وانتقلت جماعات
منهم الى دارفور حيث عرفوا مع غيرهم من الجماعات القليلة الوافدة
من وادى باسم المراريت ، ويسكن معظمهم شرق ووسط دارفور (٦٢) .

(٥٩) المصدر السابق ، هامش ٤ ص ١٣٦ ،

Arkell : op ,cit, (S.N.R.) IV, p. 273.

(٦٠) التونسى : نفس المصدر ، هامش ٢ ص ٧٦ ، نعوم شقير :

نفس المرجع ، ج ١ ص ٤٨

(٦١) التونسى : نفس المصدر ، هامش ١ ص ١٠٢

(٦٢) المصدر السابق ، هامش ٢ ص ١٣٧

وتقع ديار الميمة فى شرقى دارفور ومركزهم فافا(٦٣) . وتعود اصولهم اما الى البربر حيث اشار ابن بطوطة فى منتصف القرن الرابع عشر للميلاد الى بلدة ميمة التى تقع على نهر النيجر ولا تبعد كثيرا عن غربى مدينة تمبكت فى بلاد مالى ، ولاحظ أن معظم سكان مدينة تمبكت من قبائل مسوفة ، وهى إحدى قبائل البربر المثلثين(٦٤) ، وفى الغالب فان سكان ميمة كانوا من هؤلاء البربر ، ومن المحتمل أن بعضا منهم هاجروا شرقا واستقروا فى شرقى دارفور .

ويقول الرحالة ناختيجال أن الميمة قبيلة كبيرة فى وادى ، وانتشر معظمها جنوبا حيث اختلطوا بسكان جنوب وادى ، ففقدوا صفاتهم الجنسية نتيجة لهذا الاختلاط ، واحتفظت البقية الباقية منهم بلغتهم الخاصة التى تقرب من لغة الزغاوة والقرعان ، وكان يحكمهم ملك من أنفسهم(٦٥) .

أما تامه فتقع ديارها غرب دار قمر على حدود وادى . وكانت دار تامه دائما همزة الوصل بين دارفور ووادى ، وكثيرا ما اخضعت الدولتان دار تامه لسلطانها فى ازمنة مختلفة . ولهذه الجماعة لغتها الخاصة بها(٦٦) كغيرها من بقية قبائل المنطقة .

والبدايات تقع بلادهم شمال دارفور غرب بئر النطرون ، وهم أهل بادية ولا زالوا على المفتشية ويعبدون الشجر ، مع أنهم محاطون بالمسلمين من كل جهة (٦٧) .

(٦٣) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٤٨

(٦٤) ابن بطوطة : رحلته ، دار احياء العلوم ، بيروت ، الطبعة

الأولى سنة ١٩٨٧ م ، ج ٢ ص ٧٠٤

(٦٥) التونسى : نفس المصدر ، هامش ٤ ص ١٣٧ - ١٣٨

(٦٦) المصدر السابق ، هامش ٣ ص ١٣٦

(٦٧) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٤٩

وسميّار تقع بلادهم فى غرب دارفور بجوار المساليط . وقد قيل ان لغات القمر والمساليط وسمياريّات تقرب جدا من بعضها حتى كانها لغة واحدة لها ثلاث لهجات (٦٨) .

اما المراريّات فمركزهم منطقة جلى بين كيكبية وكلكل ، وقبيلة العورة مجاورة لهم ، وتقع بلاد كبكة الى الشمال الغربى من جبل مره ، وتقع « كاجة البدو » الى الشمال الشرقى من أم شفقة ، وقد سموا بذلك تمييزا لهم عن كاجة كتول فى ارض كردفان ، وقد اشتهروا جميعا بصيد الزراف وصناعة الدرق . اما رونق فان بلادهم تقع الى الجنوب الغربى من بلاد الداچو (٦٩) .

هذه هى أشهر القبائل التى سكنت دارفور ولا زالت تعيش فيها حتى الآن . وفى الحقيقة فاننا لا نجد ذكرا لهذه القبائل فى المصادر التاريخية العربية القديمة ، لسبب بسيط ، وهو ان هذه المصادر لم تتحدث عن دارفور ، وكان حديثها مركزا على البلدان التى تقع على نهر النيل وفروعه ، وخاصة بلاد النوبة وما فيها من ممالك مسيحية ثم اسلامية .

وكنا نأمل ان نجد عند الحسن الوزان الذى زار عددا من ممالك بلاد السودان الغربى والوسط ، كما زار بلاد النوبة فى الفترة التى تقع بين عامى ١٥٠٨ و ١٥٢٠ م ، حديثا عن سلطنة دارفور ، لان هذه السلطنة كانت قائمة وموجودة فى تلك الفترة ، ولكنه لم يفعل لانه لم يكتب الا عن البلاد التى زارها فقط ، وقال فى ذلك :

« لن اعرض الا للبلاد التى ذهبت اليها وترددت عليها كثيرا او التى كان التجار ياتون منها الى البلدان التى زرتها ، فيبيعون بضائعهم ويزودونى بمعلومات عنها . ولا اكتب انى زرت خمس عشرة

(٦٨) المرجع السابق ، ج ١ ص ٢٩

(٦٩) المرجع السابق ، ج ١ ص ٤٨ - ٤٩

مملكة من أرض السودان ، وفاتتى ثلاثة أضعافها لم أزرها ، وكل منها معروف ومجاور للممالك التى كنت فيها « (٧٠) .

وإذلك فقد كان اعتمادنا كثيراً على المصادر والمراجع الحديثة مثل التونسى وغيره من الكتاب الأجانب الذين زاروا دارفور بدءاً من منتصف القرن الثامن عشر وأعطونا وصفاً لها ولقبائلها ولنظام الحياة فيها . وبطبيعة الحال فإن القبائل سواء جاء ذكرها عند الكتاب القدامى أو المحدثين أو المعاصرين فإن أسماءها لا تتغير ، ونظام حياتها لا يختلف كثيراً عنه فى الزمن القديم إلا بمقدار ما أثر فيه الدين الإسلامى . وكذلك أماكن استقرارها فإنها فى الغالب هى نفس الأماكن التى كانت عليها قبل هجرة العرب إلى دارفور وظهور الإسلام فى هذا الإقليم .

ونفس الشيء يمكن أن يقال عن تاريخ دارفور القديم . فليس لدينا شيء مكتوب عنه ، ومن ثم فإن المعلومات القليلة التى وصلت إلينا خاصة بتاريخها تعتمد أساساً على الروايات الشفوية التى حفظها أهل البلاد: حياً بعد جيل ، وهى روايات يكتنفها التناقض أحياناً والغموض أحياناً أخرى .

ولذلك يتعين على الباحث فى تاريخ دارفور الرجوع إلى ما سجله الرحالة الذين زاروها فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (٧١) ، وخاصة ما كتبه محمد بن عمر التونسى الذى وصل إليها من أسبوت عن طريق درب الأربعين فى عام ١٨٠٣ م ، واستقر فيها حوالى سبع سنوات ، ألم فيها بأحوالها الاجتماعية والاقتصادية ونظمها السياسية

(٧٠) الحسن الوزان : وصف إفريقيا ، ترجمه محمد حجي ومحمد

الأخضر ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٣ م ،

ص ١٣٣

(٧١) مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، ص ٢١٩ .

والادارية والحربية وعلاقتها بجيرانها الماسا واسعا وأودع ذلك كله فى كتابه القيم « تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان » (٧٢) .
وكذلك الرحالة الألماني ناختيجال الذى وصل الى دارفور فى عام ١٨٧٤ م من طرابلس الغرب عن طريق بحيرة تشاد وباجرمى ووادى .
وقضى ستة شهور فى الفاشر عاصمة دارفور وقتذاك وجمع أثناءها كل ما استطاع جمعه من روايات شفوية ومكتوبة عن تاريخ دارفور الوسيط ، ومع ذلك لم تنتج له الفرصة الكاملة لدراسة هذا الاقليم دراسة كافية ، لارتباب السلطات الحاكمة فى نواياه وفى مهمته ، فلم تسمح له بالجلوس فى أنحاء البلاد كما فعل التونسي من قبل ومع ذلك فان الجزء الذى كتبه عن دارفور يعتبر مصدرا أصيلا بالنسبة لتاريخ هذا الاقليم (٧٣) ، ولم نطلع على ما كتبه ناختيجال مباشرة لأنه باللغة الألمانية ، واما استفدنا منه عن طريق ما كتبه الكتاب الآخرون باللغة الانجليزية مثل آركل وماكميكل وغيرهما .

من خلال هذه المراجع وغيرها ما ذكرناه فى ثبت المصادر والمراجع فى نهاية الكتاب ، يمكن أن نقول فى معرض الحديث عن تاريخ دارفور القديم ، أن هذا التاريخ يعتبر تاريخا مجهولا فى غالب جوانبه ، ولا يمكن معرفة شئ عنه على وجه التحقيق ، وربما تكشف الأيام والحفريات فى المستقبل عما غمض من تاريخ ذلك العصر فى هذا الاقليم (٧٤) .

وفى هذا الصدد يمكن أن يقال أن ثمة علاقة نشأت بين اقليمى دارفور وكردفان من ناحية وبين مملكة كوش فى بلاد النوبة من ناحية أخرى ، حيث كانت الأجزاء الشمالية الغربية من كردفان جزءاً من

(٧٢) المرجع السابق ، ص ٢١٩

(٧٣) المرجع السابق ، ص ٢٢١

(٧٤) المرجع السابق ، ص ٢٢٣

مملكة كوش خلال العصر المروى ، وربما كان هذا هو السر فى أن الجماعات التى تتحدث اللغة النوبية فى كردفان ودارفور ، تحاول دائما أن تستعيد ماضيها وعلاقتها بدولة كوش بتمسكها بأصلها القديم ، باعتبارها « أهل كوش » أو « ناس كوش » أو « كاش » التى تقابل « كاج » ، ومن هؤلاء جماعات « كاجدى » Kajiddi فى الطرف الجنوبى من جبل « كاجا » فى شمال كردفان (٧٥) .

ويقول هؤلاء الكاجدى أنهم أتوا من ناحية الشرق بقيادة ملكة ، وأن هذه الملكة مدفونة فى قبر قريب من جبل كابوجيا kaboija فى الطرف الجنوبى الشرقى من جبل ميدوب . وليس من المستبعد أن تكون الأسرة المالكة فى مروى عاصمة كوش ، أو فروع منها لجأت الى الأقاليم الغربية من دولتهم المنهارة ، عقب سقوط عاصمتهم مروى فى منتصف القرن الرابع الميلادى على يد عيزانا ملك اكسرم ، وأن الجماعات التى تتحدث اللغة النوبية فى كردفان ودارفور ترجع هجراتها الى هذا العهد البعيد (٧٦) .

ويدل هلى هذه الهجرة أيضا دلائل أخرى بجانب هذه الجماعات المهاجرة تسمى نفسها « أهل كوش » . فهناك عمليات التنقيب والحفر التى تدل نتائجها بوضوح على توغل مروى بعد هزيمتها من أكسوم فى اتجاه الغرب نحو كردفان ودارفور ، فشكل الفخار الذى عثر عليه فى هذه الحفريات وتصميمه ، وكذلك الملامح المصرية فى حجرات الدفن ، ووجود هرم من الطوب الأحمر مماثل للمقابر الأخيرة للملك مروى ، واحتواء دارفور على قصر يمكن أن ينتهى الى الطراز المعمارى الذى

(٧٥) المرجع السابق ، ص ٢٢٣ ،

Robert July : A history of the African people , London, 1970, p. 38.

(٧٦) مصطفى مسعد : نفس المرجع ، ص ٢٢٣ ،

Arkell : A history of the Sudan to A. D. 1821, London, 1953 , p: 201.

كان سائداً فى عمارة مروى فى عصورها الأخيرة ، كل ذلك يدل على وجود صلة بين كوش وبين دارفور وكردفان فى العصور القديمة (٧٧) .

غير ان هذه العلاقة التى يمكن ان تكون قد نشأت بين دارفور وبين دولة كوش لا تدل على ان دارفور خضعت للدولة الأخيرة او للممالك التى قامت على انقاضها وهى ممالك مقره وعلوة ، اذ لا توجد شواهد اترية واضحة تدل على ان دارفور كانت ضمن مملكة كوش (مروى) او كانت جزءا منها ، او كان لبلاد النوبة تأثير سياسى او ثقافى مسيحي على دارفور (٧٨) .

ويبدو ان العلاقات بينها كانت علاقة تجارية . ولم تكن هذه العلاقة التجارية فى التاريخ القديم مع دارفور قاصرة على الكوشيين والنوبيين فقط ، بل انه من المحتمل ان تجارا مصريين قد زاروا هذا الاقليم منذ ايام حركوف ، واتصلت زياراتهم واتصالهم به حتى العصور الوسطى ، ويمكن ان يكون واحد منهم او اكثر قد اقام نفسه كحاكم محلى ، وهناك اتصل بسلاطينها القدماء التقليديين وهم الداجو الذى لا يزالون فى دار سلا Silla ، وهذا امر وضحته لنا الكتابة الهيروغليفية المصرية (٧٩) .

وتذكر روايات اهل البلاد ان الداجو هم اول من أسس دولة فى اقليم دارفور ، ثم تلاهم التنجور ، ثم أسرة كيرا من الفرر ، ومن هذا الاسم الأخير جاء اسم دارفور (٨٠) كما سبق القول .

اما الداجو فقد بدأ بهم تاريخ العصور الوسطى فى دارفور حوالى

(77) Robert July : op . cit p. 38.

(78) Arkell : A history of the Sudan, pp. 173 — 199.

(79) Ibid : pp. 175 - 175.

(٨٠) مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، ص ٢٢٣

القرن الثانی عشر للمیلاد ، حیث أقاموا سلطنة لهم فی هذه البلاد (٨١) .
وأصل الداجو غیر معروف تماما ، ویذكر الرحالة بارت أنهم كانوا فی
زمنه (١٨٤٩ - ١٨٥٥ م) یطلقون علی أنفسهم « ناس فرعون » ،
ویرى أنهم جاءوا من اقليم فازوغلی جنوبی سنار (٨٢) ، علی حین یرى
آرکل اعتمادا علی ما ذكره براون - أنهم من البربر الذین جاءوا من
الشمال وأقاموا دولة لهم فی دارفور (٨٣) .

وقد تعرضت هذه الدولة للغزو علی ید حملة من النوبة حوالی
عام ١١٥٠ م ، وقد تمكنت هذه الحملة من تخريب مدينة سمیا *Simia*
احدی عواصم الداجو ، ومن المحتمل أن دولة الداجو فی دارفور قد
انقسمت الی امارات عديدة منذ عام ١٢٠٠ م سيطر علیها أمراء من
الداجو (٨٤) .

ویفسر آرکل هذا الرأی بقوله انه من المحتمل أن هؤلاء الأمراء
أو الرؤساء كانوا ینتمون فی الأصل الی جنس بنی ، ومن الممكن أنهم
یتحدرون من البربر المعروفین حتی الیوم باسم الطوارق *Tuareg*
مع أنهم كانوا دون شك فی ذلك الوقت قد اختلطت دماؤهم بالدماء
الزنجية الی أصبحت تجری فی عروقهم ، نتیجة لاختلاطهم برعاياهم
من الزنوج . وعلی أية حال فانهم كانوا یتكلمون اصلا احدی اللهجات
البربرية وكانوا یتعملون العلامات البربرية فی وشم حیواناتهم منذ
وقت مبكر . ویبدو أن ثقافتهم وديانتهم كانت تقلیدا مباشرا لما كان
موجودا فی مروی (٨٥) .

(٨١) التونسى : نفس المصدر ، مقدمة الكتاب ، ص ٦

(٨٢) مصطفى سعد : سلطنة دارفور ، ص ٢٢٣

(٨٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤

(84) Arkell : the history of Darfur, SNR.,IV, p. 274.

(85) Ibid : p. 269.

ومن المحتمل أن معظم زعامات الداجو ظهرت تاريخياً فى الفترة التى ازدهرت فيها مملكتنا نباتا ومروى نتيجة السيطرة على طرق التجارة التى كانت تجلب عبرها منتجات السودان الى مصر . وعلى أية حال فان أصول الداجو يمكن أن تكون هى نفس الأصول التى تنتمى اليها مملكة كاتم المبكرة وتنتمى اليها أيضا مملكة جوكون Jukun التى تأسست فى الجنوب الغربى لبحيرة تشاد(٨٦) ، أى من البربر المنحدرين الى هذه البلاد من الصحراء الكبرى .

ويذكر الشاطر بصيلى عبد الجليل بأن الداجو أتوا الى دارفور من الشمال ، ويحتمل أنهم خرجوا من مواطنهم فى منطقة الواحات المصرية(٨٧) ويرى أنه يمكن أن تربط بين هؤلاء الداجو وبين التاجو أو التجوين الذين ذكرهم ابن سعيد(٨٨) ، والادريسي(٨٩) ، على اعتبار أنها صيغة الجمع لكلمة تاجو ، فصارت تاجوين(٩٠) .

كما يمكن الربط بين الداجو أو التاجو وبين الزغاوة الذين كانت لهم مملكة واسعة تقع بين النوبة وكانم(٩١) . اذ يفهم من ابن سعيد أن الداجو كانوا فرعاً من الزغاوة ، وأنهم جنس واحد ، وأنهم انحدروا من النيل الى مواطنهم فى الصحراء الواقعة بين النوبة وكانم هرباً من البعوض الذى يؤذى الناس والخيول ، وأنه كانت لهم مدينتان كبيرتان

(86) Ibid : p. 269.

(٨٧) تاريخ حضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ٣٧٤

(٨٨) بسط الأرض فى الطول والعرض ، تطوان ، المغرب ،

سنة ١٩٥٨ ، ص ٣٠

(٨٩) نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، عالم الكتب ، بيروت ،

الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٩ ، ج ١ ، ص ٣٠

(٩٠) الشاطر بصيلى عبد الجليل : تاريخ وحضارات السودان

الشرقى والأوسط ، ص ٣٧٤

(٩١) المرجع السابق ، ص ٣٧٤

يمكن أن تكونا عاصمتين ، احدهما مدينة تاجوه التي يمكن أن تكون مشنقة أو نسبة إلى التاجو ، والتي قال عنها ابن سعيد أنها سلطنة ، وأنها قاعدة الزغاويين ، وحدد موقعها بأنها تقع على مسافة مائة ميل غربى نهر النيل ، وتقع على خط طولى ٥٥ درجة وخط عرض ١٤ درجة ، والمدينة الثانية هى مدينة زغاوة التي تقع جنوب المدينة السابقة وتقع على خط طول ٥٤.٥٤ درجة ، وخط عرض ١١ درجة و ٣٠ دقيقة (٩٢) .

ويبدو أن خطوط الطول التي ذكرها ابن سعيد غير دقيقة ، وذلك بالنظر إلى الخرائط الحديثة التي تجعل من خط الطول ٥٥ الذى تقع عليه مدينة تاجوه هو خط طول ٢٥ ، وخط طول ٥٤ الذى تقع عليه مدينة زغاوة والتي سماها الادريسي «مدينة سمنة» (٩٣) هو تقريبا خط طول ٢٤ . وربما كانت سمنة هى نفسها مدينة سونة التي جاءت فى خريطة التونسي (٩٤) والتي تقع فى شمال مدينة الفاشر الحالية . وربما كانت سمنة أو سويئة تقع فى تلال سيمييات على بعد عشرين ميلا شرقى مدينة الفاشر حيث تعيش جماعة تعرف بهذا الاسم ، ثم انتقلت جماعات سيمييات الى حدود وأدای ، وهناك عرفوا باسم سيميار ويزعم هؤلاء الانتساب الى الداجر القدماء (٩٥) .

ومما يدل على صحة ما نذهب اليه ان ابن سعيد نفسه حدد « مجالات التاجويين والزغاويين » فقال انها « تمتد فى المسافة التي تقع بين قوس نهر النيل من الجنوب الى الشمال » (٩٦) . وهذه المنطقة تقع تقريبا شرق خط ٣٠ درجة ، وتمتد غربا الى المنطقة التي تقع

(٩٢) ابن سعيد : نفس المصدر ، ص ٢٨ ، ٣٩

(٩٣) نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ٣٠

(٩٤) التونسي ، نفس المصدر ، ص ١٤٧ ، وانظر خريطة رقم ١

(٩٥) مصطفى سعد : سلطة دارفور ، ص ٢٢٤

(٩٦) بسط الأرض فى الطول والعرض ، ص ٣٠

شمال دارفور . ولا زال الداجو والزغاوة لهم وجود فى دارفور حسبنا
ذكرنا من قبل عند حديثنا عن السكان فى هذا الاقليم ، مما يدل على
امتداد ساطان هذه القبائل الى دارفور ، وتوطنهم فيها فى الأماكن التى
مازالوا يسكنونها حتى الآن والتى أشار اليها التونسى حينما زار هذا
الاقليم (٩٧) .

ويرجح بعض المؤرخين أن الداجو سلالة سودانية قديمة وانهم
لبسوا من البربر أو من الزغاوة ، غير أنهم مدينون فى قيام دولتهم هذه
الى مهاجرين أرقى منهم حضارة ، وانشأ هؤلاء المهاجرون طبقة حاكمة
خضع لها الداجو . وليس من المعروف تماما مصدر هذه الطبقة الحاكمة ،
ويغلب على الظن أنها جاءت من الشرق ، أى من وادى النيل ، والدليل
على ذلك هو توزيع جماعات الداجو ، إذ أن امتدادهم من الشرق
الى الغرب يساعد على هذا الاستنتاج . ذلك أنه كان للداجو مواطن
موزعة بين كردفان ودار صليح (وادى) وفى اقليم بحيرة تشاد (٩٨) ،
كما أن عادات السلاطين تتشابه فى هذه البلاد (٩٩) .

وربما يعود توزيع الداجو وتشتتهم على هذا النحو الى ضعف
دولتهم وتعرضها لغزوات أتت من ناحية النوبة ، وغزوات أخرى أتت
من ناحية الكانم ، ولهجرات أتت من الشمال والشرق ، وهى هجرات
عربية . أما غزوة دولة النوبة فقد أشرنا اليها وقلنا أنها تسببت فى تخريب
عاصمة الداجو المعروفة باسم سيميا Simia والتي يمكن أن تكون هى
سمنة التى أشار اليها الادريسي (١٠٠) كما سبق القول ، وذلك حوالى
منتصف القرن الثانى عشر للميلاد .

(٩٧) تشحيذ الأذهان ، ص ١٣٦ ، ١٣٨

(٩٨) مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، ص ٢٢٤ ،

Arkell : The history of Dorfur (S. N. R.) 11, pp. 228, 234,
1V, p. 244 .

(99) Arkell : The history of Dafur (S.N.R.) II, pp. 228,234

(١٠٠) نزهة المشتاق ، ج ١ ص ٣٠

. ومعنى ذلك ان دولة الدايجو كان لها وجود قبل ذلك التاريخ ، وربما امتد هذا الوجود الى القرن السابع او الثامن للميلاد ، حيث تشير بعض المراجع الى انه حدثت هجرات لقبائل اتت الى دارفور من الشمال عن طريق نهر النيل من ناحية ، وعن طريق الصحراء من ناحية اخرى حوالى القرن السابع للميلاد ، واستطاعت هذه القبائل ان تطرد جماعات السود الى الجبال وأن تقيم فى هذه المنطقة ممالك خاصة بها(١٠١) .

والغالب أن الدايجو كانوا ضمن هذه القبائل التى هاجرت الى دارفور فى تلك الفترة ، ثم تمكنت من التغلب على غيرها من القبائل واقامت دولة استمرت حتى تعرضت الى الغزوة النوبية التى اشرفنا اليها ، وادت الى ضعف دولة الدايجو وانقسامها الى دويلات حوالى عام ٤٩٨ هـ / ١٢٠٠ م ، ثم تعرضت هذه الدولة مرة ثانية لتهديد جديد من دولة الكانم حوالى ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م وذلك بسبب النزاع بخصوص السيطرة على طرق التجارة التى تمر عبر الصحراء وتمتد من شمال دارفور وتتجه الى مصر عن طريق سليما Selima وجزيرة ساي Sai على نهر النيل ، أو عن طريق بئر النطرون عبر الصحراء شمالا الى الواحات المصرية الى اسيوط فيما يعرف بدرب الأربعين(١٠٢) . وقد استطاع المساي دوناما دباليمى سلطان الكانم (٦١٨ - ٦٥٧ هـ / ١٢٢١ - ١٢٥٩ م) ان يؤمن السيطرة على هذا الطريق وينشئ محطات فى مرتفعات تنجابو Tagabo وفى وادى الكعب ، ولا يمكنه ان يفعل ذلك الا اذا كان له سلطان على شمالى دارفور(١٠٣) .

وهناك دلائل تدل فعلا على سيطرة الكانم على شمالى دارفور حيث كان يقيم الزغاوة والدايجو ، اذ يشير ابن سعيد فى القرن السابع

لنهجرة / الثالث عشر للميلاد الى ان الزغاويين كان معظمهم مسلمين
وكانوا تحت طاعة الكانمي «(١٠٤) ، وأن « أهل تاجوه قاعدة الزغاويين
أسلموا ودخلوا في طاعة الكانمي »(١٠٥) .

وهناك من يقول بأن زغاوة دارفور من أصل لبيي(١٠٦) ، وأنهم
كانوا يعيشون من قبل في بلاد الكانم في الشمال الشرقي لبحيرة تشاد ،
وأنهم فرع من بربر صنهاجة المثلثين لأن اسمهم ما هو الا صيغة معربة
من كلمة بربرية تعنى « الناس الحمر » تميزا لهم عن السود الذين
كانوا يسكنون الكانم والبرنو ، ولذلك فان كلمة زغاوة في لغة الطوارق
من البربر تعنى « ناس برنو » . ويبدو ان اسم الزغاوة أصبح اسما
محليا في كانم وان هذا الاسم الذى كان موجودا في كانم في القرن
التاسع للميلاد انتقل الى منطقة شمالى دارفور ، وظل بها وانتهى في
بلاد الكانم في فترة عظمتها في القرن الثالث عشر للميلاد حيث لم تعد
تعرف بهذا الاسم أو تعرفه ، بينما ظل في دارفور ، حيث مازال الزغاوة
الموجودون بها يدعون أن أصلهم من الكانم والبرنو ، كما أن تقاليدهم

(102) Arkell : A history of the Sudan, p. 200 & The history of
Dorfur (S.N.R) IV, pp . 270, 271, 274.

(103) Ibid : 274.

(١٠٤) بسط الأرض في الطول والعرض ، ص ٢٩
(١٠٥) المصدر السابق ، ص ٣٠ . وقد أشار ابن سعيد في
موضع آخر الى جماعة أخرى من الداجو وقال عنهم أنهم عصاة خارجون
على طاعة الكانمي ، وقال أنهم كفررة عصاة يالفون الصحارى والجبال
(انظر : بسط الأرض ، ص ٣٠) ، مما يدل على ان هذه الجماعة
من الداجو ليسوا هم الداجو الذين كانوا يعيشون في شمال دارفور
وأسلموا ودخلوا في طاعة ملك الكانم ، أما الأولون فكانوا يعيشون
بعيدا وشمالا في الصحراء الكبرى ولا سلطان لملك الكانم عليهم لعدم
بلادهم وتوغلها في الصحراء .

(106) Mandour , op. cit, 133.

هى نفس تقاليد زغاوة هذين البلدين(١٠٧) . وهذا الرأى فى مجمله يدل على صلة الكانم بزغاوة دارفور ، كما يدل أيضا على سيطرتها على شمالى هذا الاقليم اثناء فترة قوتها واتساعها .

وهناك أيضا آثار كثيرة تدل على تأثيرات ثقافية للكانم على ثقافة دارفور فى تلك الفترة ، مما يؤيد القول بسيطرة الكانم على شمال دارفور فى القرن الثالث عشر للميلاد . فبالإضافة الى ما أشار اليه ابن سعيد من ان الزغاوة أصبحوا مسلمين وأصبحوا تحت حكم الكانم ، هناك أيضا بعض التنظيمات الادارية فى دارفور كانت على مثال تنظيم دولة الكانم والبرنو ، وهناك التماثل بين مساجد وقصور عين فرح فى دارفور وتلك التى فى جامبارو ونجزر جامز فى بلاد الكانم والبرنو(١٠٨) .

ويبدو أن قبضة الكانم على شمالى دارفور قـت تهاوت حوالى منتصف القرن الرابع عشر للميلاد ان لم يكن قبل هذا التاريخ ، بسبب النزاع على السلطة فى بلاد الكانم نفسها ، وبسبب دخول عنصر جديد فى دارفور فى ذلك الوقت . وكان هذا العنصر هو عنصر العرب الذين بدأت جموعهم البدوية تنصب فى السودان من مصر عن طريق وادى النيل حوالى عام ٦٩٩ هـ / ١٣٠٠ م . ومن المحتمل أن هؤلاء البدو من العرب مروا عبر مراعى كردفان والاقليم المفتوح فى شمالى دارفور المعروف باسم دار زغاوة الذى يقع فى شمال المرتفعات على الحافة الشمالية التى تقع فيها مدينة أورى Uri . وهكذا أجتاح العرب دار الزغاوة وحطموا مملكة الداـجو الذين كانوا هم السلطة الحاكمة فى دار الزغاوة ، تلك الدار التى كانت تعرف باسم زغاوة ميرا ، وفر امام العرب بعض حكام الداـجو الى المناطق الغربية ، حيث استقروا فى دار سلا التى تقع على الحواف الجنوبية لوادى ، واستقر بعض هؤلاء العرب فى دارفور ، بينما واصل بعضهم الآخر زحفهم غربا حتى وصلوا

(107) Ark.ell : The history of Dorfur (S.N.R) II, pp. 223 -

244, IV, pp. 269 ? 270.

(108) Ibid : S. N. R. IV, p. 267.

بلاد الكانم فى شمال شرق تشاد ، وأثاروا هناك اضطرابات شديدة
اشتكى منها سلاطين الكانم لسلاطين مصر (١٠٩) .

وعلى أية حال فقد كان للداجو وشعبهم من الزغاوة مملكة واسعة
فى اقليم دارفور وخاصة فى الجزء الشمالى منه ، وتشير المباني
الحجرية التى كان يستعملها الداجو والتى وصلت الى مرحلة عالية من
التطور تحت حكم التنجور الذين خلفوهم فى حكم هذا الاقليم ، الى
الرقى والتقدم التدريجى لهذا العصر من الحضارة الذى أدخله الداجو
الى البلاد منذ العصور الأولى ، كما يتبين أيضا من حقول الزراعة
وسلسلة الآبار المبنية بالحجارة وأيضا من التشابه الواضح بين مخلفات
داجو واره *Doju wara* فى مسميات *Simiat* ، وتنجور واره
الأوائل (١١٠) .

أما الديانة التى كان يعتنقها الداجو فان المدونة التى حصل عليها
ناختيجال من أمير الداجو الذى كان يحكم دار سلا ، ذكرت بوضوح أن
ملوك الداجو الستة الأوائل الذين كانوا يحكمون فى جبل مرة كانوا
وثنيين (١١١) .

ومن الطقوس الوثنية التى كانوا يتبعونها عند تنصيبهم فى واره
wara ، أن الملك أو السلطان كان يقضى سبعة أيام على جبل
ثريا ، حيث يضحى هناك بعدد كبير من الجمال والمناشية والأغنام على
شرف أجدادهم الأوائل . وكانت هذه التقاليد متبعة عند تنصيب السلطان

(١٠٩) القلقشندى : صبح الأعشى ، طبعة وزارة الثقافة والارشاد

القومى بمصر ، بدون تاريخ ، ج ٨ ص ١١٧ ،

Arkell : A history of the Sudan, p 200 & The history of Darfur

(S.N.R.) IV, pp 271-274.

(110) Arkell : The history of Darfur fut (S.N.R.) II, p.
221, IV, p. 272.

(111) Ibid : S. N. R., II, p. 227 .

بالنسبة لزغاوة كوب في شمال غربى دارفور ، وكان يؤتى بجمل عند تعيين هذا السلطان ويؤخذ الى مرتفع من الأرض ويذبح ويخوض السلطان بقدميه ويديه فى دمه ، ثم يرقد على سرير حيث يصب عليه الماء ثم يلبس ملابس جديدة ، وينعم بملابس جديدة للميرا ورجال تورى Turi (١١٢) .

كما كان من التقاليد الوثنية التى حافظ عليها حكام الداو الأوائى والذين لم يكونوا قد اعتنقوا الاسلام بعد ، انهم كانوا يشعلون النار عند اختيار ملوكهم ، وكان يحافظ على هذه انار مشتعلة بعناية حتى وفاته . والرحالة الانجليزى براون Browne الذى زار دارفور وظل فيها نحو ثلاث سنوات من يولية ١٧٩٣ الى مارس ١٧٩٦ م ، هو اول من تحدث عن هذه الظاهرة(١١٣) .

ويبدو أن هذه الظاهرة وهى ظاهرة النار المقدسة ظلت موجودة منذ ذلك التاريخ وحتى القرن الماضى عند الوثنيين من أهل دارفور ، بل وعند بعض المسلمين الذين كانوا يحاولون الاحتفاظ بهذه العادة الغير اسلامية سرا حسبما ذكر ناختيجال الذى زار دارفور فى عام ١٨٧٤ م وقال ان رئيس الخصيان المسمى ابو شيخ كان يحتفظ فى منزله بنار مقدسة ، وانه كان لا يسمح بخروجها الا عند وفاة السلطان فقط ، وأن نارا مشابهة كانت تحفظ مستقلة فى قصر السلطان . ويعلق آركل تلى كلام ناختيجال بأنه كلام لا شك فيه ، وان هذه العادة الغير اسلامية كان يحتفظ بها سرا(١١٤) حتى انتهى حكم الداو ، وظهر على مسرح الأحداث فى دارفور شعب التنجور الذى استولى على السلطة واقام لنفسه دولة فى هذه البلاد .

وقد تمكن التنجور من السيطرة على دارفور بعد أن تعرض حكامها

(112) Ibid : S.N.R, II, p. 230.

(113) Ibid : S.N.R, II, p. 235.

(114) Ibid : S. N. R, II, p. 235.

السابقون من الدايجو الى ضربات شديدة كما قلنا سواء من الكانم أم من العرب الذين نزحوا اليها منذ القرن الثانى عشر للميلاد .
ولما كان التججور من ذوى أصول اختلف فيها حتى قال البعض أنهم من عرب بنى هلال من شمال افريقيا ، وقال آخرون أنهم من بقايا العباسيين الذين هاجروا الى السودان بعد زوال دولتهم ، وثالث قال بأنهم من النوبيين الذين هاجروا من دنقلة الى دارفور ومدوا نفوذهم على وادى وأرغموا الكانم أحيانا على دفع الجزية ، ورابع قال بأنهم من التبو البربر وأنهم هاجروا من اقليم تبستى تحت ضغط بنى هلال في شمال افريقيا(١١٥) .

نقول لما كانت أصول التججور على هذا النحو مختلفة ودخض فيها عنصر عربى اسلامى ، لذلك فضلنا ان نرجىء البحث فى تاريخهم بعد ان صار هناك شك فى أنهم عنصر وثنى أقام دولة وثنية ، ليكون الحديث عنهم ضمن الحديث عن الهجرات العربية ، وعن الدول التى قامت نتيجة لهجرة العرب الى هذا الاقليم .

وكذلك الحال بالنسبة لتاريخ الفور الذين حكموا دارفور بعد التججور ، وأقاموا سلطنة دارفور الاسلامية ، فقد أرجأنا بحث تاريخهم لنفس الأسباب ليكون الحديث عنهم حين تعرضنا للكلام عن بداية تاريخ سلطنة دارفور الاسلامية التى أنشأتها أسرة كبرا على يد سليمان سولون ، أول سلاطين هذه الأسرة التى تنتمى الى شعب الفور .

ومع ذلك فان ما سقناه حتى الآن من حديث عن دارفور يعطى صورة واضحة عن جغرافية هذا الاقليم ، وعن سكانه ، وعن معالم تاريخه القديم ، وما نشأ فيه من كيانات سياسية أهمها مملكة الدايجو الذين حكموه حتى القرن الثالث عشر للميلاد ، حيث انهارت دولتهم نتيجة لندخل دولة الكانم من ناحية ، ونتيجة لقدم البدو من العرب المهاجرين الى هذا الاقليم من ناحية اخرى .

الفصل الثاني

أسباب الهجرة العربية إلى دارفور

تعود هجرات العرب إلى دارفور إلى زمن متقدم وليس كما يظن البعض إلى القرن الخامس عشر أو السادس عشر للميلاد حينها قامت سلطنة دارفور الإسلامية كنتيجة مباشرة لاحدى هذه الهجرات حسبما قالوا . ذلك أن بعض العرب هاجروا إلى هذا الاقليم وكما سنرى قبل القرن العاشر للميلاد ، وازدادت هذه الهجرة زيادة كبيرة بعد القرن الثاني عشر للميلاد ، وصارت سيلا جارفا في القرن الرابع عشر للميلاد عقب سقوط مملكة مقرة الوبية المسيحية في عام ٧٢٣هـ/١٣٢٣م .

وقد أتت هذه الهجرات إلى هذا الاقليم لأسباب وعوامل متنوعة، ومن بلدان عديدة ، وعبر مسالك وطرق مختلفة . ولا بد من بيان وتفصيل لكل هذه الأمور حتى نعرف كيف ولماذا كانت هجرة العرب إلى هذا الاقليم الهام من اقاليم السودان الشقيق .

(١) العوامل التي أدت إلى هجرة العرب إلى دارفور :

العوامل التي أدت إلى قدوم الهجرات العربية إلى دارفور كثيرة ومتنوعة ، بعضها يتصل بالعوامل السياسية ، وبعضها الآخر يتصل بعوامل البيئة الطبيعية الخاصة بهذا الاقليم ، وثالثة تتصل بموقع الاقليم واثره في قدوم هذه الهجرات ، ورابعة تتصل بالتجارة والنشاط التجارى الذى كان له اثره في قدوم كثير من العرب إلى دارفور .

١ - العوامل السياسية :

تعددت العوامل السياسية التي أدت إلى هجرة العرب إلى اقليم دارفور ، وأول هذه العوامل ما يتصل بسوء العلاقة بين عرب مصر

وبين حكامها . وقد نشأ سوء العلاقة هذا كما هو معروف منذ أن أمر الخليفة العباسي المعتصم بالله واليه على مصر باسقاط أسماء العرب من الديوان وقطع العطاء والرواتب والأرزاق عنهم منذ عام ٢١٨هـ / ٨٣٣م (١) ، فثار العرب في مصر وانتهى الأمر بهزيمتهم وتخليهم عن نفوذهم وسلطانهم لعناصر أخرى غير عربية (٢) .

ويورد المقرئى فقرة طويلة تبين هذا الحال وتدل على النتائج التى ترتبت عليه فيقول :

« فانقرضت دولة العرب من مصر وصار جندها العجم والموالى من عهد المعتصم الى أن ولى الأمير أبو العباس أحمد بن طولون مصر واستكثر من العبيد ، وبلغت عدتهم زيادة على أربعة وعشرين ألف غلام تركى ، وأربعين ألف أسود ، وسبعة آلاف حر مرتزق ٠٠٠ فلما كانت إمارة محمد بن طغج الأخشيد على مصر بلغت عدة عساكره بمصر والشام أربعمائة ألف تشتمل على عدة طوائف . ثم أن الأستاذ أبا المسك كافور الأخشيدى استجد عدة من السودان فى أيام تحكيمه بمصر ، فلما تغلب المعز لدين الله الفاطمى على مصر صارت عساكرهما ما بين كتامة وزويلة ونحوها من طوائف البربر ، وفيهم من الروم والصقالية ٠٠٠ ولما زالت دولة الفاطميين على يد صلاح الدين الأيوبي أزال جند مصر من العبيد السود والأمراء المصريين والعربان والأرمن وغيرهم واستجد عسكرا من الأكراد والأتراك خاصة ٠٠٠ أما المماليك فقد اقتصروا على الأتراك » (٣) .

وهكذا كانت سياسة الحكام منذ المعتصم باستخدام العناصر غير

(١) الكندى : تاريخ مصر وحضارتها ، بيروت ، سنة ١٩٨٧م ،

ص ١٥١

(٢) المصدر السابق ، ص ١٥٢ ، ١٥٨ .

(٣) الخطط المقرئية ، ج ١ ، ص ١٦٨ ، ١٦٩

الريية فى الجيش . ولم يقتصر الأمر على اختيار جند مصر من غير العرب ، بل ان حكايها انفسهم صاروا من غير العرب منذ أن عزل عنبسة ابن اسحاق الضبى فى عام ٢٤٢هـ/٨٥٦م ، وكان اختيارهم يتم من بين الأتراك الذين يكرهون العرب ويحقدون عليهم (٤) . وبهذا فقد العرب نفوذهم القديم وعانوا ضيقا اقتصاديا شديدا بسبب ما فرض عليهم من اتاوات وضرائب مختلفة ابتدعها ابن المدبر والى الخراج فى مصر فى الفترة من عام ٢٣٨ هـ / ٨٥٢ م الى عام ٢٥٣ هـ / ٨٦٧ م . واثارت هذه التدابير المالية الجديدة حفيظة العرب على الأتراك فقاموا بعدة ثورات فى أنحاء مختلفة قمعها الأتراك بعنف وقسوة وزجوا بزعماء العرب فى السجن وفرضوا عليهم غرامات باهظة (٥) .

وكان لهذا الضغط السياسى والاقتصادى أسوأ الأثر فى فرس العرب ، وبدأت جماعات كثيرة تسعى للرحيل والهجرة ، ولم يكن امامهم الا الانسياب جنوبا وغربا بعيدا عن ضغط الأتراك واستبدادهم بحكم مصر . وحانت الفرصة عندما أعلن أحمد بن طولون الذى أسس الدولة الطولونية التركية فى مصر عام ٢٥٤هـ/٨٦٨م عن اعداد حملة حربية تتجه الى بلاد النوبة وارض البجة بقيادة أبى عبد الله ابن عبد الحميد العمري لتأديب ملوك هذه البلاد لاعتدائهم على صعيد مصر ، فاشترك فيها كثير من العرب معظمهم من ربيعة وجهينة (٦) .

(٤) الكندى : نفس المصدر ، ص ١٥٨

Mac Michael, The Coming of the Arabs to the Sudan , pp, 49-50.

(٥) مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى ،

ص ١٢٤

(٦) الكندى : نفس المصدر ، ص ١٦٨ ، مصطفى مسعد ، الاسلام

والنوبة ، ص ١٢٤

ويلاحظ أن اعتداء ملوك النوبة على صعيد مصر وواحاتها توالى بعد ذلك فى العصور التالية ، وذلك اذا ما أصبح هؤلاء الملوك على شئ ==

وعلى ذلك فان العرب الذين اشتركوا فى هذه الحملة لم تكن أهدافهم الوحيدة مجرد تأديب البجة أو النوبة ، بل كان هدفهم هو البحث عن مهاجر جديدة تتسع لهم بعد أن ضاقت بهم الحياة فى مصر (٧) .

وخلال عصور التاريخ المختلفة وحتى تم القضاء على دولة الماليك فى مصر فى نهاية العصور الوسطى ، اتبع كثير من العرب هذا الأسلوب وهو مصاحبة بعض الحملات العسكرية التى كانت تنتج الى بلاد السودان لتأديب النوبيين والبجة ، اذا ما رفضوا دفع البقظ أو اذا ما هددوا حدود مصر الجنوبية وأغاروا على سكانها . والمثال على ذلك هو ما حدث عندما أرسل السلطان المنصور قلاوون حملة على بلاد النوبة عام ٦٨٦هـ / ١٢٨٧م فقد ضمت هذه الحملة كثيرا من عربان الديار المصرية من الوجهين القبلى والبحرى . ويحدثنا المقرئى بان بنى هلال على سبيل المثال كانوا ضمن عربان الصعيد الذين اشتركوا فى هذه الحملة

= من القوة والمنعة . والأمثلة على ذلك كثيرة ، منها ما حدث فى عام ٣٣٩ هـ / ٩٥٠ م من اغارة ملك النوبة على الواحات ، وما حدث بعد ذلك بخمس سنوات من اغارته على أسوان حيث قام النوبيون فى كلتا الغزوتين بقتل الرجال وسبى النساء وحرق البيوت والدور .

انظر : الخطط المقرئية ، ج١ ص ٣٤٩ ، ٤١٤ ، احمد كاتب الشونة : مخطوط كاتب الشونة ، ورقة ١٢٧ ، بتشر : تاريخ الأمة القبطية ، ج٢ ص ٢٨٨ ، ٢٩٣ ، سيدة الكاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ، ص ٣٥٨ ، ٣٥٩ .

ونفس الشيء يمكن أن يقال عن هجوم ملوك النوبة على جنوبي مصر فى عصر الفاطميين والأيوبيين والمماليك ، وكان حكام مصر يردون على هذه الهجمات بغزو هذه البلاد بمساعدة عربان الصعيد فى كثير من الأحيان .

(٧) مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ، ص ١٢٥

وإن الحماية انقسمت فرقتين ، فرقة اتبعت البر الغربي من النيل ، والأخرى سارت فى البر الشرقى (٨) .

وكان كثير من هؤلاء العربان تحت ضغط المماليك وكراهيتهم لهم يفضلون عدم العودة مع الجيش بعد انتهاء مهمته ، ولذلك ليس ببعيد أن يكون بنو هلال وغيرهم من العرب اتخذوا طريق البر الشرقى مع الفرقة الأولى ، ثم تسربوا الى السودان واستقروا فى غربه فى كردفان ودارفور (٩) . ولذلك أننا نجد فى غرب السودان عدداً من الجماعات تنتسب الى الهلاليين أو الى أبى زيد الهلالى ، منهم التنجور والفور والرزيقات وهلالية البرقد والزيادية (١٠) ، وكل هؤلاء يعيشون فى دارفور . والى هذا التاريخ بل ومنذ حملة أحمد بن طولون التى أشرنا إليها والتى تعود الى القرن الثالث للهجرة / التاسع للميلاد يمكن أن نرجع بداية هجرات العرب الى دارفور .

وإذا كان الأتراك فى عهد الطولونيين (٢٥٤ - ٢٩٢ هـ / ٨٦٨ - ٩٠٥ م) والاخشيديين (٣٢٣ ... ٣٥٨ هـ / ٩٣٥ - ٩٦٩ م) قد ضغوا على العرب فى مصر حتى أكرهوهم على النزوح والهجرة الى هذه البلاد منذ ذلك العصر المبكر ، فان من جاء من بعدهم بن الفاطميين (٣٥٨ - ٥٦٧ هـ / ٩٦٩ - ١١٧٢ م) فعلوا نفس الشيء . فقد شهد عصر

(٨) المقرئى : السلوك للعرفة دول الملوك ، ج١ قسم ٣ ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٥٧ م ، ج١ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧

(٩) عبد الحميد عابدين : دراسات فى تاريخ العرب والاسلام . ضمن تحقيقه لكتاب البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب للمقرئى ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٦١ م ، ص ١٥٢ ، الشاطر بصيلى ، : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ٤٨٣

(١٠) عبد الحميد عابدين : نفس المرجع ، ص ١٥٢

المستنصر بالله الفاطمى (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ / ١٠٣٦ - ١٠٨٥ م) على وجه الخصوص عداء متبادلا وعنيفا بين حكومة مصر وبين البدو النازحين الى الصعيد ، بعد ان اشتد الأذى الذى لحقه هؤلاء البدو بالفلاحين المصريين ؛ وبعد أن ضايقوا حكام الصعيد (١١) ، مما أدى الى سوء العلاقة بين الفاطميين وبين القبائل العربية الى حد بعيد ، ورأى الفاطميون ضرورة التخلص من بعض هذه القبائل ، وخاصة بنى هلال وبنى سليم الذين كانوا قد استقدموهم من بلاد الحجاز ووطنوهم فى صعيد مصر ، فدفعوهم الى بلاد المغرب للقضاء على بنى زيرى الصنهاجيين الذين كانوا قد أعلنوا التمرد والعصيان على حكم الفاطميين (١٢) .

وفى نفس الوقت مارس الفاطميون ضغوطهم على من بقى بالصعيد منهم ومن القبائل العربية الأخرى ، فاندفعت بعض بطونهم الى بلاد النوبة بعد أن أغراها النجاح الذى حققه اخوانهم من المهاجرين السابقين ، وتحقيقا لما يريدونه من حياة الاستقرار والاستقلال بعيدا عن تضيق سلطات مصر واستئبادهما بهم (١٣) .

ويفيدنا ابن سليم الأسوانى الذى زار بلاد النوبة اواخر القرن العاشر للميلاد بأن تيار الهجرة العربية قد اشتد الى هذه البلاد قبل عصر المستنصر بالله الفاطمى ، حيث أن المنطقة الممتدة من أسوان حتى الشلال الثالث كان العرب يتصرفون فيها تصرف الملاك وأصحاب البلاد ، لا تصرف المهاجرين اللاجئين ، وأن اضطراب العلاقات السياسية بين مصر والنوبة لم يحل دون هذه الهجرات ، وأن المسلمين كانوا هناك متمتعين بكامل استقلالهم ، وأنهم اندمجوا فى حياة الناس وتعلموا لغتهم وفهموا عاداتهم وتقاليدهم (١٤) .

(١١) الحسن الوزان : نفس المصدر ، ج٢ ص ٢٣٨

(١٢) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٢٩٠

(١٣) المرجع السابق ، ونفس الصفحة .

(١٤) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

ولا شك أن وجود العرب في بلاد النوبة على هذا النحو ، وخاصة بعد أن أقاموا إمارة عربية نوبية تعرف باسم إمارة بنى كنز ، اتخذت أسوان مركزا لها وامتدت نفوذها جنوبا في أرض مريس واعترفت بها الخلافة الفاطمية في عهد الحاكم بأمر الله بعد أن ساعد أمير ربيعة الذي أقام هذه الإمارة في القضاء على أحد الثائرين ضد هذا الخليفة والمعروف باسم أبي ركو ، مما جعل الخليفة الحاكم يأمر الله بهنح هذا الأمير لقب كنز الدولة الذي توارثه أبناؤه وصار علما عليهم وعلى أمارتهم فيما بعد (١٥) .

نقول أن وجود العرب على هذا النحو في بلاد النوبة والسودان سوف يقودنا الى نتيجتين : النتيجة الأولى هي التمهيد لانهبهار مملكة مقرة النوبية المسيحية ، والنتيجة الأولى هي نزوح بعض هؤلاء العرب الذين استقروا في النوبة الى دارفور واستقرارهم فيها . ذلك أن بلاد النوبة بعد أن غلب عليها العرب صارت أحد المواطن الأساسية التي انطلقت منها الهجرات العربية الى شرق وغرب السودان .

وفي عصر سلاطين الماليك (٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م) اشتد العداء بينهم وبين عرب مصر الى حد كبير ، بعد أن أصبح ينظر للعرب فيها على أنهم عنصر غير مرغوب في بقائه ، والى أنهم عناصر خارجة على القانون (١٦) ، وهو بطبيعة الحال قانون الترك في فرض النفوذ والسيطرة المطلقة على كل عناصر السكان والاستبداد بحكم البلاد استبدادا مطلقا .

وعلى ذلك لم يتعاطف مع العرب في مصر أحد ، فقد نظر اليهم الاقباط على أنهم دخلاء ومزعجين ، ونظر اليهم سلاطين الماليك

(١٥) المرجع السابق ، ص ٢٩٠ - ٢٩١

(١٦) مصطفى مسعد : امتداد الاسلام والعروبة الى وادي النيل

الأوسط ، ص ٧٨

باستخفاف ، لأنهم لم يكونوا مفيدين عسكريا اذا ما قورنت قدراتهم العسكرية والقتالية بالقوات العسكرية المدربة المنظمة التى كونها هؤلاء السلاطين من بنى جنسهم من الترك ، كما أنهم كدافعى ضرائب كانوا مراوغين ومماطلين ، وكتابعين كانوا مصدرا دائما للازعاج والفتن ، فقد كانوا يثورون فى أحيان كثيرة رغم أنهم كانوا لا ينجحون فى هذه الثورات (١٧) .

وكانت النتيجة أن جرد عليهم سلاطين المماليك الكثير من الحملات ليس لتأديبهم فقط ، بل وأيضا للقضاء عليهم وابدانهم تماما . من ذلك ما فعله السلطان الناصر محمد بن قلاوون فى عام ٧١٣هـ/١٣١٣م حينما « بلغه ما نزل بالصعيد من عيث العربان وفسادهم فى نواحيه واضرارهم بالسابلة ، فسرح العسكر فى كل ناحية منه ، وأخذ الهلاك منهم بأخذه . . واستباحهم من كل ناحية ، وشرذ بهم من خلفهم » (١٨) .

وكذلك ما فعله نفس السلطان من ارسال حملة اخرى بعد ذلك بثلاثة اعوام على راسها ستة امراء بالاضافة الى أمير قوص ، بهدف مطاردة العربان الذين عبثوا بالأمن فى برية الصعيد ، واعتدوا على رسول كان قد قدم من اليمن متجها الى الأبواب السلطانية بالقاهرة ، انتقاما من والى قوص الذى كان قد اعتقل احد أمرائهم ، فأرسل السلطان حملة للقضاء على هؤلاء العربان « ومطاردتهم حيث كانوا من البرية » ، وانتهت هذه المطاردة الى عيذاب ثم الى سواكن التى خرج صاحبها معلنا الطاعة ، فترك الجيش سواكن وتوجه خلف العربان فى البرية ، واتبعوا آثارهم حتى وصلوا الى نهر عطبرة واجتازوه خلفهم حتى وصلوا الى التكاة (كسلا) بالسزدان ومن هنا توجهوا الى جهة الأبواب

(17) Hamilton : The Anglo - Egyptian Sudan from Within,

London , 1925, p. 50.

(١٨) ابن خلدون : نفس المصدر ج ٥ ص ٤٢٧

من بلاد النوبة ، ومنها إلى دنقلة ثم إلى أسوان فالقاهرة فوصلوها في
جبادى الآخرة ، من عام ٧١٧هـ / ١٣١٧م (١٩) .

وقد بلغ تمرد العريان في صعيد مصر مبلغا كبيرا بعد ذلك في عام
٧٥٤هـ / ١٣٥٣م ، حتى أن الملك صالح بن الملك الناصر محمد بن قلاوون
خرج بنفسه على رأس جيشه للقضاء على تمرد هؤلاء العريان الذين كانوا
قد خرجوا قاطبة عن الطاعة بزعاية ابن الأحمد شيخ قبيلة عرك التي
تنتمي إلى جهينة ، والذي التففت حوله قبائل العريان واشتد نفوذه
حتى نادى بالسلطنة لنفسه ، وتحالفت معه جهينة وبنو كلب وعرب
منفلوط وعرب المراغة فيما عرف بالحلف العركي ، وأخذت هذه القبائل
في نهب الزروع والأموال في بلاد الصعيد تحديا منها للسلطان المملوكي ،
فخرج إليهم السلطان بنفسه على رأس قواته ، ودارت بين الفريقين
معارك شرسة قتل فيها خلق كثير وهزم العرب في النهاية وقتل الكثير
منهم وطوردوا إلى بلاد السودان ، « ولم يبق عربي بصعيد مصر » .
وأمر السلطان الأمير شيخو أن يطارد ابن الأحمد إلى آخر بلاد
الزنج ، فسار وراءه سبعة أيام حتى دخل إلى آخر بلاد الزنج ولم
يستطع أن يقضى عليه (٢٠) .

وهكذا ترى أن سلاطين المماليك قد اشتدوا في مطاردة العرب
حتى أنهم تتبعوهم إلى بلاد الزنج ، وقد بلغ عداؤهم للعرب في مصر

-
- (١٩) النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، مخطوط بدار الكتب
المصرية ، معارف عامة رقم ٥٤٩ ، ج ٣٠ ورقة ٩٦ ، ٩٧ ، الشنطر
بصلي : تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط ، ص ٤٨٨
(٢٠) ابن خلدون : نفس المصدر ، ج ٥ ص ٤٥٦ ، ابن آياس :
بدائع الزهور ، ج ١ قسم ١ ، القاهرة ، الطبعة الثانية سنة ١٩٦٣ ،
ص ٥٥٠ ، ٥٥١ ، عبد المنجد عابدين : دراسات في تاريخ العزيرة في
وادي النيل ، ص ١٣٠ - ١٣١

انهم كانوا يشترطون على ملوك النوبة المسيحية الا يتركوا احدا من العربان في بلادهم . وقد حدث هذا الأمر فى عهد السلطان الظاهر بيبرس فى عام ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م ، عندما أرسل هذا السلطان حملة غزت مملكة مقرة ببلاد النوبة بعد اعتداء ملكها على جنوب مصر ، وأخضعت هذه الحملة النوبيين وعينت عليهم ملكا بعد أن فر ملكها المترد ، وأبرمت مع الملك الجديد معاهدة نصت على تبعية مملكة مقرة للسلطنة المملوكية ، وجعلت للسلطان المملوكى حق تعيين وعزل ملوك مقرة ، ونصت على الشرط المشار اليه ، فقد تعهد ملك مقرة الجديد التذعو شكندة للسلطان الظاهر بيبرس بطرد العربان من بلاده ، زمن وجده .نهم يقوم بإرساله الى الباب السلطانى بالقاهرة(٢١) .

كما بلغ عداء المماليك لعربان مصر انهم رفضوا أن يتولى أمير عربى حكم مملكة مقرة النوبية بعد أن اعتلى أحد الأمراء العرب المعروفين فى بلاد النوبة باسم بنى كنز عرش هذه المملكة بمساعدة أهله من بنى كنز ومن انحاز اليه من القبائل العبرية المقيمة فى بلاد النوبة ، ومن النوبيين الذين ثاروا فى عام ٧١٧ هـ / ١٣١٧م على ملكهم المدعو بـ: الله برشنبو المعين من قبل السلطان المملوكى فى مصر ، وقاموا بتنصيب كنز الدولة ملكا عليهم(٢٢) .

غير أن السلطان الناصر محمد بن قلاون رفض الاعتراف بهذا الأمير ملكا على مقرة ، لأن تولية ملك عربى حكم النوبة يؤدى فى نظره الى زوال نفوذ السلطنة المملوكية على هذه البلاد . ولهذا أطلق السلطان سراح أحد الأمراء النوبيين وكان خالا لكنز الدولة ، وحرضه على قتل

(٢١) الزويرى : نفس المصدر ، ج ٢٨ ورقة ١٠٩ ، المقريزى :

السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج١ قسم ٣ ص ٩٧٤

(٢٢) المصدر السابق ، ج ٣ ورقة ٩٥ ، ٩٦ ، مصطفى مسعد :

الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى ، ص ١٦٨ - ١٦٩

ابن أخته وتولى الحكم بدلا منه ، ولكن هذا الخال النوبى فشل فى مهمته بسبب موته ، وتمكن كنز الدولة من السيطرة على البلاد وممارسة حقوقه كملك لها فى عام ٧١٧ هـ / ١٣١٧ م . ولم يهنا للسلطان بال حتى أرسل الى بلاد النوبة حملة ثانية فى عام ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م لخلع كنز الدولة ، ولكنه فشل فى ذلك وتم انتقال حكم مملكة مقرة النوبية من ايدى بلوكها المسيحيين الى ايدى بنى كنز منذ ذلك التاريخ (٢٣) .

ونتيجة لهذا العداء المستمر والمتصاعد من جانب سلاطين الماليك العربان فى مصر وفى بلاد النوبة ، التف هؤلاء العربان حول بعضهم فى شكل أحلاف تقف فى وجه التيار التركى الذى ارتكز على العناصر المجلوبة الى مصر من الأتراك ومن لف لفيفهم . وكان هدف هذه الأحلاف هـ ان تمنع العربان من اضطهاد الماليك لهم وتعمل فى نفس الوقت على الوقوف أمام الحملات المملوكية المتصاعدة والتي تجرد بكثرة للقضاء على عربان الصعيد وعربان بلاد النوبة (٢٤) .

ومع بداية فترة الأحلاف تبدأ المع فترة فى تاريخ الهجرات العربية الى جنوب وأدى النيل ، ولسنا نذهب بعيدا اذا قلنا ان بقايا الأحلاف التى لجأت الى السودان كانت هى العبود الفقري الذى التفت حوله المجموعات العربية التى نراها حتى اليوم فى السودان (٢٥) .

وعلى سبيل المثال فان عرب لخم وجذام الذين أبعدوا عن مساكنهم فى عهود الفاطميين والأيوبيين ، يبدو أنهم تحالفوا فيما بينهم ومع غيرهم

(٢٣) المصدر والمرجع السابقين ، ونفس الصفحات .

(٢٤) عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى

النيل ، ص ١٤٥

(٢٥) عبد المجيد عابدين : المرجع السابق ، ص ١٤٥

من القبائل الأخرى المضطهدة ، واتخذوا اطراف مصر موطناً لهم ولا سيما الأطراف الغربية ، ثم تدفقوا الى غرب السودان فى عصر سلاطين المماليك الذين اضطهدوهم وجردوا عليهم وعلى غيرهم من العرب حملات عديدة أشرنا الى بعضها ، ووصل بعض هؤلاء العرب الفارين من بطش المماليك الى بلاد الكانم والبرنو ، مما أفرغ سلطاتها فاشتكاهم الى سلطان المماليك فى مصر الظاهر برقوق (٢٦) .

ويظهر أن بعض هذه الجماعات تدفقت شرقاً حوالى سنة ٧٩٤ هـ / ١٣٩١ م حتى بلغت شمالى دارفور وقضت على حكم الزغاوة هناك . ولكننا لا نجد اسم جذام فى القبائل التى تعيش اليوم فى دارفور أو فى بلاد السودان بصفة عامة . ويبدو أن هذه القبيلة وأحلافها من اخم وغيرهم قد اندمجوا فى قبائل البقارة والكبابيش الذين يمثلون الغالبية من العرب فى دارفور وكردفان فى الوقت الحاضر ، والذين ينتسبون اليوم الى جهينة ، وان كانوا فى واقع الأمر أحلافاً تجمعت على فترات وتآلفت من بطون عدة ، لعل أهمها جذام وجهينة وهوارة وبنو هلال ، وأحلاف هؤلاء وأولئك ، بن فزارة وسليم ولخم وبللى وغيرهم (٢٧) .

وقد تدفق عرب الحلف الجهنى على بلاد السودان وتوغلوا فيه بعيداً حتى الحبشة فى الشرق ودارفور فى الغرب ، بل وفيما وراء ذلك حتى بلاد الكانم والبرنو كما سبق القول ، وذلك فى القرن الرابع عشر للميلاد ، نتيجة لأن الأحوال فى مصر كانت تدفع قبائل العرب من البدو الى مغادرتها الى أقاليم لا يكونون فيها تابعين لى قوة غريبة عنهم ، أو لى قوة غير عربية تريد فرض نفوذها وسلطانها عليهم (٢٨) .

(٢٦) القلقشندى : نفس المصدر ، ج ٨ ص ١١٧

(٢٧) عبد المجيد عابدين : نفس المرجع ص ١٤٦ - ١٤٧

(28) Arkell : A history of the Sudan, p. 199 & Mac. Michael ,

The Coming of the Arabs to the Sudan, pp. 54 - 55.

ومن الأسباب السياسية الأخرى التى دفعت ببعض عربان مصر الى النزوح الى دارفور وبلاد السودان عامة هى قيام النزاع بين بعض القبائل العربية فى مصر ، وتدخل المماليك فى هذا النزاع الذى كان يقوم فى الغالب بسبب التنافس على الزعامة ، مما كان يدفع بالفريق المهزوم الى الهجرة الى أرض جديدة يستطيع أن يمارس فيها حياته فى حرية بعيداً عن سيطرة المنتصرين والمتغلبين عليهم .

والمثال على ذلك ما حدث من نزاع فى بلاد الصعيد بين الحلف العركى وحلف الهلاليين فى عام ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م ، وانتهز المماليك الفرصة وتدخلوا فى هذا النزاع فى جانب بنى هلال ، وقتل فى الصراع الذى دار بين الفريقين عدد كبير من المماليك وأمرائهم ، مما جعل المماليك يشنون حرباً عنيفة على العركيين وحلفائهم (٢٩) . ونتج عن ذلك أن هاجر كثير من العركيين الذين يدخلون فى مجموعة جهينة الآن الى بلاد السودان وسكنوا قرى الجزيرة بين النيلين الأبيض والأزرق ، وقرى غرب السودان ، أى فى دارفور وكردفان (٣٠) .

والمثال الآخر على قيام النزاع بين بعض القبائل العربية فى مصر وهجرة بعضها الى دارفور وبلاد السودان ، هو ما حدث أيضاً من نزاع بين هواة وبين قبائل زناره وحلفائهم من بقية عرب البحيرة فى أواخر القرن الرابع عشر للميلاد . وكان هؤلاء الهواوير يعيشون فى منطقة تمتد من مديرية البحيرة ومن الاسكندرية الى مسافة بعيدة تمتد نحو الغرب والجنوب ، وظلوا مقيمين فى هذه المناطق حتى قام النزاع بينهم وبين قبائل زنارة وحلفائهم ، مما أجبرهم الى النزوح عن أوطانهم هذه الى صعيد مصر ، فنزلوا بالأعمال الأخميمة فى جرجا وما حولها ، ثم قوى

(٢٩) انظر ، ص ٥٧ ، عبد المجيد عابدين : نفس المرجع ،

ص ١٢٩ - ١٣١

(٣٠) عبد المجيد عابدين : نفس المرجع ، ص ١٥٠

امرهم واشتد بأسهم وكثر جمعهم حتى انتشروا فى معظم أنحاء الوجه القبلى فيها بين أعمال قوص والى غربى الأعمال البهنساوية ، وصارت الامرة لهم فى تلك الجهات حتى عصر القلقشندى ، وامتد نفوذهم الى مديرية قنا وهاجموا ثغر أسوان وهزموا بنى كنز فى عام ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م ، مما يدل على أن هذه القبيلة تقدمت جنوبا كذلك فى ارض النوبة . ولما زاد نفوذ الهواوير على هذا النحو فى صعيد مصر وبلاد النوبة منذ منتصف القرن الرابع عشر للميلاد ، اضطرت حكومة المماليك الى محاربتهم واخضاعهم ، فانقل بعضهم الى بلاد النوبة ، وهاجر آخرون الى شمالى دارفور بعيدا عن ضغط المماليك ، واشتغلوا هناك بالتجارة ، وصاروا يعرفون باسم الهزارة الجلابية (٣١) .

وثالث الأسباب السياسية التى أدت الى زيادة تدفق العرب الى السودان وبالتالي الى دارفور ، هو السقوط النهائى لمملكة مقرة النوبية المسيحية فى عام ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م ، وقيام مملكة عربية اسلامية . ذات ، حلها فى ذلك العام عرفت باسم دولة بنى كنز أو دولة الكنوز . ولا شك أن قيام هذه الدولة واصطدامها بسلاطين المماليك الذين رفضوا الاعتراف بكنز الدولة ملكا على بلاد النوبة لانه عربى ، أدى الى توقف البقط الذى كان يرسل كل عام من هذه البلاد الى القاهرة ، حسبما جرت العادة بذلك منذ أن أبرمت معاهدة البقط بين والى مصر عبد الله ابن سعد بن أبى السرح عام ٣١ هـ / ٦٥١ م وبين ملك النوبة ، مما أدى الى ازدياد سوء العلاقات بين عرب النوبة وسلاطين المماليك فى مصر ، والى اتساع هوة الأحقاد بين الفريقين (٣٢) .

-
- (٣١) محمد عوض محمد : السودان الشمالى ، سكانه وقبائله ، القاهرة ، الطبعة الأولى سنة ١٩٥١ ، ص ٢٤٩ ، مصطفى مسعد ، الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى ، ص ١٨١ ، ١٨٢ .
- (٣٢) الشاطر بصيلى عبد الجليل : معالم تاريخ السودان وادى النيل ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٥٥ ، ص ٦٤ .

وترتب على ذلك أن ازداد ضغط سلاطين المماليك على عرب الصعيد وعرب بلاد النوبة عنفاً وشدة ، مما أجبر هؤلاء العرب الى انحدارهم جنوباً في موجات متلاحقة . وكانت اشد هذه الموجات أو هذه الهجرات عنفاً هي هجرة جهينة ، حيث ترتب عليها نشأة بعض المهاجر والمستوطنات العربية قرب سائر الحالية . ويبدو أن معاناة هذه الجماعات للبراعى الغنية ترامت اخبارها الى ذويهم فى الشمال اى فى بلاد النوبة الشمالية ، فاندفعت جموعهم جنوباً (٣٣) ، وتحركت هجرات من بينة وفزارة وقبائل اخرى ناحية الجنوب . ولما لم يكن لدى هذه القبائل الحرية الكاملة فى الامتداد الى اراضى اغنى فى الجنوب نظراً لوجود مملكة علوة المسيحية التى استمرت فى الوجود حتى عام ٩١٠ هـ / ١٥٠٤ م (٣٤) ، فقد اتجهت غرباً ووصلت قبائل جهينة بالذات الى مناطق الاستبس فى كردفان ودارفور حيث استقروا فيها ، وواصلت بعض بطونها الزحف الى وادى ومنها اتجهت غرباً بشمال حتى وصلت بحيرة تشاد فى القرن السادس عشر للميلاد (٣٥) .

وسبب سياسى رابع أدى الى ازدياد الهجرة العربية الى السودان ودارفور ، وهذا السبب هو سقوط بغداد فى يد المغول عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م . وقد تسبب هذا السقوط فى هجرة كثير من العرب الى السودان (٣٦) .

وتشير احدى قوائم النسبة التى اوردها ماكمايكل أن جمعاً من عريش من ولد العباس بن عبد المطلب بن هاشم هاجروا الى السودان . وكان هؤلاء المهاجرون من اولاد ابراهيم الهاشمى الذى لقب بلقب « جعل

(٣٣) مصطفى مسعد : امتداد الاسلام ، ص ٧٨

(34) Baddour : Sudanese - Egyptian Relations, Martinus, 1960, p. 35.

(35) Trimmingham : The influence of Islam upon Africa, London, 1968, p. 100.

(36) Arkell : A history of the Sudan p. p. 194.

ومنه جاء الجعليون المشهورون فى السودان حتى اليوم ، والذين يقولون ان جدهم الاول الذى اتى الى السودان كان يسمى غانم العباسى ، وكان قد هرب من بغداد بعد مهاجمة التتار لها فى عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م (٣٧) ، واتجه هو ومن كان معه من اقاربه الى مصر حيث كان يحكمها سلاطين المماليك (٣٨) .

ومن مصر اتجه غانم العباسى جد الجعليين هو وقومه الى السودان حيث هاجروا اليه واقاموا مساكنهم فيه ، واستقر بعضهم على سواحل النيل الأزرق ، وبعضهم على سواحل النيل الأبيض ، وبعضهم فى دارفور ، واستمر وجودهم فى الاقليم الأخير حتى عصر ماكمايكل ، حيث ورد ذكرهم فى قوائم النسبة التى حصل عليها فى هذا الاقليم (٣٩) .

ومن دارفور انتشر بعض هؤلاء الوافدين من الجعليين العباسيين الى برقو التى تعرف ايضا باسم واداي ، حيث تقول الأسرة الحاكمة فيها بأنها من أصل عباسى ، وتقول رعيتهم من العرب انهم من عرب اليمن من حمير ، ومن بارق بن عدى بن مازن ، من الأزدي (٤٠) . ولعل الاسم برقو الذى تعرف به هذه البلاد بجانب اسمائها الأخرى (٤١) . ما هو الا تحريف لكلمة بارق بن عدى الأزدي هذا .

وعلى أية حال فقد هاجر بعض العرب الى دار فور قبل القرن العاشر للميلاد ، وازدادت هذه الهجرة وتكاثفت بعد القرن الثانى عشر ،

(٣٧) ذكر ماكمايكل أن سقوط بغداد على يد التتار كان فى عام ٦٧٦ هـ ، وهو خطأ ظاهر . انظر

Mac Michael : A history of the Arabs in the Sudan, Vol 2 p. 88.

(٣٨) ذكر ماكمايكل أنهم وجدوا فيها الفاطميين ، انظر مرجع الهامش السابق .

(39) Mac Michael : op cit, Vol 2, p. p. 88.

(40) Ibid : Vol 2 , p. 88.

(٤١) التونسى : نفس المصدر ، ص ٧٤

وصارت سيلا جارفا ونهرا متدفقا فى القرن الرابع عشر للميلاد ، عقب سقوط مملكة مقرة النوبية المسيحية فى عام ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م ، وأستقر هؤلاء العرب المهاجرون فى هضاب جبل مرة وجبل سى Si وهى هضاب عظيمة كثيفة السكان ، ورجل بعضهم غربا حيث اشتركوا فى حرب اهلية فى مملكة الكانم(٤٢) فى حوض بحيرة تشاد .

ولم تكن هجرة العرب الى دارفور على هذا النحو منذ هذه القرون البعيدة وليدة العوامل والظروف السياسية التى تحدثنا عنها فقط ، وإنما كانت أيضا نتيجة لعوامل أخرى خاصة بالبيئة الطبيعية .

٤ - الأسباب الطبيعية :

سبق أن تحدثنا عن موقع اقليم دارفور وقلنا انه يقع فى الجزء الغربى من الحزام العرضى الأوسط فى السودان . وكانت طبيعة هذا الاقليم تناسب العرب أكثر مما تناسبهم طبيعة بلاد النوبة . ومعروف أن بلاد النوبة هى اقرب بلاد السودان الى مصر ، وكانت اول المناطق السودانية التى هاجر اليها العرب .

ذلك أن بلاد النوبة والبلاد التى تقع غربها مثل بلاد الزغايرين والكانميين شحيحة المطر ، أو هى بلاد غير ممطرة بالمرة ، ولذلك فإن السكان فيها لا يعيشون وخاصة فى بلاد النوبة الا فى الشريط الساحلى الضيق على جانبى نهر النيل الذى يعولون عليه فى الحصول على ارزاقهم بزراعة الاراضى التى تحف جانبيه فى هذا الجزء من بلاد النوبة(٤٣) .

وعلى ذلك فإن الموارد الطبيعية شحيحة وغير كافية كى تعيش عليها قبائل كثيرة أو سكان وقيرو العدد . ففى غرب حلفا لا يوجد حقيقة

(42) Baddour : op . cit , p. 34.

(٤٣) الادريسي : نفس المصدر ، ج ١ ص ٣٨

شئ يحفظ الحياة ، وفى غرب دنقلة لا توجد الا مجموعات قليلة متناثرة من أصحاب الجمال البدو الذين تعرضوا لهجمات منظمة على يد البدايات والقرعان الذين تمتد اراضيهم الى مرتفعات ايندى شمال تشاد (٤٤) .
وتبدأ البيئة فى المناطق التى تقع غرب مدينة بربر النوبية فى اعطاء بعض المزايا الطبيعية التى تجذب المهاجرين ، ولذلك فقد هاجر اليها بعض العرب الذين كانوا أكثر عدداً وأحسن حالا ، أما معظم المهاجرين فقد كان عليهم أن يستمروا فى الزحف الى الجنوب أو الى الشرق أو الى الغرب الى دارفور (٤٥) ، لأن بلاد النوبة وكما رأينا كانت غير ملائمة لاقامة أعداد وفيرة من العرب المهاجرين .

وكذلك كان الحال فى مصر ، ذلك أنها لم تكن قطراً مثالياً للبدو من العرب ، فأطوارها شحيحة جداً ولا تعمل على وجود المراعى اللازمة لابلهم ورحيلهم واغنامهم . حقيقة توجد الأراضى الخصبة التى تروى بماء النيل وتقوم عليها الزراعة ، ولكن العرب فى ذلك لا يمكنهم أن يتكيفوا مع هذا العمل الذى لم يتعودوا عليه فى بلادهم الأهلية ، وهو الزراعة ، أما السودان وباستثناء الأقاليم الجنوبية فإنه أكثر ملائمة لهم ، لأنه مشابه للجزيرة العربية فى ظروفه الطبيعية (٤٦) .

وقد اعطانا بالجريف Paigrave ودأوتى Doughty

ورحالة آخرون عرب وغير عرب وصفاً لبلاد السودان ، فتحدثوا عن أراضى المراعى فى الصحراء ، وعن المرتفعات السوداء المكونة من الأحجار الرملية ، وعن الأودية التى تغذيها الفيضانات أو مياه الأمطار التى لا يمكن أن تتماثل مع المناطق الأخرى التى تقع بعيدة عن نهر النيل فى الشرق والغرب وإلى الشمال من الخرطوم (٤٧) .

(44) Mac Michael : The Coming of the Arabs in the Sudan, pp. 14 , 15.

(45) Ibid : pp. 14 , 15.

(46) Ibid : p. 47 .

(47) Ibid : p. 47 .

ففى صحراوات السودان توجد نفس الآسجار ونفس الحشائش ونفس المحاصيل الصحراوية ونفس المفازات الرملية . وفى الحقيقة فان البحر الأحمر لم يكن أكثر من شق أو شرخ أقامته الطبيعة بين جزأين من قطر واحد أو منطقة واحدة ، وأن كان الجزء الغربى من هذه المنطفة وهو السودان أكثر ثروة من شبه الجزيرة العربية بسبب نهر النيل الذى يشق طريقه عبره من جبال الحبشة والبحيرات العظمى حتى مصباته فى الشمال ، مزودا الزراع بوسائل زراعة ضفافة بواسطة الرى المباشر أو بواسطة سواقى المياه (٤٨) . أما الصحراء التى تحيط بهذا النيل فى المنطقة التى تقع شمال الخرطوم فهى لا تختلف عن الصحراء التى عاش فيها العرب القرون الطوال فى بلادهم الأصلية فى شبد الجزيرة العربية .

ولكن الى الجنوب من الخرطوم تتحول البلاد التى تمتد شرقا وغربا من حدود الحبشة الى حدود نهر شارى الذى يصب فى بحيرة تشاد ، وهى المنطقة التى تعرف بالحزام الأوسط من السودان ، والتى تمتد من خط عرض ١٥ درجة وجنوبا الى خط ١٠ درجات شمال خط الاستواء ، وتقع دارفور فى جزئها الغربى ، نقول أن هذه البلاد أو هذه المنطقة تحولت الى مناطق رملية أكثر خصوبة وأكثر أمطارا من المنطقة التى تقع شمالها والتى تحدثنا عنها ، اذ تسقط عليها أمطار كافية لاعطاء مراعى ممتازة ومحاصيل جيدة من القمح ، ولذلك فان هذه المناطق كانت أكثر ملائمة للعرب من غيرها من مناطق السودان ، بسبب هذه المراعى الملائمة لرعى ابلهم ومواشيهم ، ونظرا لبعدها عن أى سلطة مركزية ، مما يجعلهم يعيشون فى طمانينة وسلام ، ولا يشعرون بخوف من جامعى الضرائب المغالين كما كان الحال فى مصر (٤٩) .

ولذلك شد العرب الرحال الى هذه المنطقة والتى تقع دارفور فى جزئها الغربى وسكنوها بعد أن سمعوا بمراعيها الواسعة التى تناسب

(48) Ibid : pp. 47 - 48.

(49) Ibid : pp. 47 - 48.

جمالهم واغنامهم كثيرا ، وبعد أن رأوا أنهم سيكونون فوق أرض مألوفة ،
وفى ظروف طبيعية معروفة ، ولذلك فانهم هاجروا اليها واستقروا فيها
مع ابلهم ومواشيهم ، ولم يزلوا ابعد عن بحر العرب وبحر الغزال بسبب
كثرة المستنقعات والرطوبة وذبابة تسي تسي التى لم تدع فرصة الحياة
لجمالهم (٥٠) .

وإذا كان الحزام الأوسط من السودان مناسبا وملائما لسكنى العرب
على هذا النحو أكثر من غيره من بقية أنحاء هذه البلاد ، فإن دارفور
التى تقع فى الجزء الغربى من هذا الحزام كانت أكثر أجزاءه ملاءمة لهم
لسببين ، أولاها هو بعد دارفور عن أى تهديد يأتىها من أى ناحية من
نواحيها الأربع ، بعكس الجزء الشرقى من الحزام والذى كان معرضا
لغزوات الأحباش ، والجزء الأوسط (النيلى) من الحزام والذى تعرض
فعلا لغزوات عديدة جاءت من مصر المملوكية فى القرن الرابع عشر
للميلاد (٥١) .

أما دارفور فلم يثبت أن قوات مصرية أو غير مصرية وصلت اليها
حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر للميلاد ، ولذلك لم يكن لمصر أو
بلاد النوبة أى تأثير سياسى على دارفور حتى ذلك التاريخ الذى ضمت
فيه دارفور لمصر (٥٢) . ومن ناحية الغرب حيث تقع بلاد الكانم ،
فإن دارفور لم تتعرض وقت تدفق العرب عليها الى تهديد من هذه
الدولة ، لأن الكانم كانت فى تلك الفترة أى فى القرن الرابع عشر للميلاد
تعيش عصر ضعف وتفكك وحروب أهلية أجبرت الأسرة الحاكمة على
الهجرة الى الغرب من بحير تشاد حيث أقامت هناك مملكة جديدة تسمى
اقليم البرنوا (٥٣) .

(50) Ibid : pp . 48 - 49.

(51) Arkell : The history of Darfur, S.N.R., IV, pp. 261-262

(٥٢) كولين ماكيفيدى : أطلس التاريخ الإسلامى ، ترجمة مختار

السويفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٨٧ ، ص ١٨٣

(٥٣) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى

والأوسط ، ص ٤١٩

أما السبب الثانى الذى جعل دارفور أكثر ملاءمة للعرب من بقية أجزاء الحزام الأوسط للسودان ، فهو أنها كانت تتمثل فيها المناطق الطبيعية والمناخية للسودان عامة ، بمعنى أن دارفور كانت تجبج خصائص السودان الجغرافية والطبيعية . ففى المناطق الشمالية لدارفور وجدت المراعى العظيمة التى يحبها بدو العرب الذين تتركز ثروتهم فى الابل والماشية ، وكان هؤلاء العرب يتبعون سقوط المطر الموسمى بحثا عن مراعى طيبة ، ويستقرون فقط حول الآبار الدائمة ، أو يرحلون الى النهر حينما لا يوجد من ذلك مناص (٥٤) . وكان هؤلاء العرب يعرفون بالأباله ، نسبة الى الابل التى كانت تكون عماد ثروتهم وتدور عليها حياتهم .

وفى المناطق الجنوبية لدارفور سكنت معظم قبائل العرب المعروفين باسم البقارة ، نسبة الى الأبقار التى كانت عماد ثروتهم. فى تلك المناطق ، وامتدت ديارهم الى مناطق الزنوج الجنوبية . وهؤلاء العرب البقارة كانوا أصحاب ماشية وأحصنة ، وكانوا مسلحين بالحرايب وصائدين للغزال والفيلة ، وامتدت اراضيهم غربا وجنوبا فى جنوبى دارفور وجنوبى كردفان واقليم النيل الأبيض أثناء فصل الجفاف . أما فى فصل المطر فكان أعابية البقارة يتحركون شمالا مع ماشيتهم الى خط عرض ١٢ و ١٣ درجة ، ويستقرون فى الأقاليم الوسطى فى دارفور حيث توجد عناصر أخرى غير عربية مثل المساليط والفور ، وحيث يوجد بعيدا فى شمالى دارفور الزغاوة والبرتى وميدوب ، وفى الجنوب منهم الفلاتة نصف البدر والداجو والبرقد وقبائل متنوعة من الفرتيت (٥٥) .

وإذا كان للعوامل السياسية والظروف الطبيعية لاقليم دارفور كل هذا الثقل كأسباب وعوامل شجعت العرب على الهجرة الى هذا الاقليم ، فان موقع دارفور كان سببا آخر يضاف الى هذه الأسباب .

(54) Mac Michael : The Coming of the Arabs in the Sudan

p. 15 .

(55) Ibid : pp. 16 - 17.

٣ - طبيعة موقع دارفور واحاطة العرب بها واثر ذلك فى هجرة العرب اليها :

ذلك ان دارفور احاطت بها بلدان وجد فيها العرب بنسب متفاوتة ، وكان لذلك اثره فى تدفق العرب عليها . ففى شمال دارفور تقع مصر وليبيا ، وفى الشرق تقع بلاد النوبة بمفهومها فى العصور الوسطى ، وفى الغرب تقع بلاد الكانم والبرنو . وفى هذه البلدان وجد العرب الذين سكنوها اما نتيجة لقيام العرب بفتحها مثل مصر وليبيا ، او نتيجة لهجرات عربية سلمية مثل النوبة والكانم .

ولما كان اقليم دارفور كما سبق القول منطقة عبور بين الشمال والجنوب ، وبين السودان النيلى ، والسودان الأوسط (تشاد) والغربى (نيجيريا ومالى والسنگال . . . الخ) ، فقد تعوض للتأثيرات العرقية والثقافية التى ميزته عن اجزاء اخرى من السودان . ذلك ان القبائل التى تسكن دارفور اليوم سواء كانت من اصل عربى او سودانى او زنجى اتت الى هذا الاقليم نتيجة لهجرات مختافة لعناصر مختلفة من الشمال والغرب والشرق والجنوب ، اى من البلدان المحيطة به (٥٦) .

ولما كان حديثنا عن هجرات العرب وحدهم فاننا نستطيع القول ان موقع اقليم دارفور جعله عرضة لهجرات كثيفة اقبلت من مصر بالذات . وتكاد تكون هذه الهجرات التى قدمت من مصر هى الهجرات الرئيسية التى غمرت اقاليم السودان ومنها دارفور (٥٧) .

وكانت الواحات التى تقع فى صحراء مصر الغربية طريقا لبعض هذه الهجرات والمعبّر الرئيسى للمسافرين من التجار ورجال الدين وغيرهم

(56) Mandour : op , cit, p.54.

(٥٧) عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ الصحراء فى وادى النيل ، ص ١٤١ ، ١٤٣ ، مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ، ص ١٨٩

من القادمين من شمال مصر الى دنقلة ودارفور . فقد كانت طرق القوافل تخترق هذا الاقليم من الشمال الى الاسكندرية الى الجنوب حتى مملكة مقرة ودارفور(٥٨) . وكان الرومان قبل العرب قد عرفوا هذا الطريق وعملوا على ربط دارفور بمصر حتى يمكنهم أن يستغلوا الموارد الموجودة في هذا الاقليم(٥٩) .

وبخلاف الواحات المصرية التي ربطت بين مصر ودارفور ، هناك ايضا طريق درب الأربعين الذي يصل أسبوط بدارفور مباشرة . وقد سلك التجار والمهاجرون العرب هذا الطريق في العصور الاسلامية سلك التجار والمهاجرون العرب هذا الطريق في العصور الاسلامية الأولى ، وظلوا يسلكونه حتى العصر الحديث . ومعروف أن محمد ابن عمر التونسي الذي وصل من مصر الى دارفور في بداية القرن الماضي لم يصل الى هذا الاقليم الا عن طريق درب الأربعين(٦٠) .

وعلى ذلك فان موقع دارفور على هذا النحو وارتباطها بمصر عن طريق درب الأربعين وعن طريق الواحات المصرية الغربية جعل هذا الاقليم مهبطا لهجرات العرب من الديار المصرية نتيجة للأسباب السياسية التي اشرنا اليها .

وكذلك كان موقع اقليم دارفور من بلاد النوبة سببا آخر مهد لهجرة العرب من هذه البلاد الى دارفور . وقد سبق القول أن بلاد النوبة بلاد فقيرة ومواردها شحيحة وقليلة ، مما جعل كثيرا من العرب لا يطيلون البقاء فيها ويفضلون الرحيل عنها ايا جنوبا الى بلاد علوة ، أو شرقا الى بلاد الحبشة أو غربا الى دارفور .

(٥٨) الشاطر بصيلى عبد الجليل : تاريخ وحضارات السودان

الشرقى والأوسط ، ص ٤٩ ، ٨٧

(٥٩) المرجع السابق ، ص ٩٦ ، مصطفى مسعد : الاسلام

والنوبة ، ص ٢٨

(٦٠) التونسي : نفس المصدر ، ص ٤٧ ، ٥٤ .

وكانت مملكة مقرة المسيحية التي كانت تشمما، الجزء الشمالى من بلاد النوبة لها صلاتها وقبل ظهور الاسلام بدارفور ، وهى فى الغالب علاقات تجارية ولا ترقى الى ما قاله أحد الباحثين من أنه يمكن أن تكون النوبة قد مدت حكمها الى جزء من هذا الاقليم مستدلا على ذلك بما قيل عن وجود كنائس فى عين فرح بدارفور (٦١) . وهو قول خاطيء وينقصه الدليل .

وقد حاول آركل أن يشير الى وجود بعض تأثيرات مسيحية وافدة من دنقلا المسيحية الى دارفور مستدلا هو الآخر على ذلك بوجود علامة كانت توسم بها الجمال فى دارفور ، لأنه وكما قال آركل نفسه أنه تجول فى هذا الاقليم لمدة سنوات ولم يجد دليلا على ذلك ، وأنه من الممكن أن يكون استعمال العلامة التي تشبه الصليب قد وصل جبل ميدوب من وادى النيل كمجرد علامة فقط وليس دليلا على تسرب دينى مسيحى ، ذلك أن ماكمايكل وكما يقرل آركل قد قرر انها كانت علامة قبلية ، ومن المحتمل أن تنجور دارفور قد استعمالوها (٦٢) . وعلى ذلك فان صلات مقرة النوبة بدارفور كانت صلات تجارية كما سبق القول .

وكذلك كانت مملكة علوة المسيحية التي كانت تشمل الجزء الجنوبى من بلاد النوبة وتمتد جنوبا لتشمل أرض الجزيرة الواقعة بين النيلين الأبيض والأزرق لها هى الأخرى صلاتها بدارفور ، نتيجة لامتداد اراضيها غربا حتى شملت بعض جهات كردفان التي كانت تشكل الحد الشرقى لدارفور (٦٣) .

وقد تسرب العرب الى هاتين المملكتين ، أى مملكتى مقرة وعلوة :

(61) Robert July : op . cit, p. 98 .

(62) Arkell : The history of Darfur, S.N.R. p 222.

(٦٣) مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ، ص ٧٩

مهاجرين اساسا من مصر . وكانت مملكة مقرة لها النصيب الأوفى من هذه الهجرات ، وذلك منذ معاهدة البقظ التي أدت الى فتح هذه البلاد أمام التجار العرب ، وأدت أيضا الى ضرورة محافظة النوبيين على المسجد الذى بناه العرب فى دنقلة عاصمة البلاد وقتذاك (٦٤) ، وما يدل على بدء وجود العرب والاسلام فيها منذ ذلك الحين .

وقد أخذ هؤلاء العرب فى التسرب الى هذه البلاد بأسلوب سلمى حتى اننا فى بداية القرن الثالث للهجرة / التاسع للميلاد وفى عصر النامون العباسى ، نسمع أن كثيرا منهم كانت لهم ضياع كثيرة داخلية فى أرض النوبة يؤدون خراجها الى ملك النوبة . وكان هؤلاء العرب قد اشتروا هذه الضياع من أصحابها فى عصر بنى أمية وكذلك فى صدر دولة بنى العباس ، وتوارث الناس هذه الضياع بأرض مريس من بلاد النوبة منذ ذلك الحين (٦٥) ، مما فتح الباب أمام تسرب العرب اليها ، وأدى هذا الأمر وعلى مر القرون الى ازدياد أعدادهم فيها ، حتى أنهم ساعدوا فى اسقاط هذه المملكة ، وتحويلها الى مملكة عربية اسلامية فى بداية القرن الرابع عشر للميلاد (٦٦) .

وبسقوط مملكة مقرة النوبية المسيحية على هذا النحو انفتح الباب على مصراعية أمام تسرب العرب وهجرتهم جنوبا الى مملكة علوة المسيحية . ويبدو أن هؤلاء المهاجرين العرب قد ازدادوا عددا وقوة

(٦٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ليدن ، سنة ١٩٢٠م ص ١٨٩ ، حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٢٨٣ ، ٢٨٤
(٦٥) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محبى الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت ، سنة ١٩٨٣م ، ج٢ ص ٢٢ - ٢٣
(٦٦) ابن خلدون : تاريخه ج٥ ص ٤٢٩ ، مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ، ص ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٥

فى هذه المملكة بمرور الوقت ، حتى أنهم التمسوا الاذن ببناء مسجد لهم فى سوبا عاصمة المملكة المسيحية نفسها(٦٧) .
وكان أسبق المهاجرين انطلاقا نحو الجنوب قبائل جهينة ، فقد بدأت هجرة القبائل التى حملت هذا الاسم تدخل أرض علوة عبر مسالك مختلفة ، أهمها الطريق الشرقى عبر اوطان البجة ، وأيضا عن طريق النيل ، واحتلت اقاليم موزعة بين نهري عطبرة والنيل .

وأشار ابن سليم الأسوانى الذى زار هذه المملكة فى القرن العاشر للبلاد ونقل عنه المقرئى الى أن هذه القبائل ازداد عددها حتى قيل بأنه كان لجهينة ٥٢ قبيلة قرب سوبا عاصمة مملكة علوة والتي تقع على النيل الأزرق ، وأن هذه القبائل كانت تؤدى صلاة العيد فى الخلاء المحيط بسوبا تصاحبها طبولها واعلامها فى حربة تامة ، مما يدل على قوتها وعلى كثرة عددها(٦٨) مما أدى الى ازدياد هجرتها نحو الجنوب .
ويبدو أن انطلاق هذه القبائل نحو الجنوب كان واسع المدى حتى انها وصلت الى حدود الحبشة وأنشأت مدينة أربجى على الشاطئ الغربى للنيل الأزرق سنة ٨٧٩ هـ / ١٤٧٤ م ، أى قبل سقوط مملكة علوة المسيحية بحوالى ثلاثين عاما(٦٩) . ونتيجة لهذا التسلسل السلمى للقبائل العربية فى هذه المملكة ، انتهى الأمر فى بداية القرن السادس عشر للميلاد بالقضاء على هذه المملكة المسيحية وتحويلها الى دولة عربية اسلامية سميت بدولة الفونج(٧٠) .

(٦٧) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٢٩٨ ،

Mac Michael : the Coming of the Arabs to the sudan, p. 55.

(٦٨) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ،

ص ٣٦ ، مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ص ٢٠٢ ، حسن محمود :

نفس المرجع ، ص ٢٩٨

(٦٩) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٢٩٩

(٧٠) المرجع السابق ، ص ٢٩٨

وعلى ذلك فان العرب على هذا النحو احاطوا بدافور من جهة الشمال من مصر وكذلك من الشرق أى من بلاد النوبة وخاصة بعد أن انهارت ملكتا مقرة وعلوة المسيحيتين وقامت على انقاضها مملكتان عربيتان اسلاميتان هما مملكة الكنوز ومملكة الفونج . وكان لهذا الوجود العربى فى بلاد النوبة على هذا النحو آثار كبيرة بالنسبة لدافور ، اذ انطلقت هجرات العرب من هذه البلاد اليها مباشرة عبر كردفان ، أو عبر صحراء النوبة التى تقع شمال كردفان وتتصل بشمال دارفور .

وكانت الهجرات من النوبة الى كردفان ثم الى دارفور أمرا معروفا منذ التاريخ القديم . وتخبرنا المصادر التاريخية بأن الأسرة المالكة فى مملكة مروى انتقلت من عاصمتها التى كانت تسمى براوات الى شمال كردفان بعد عام ٢٥٤م ، نتيجة لقيام مجموعات من النوبيين الذين كانوا يسكنون شمال كردفان فى ذلك الحين بالهجوم على هذه المملكة وتخریب بلدانها ، مما أضعفها أمام الهجوم الحبشى الذى شنه عابها الملك عيزانا ملك أكسوم حوالى منتصف القرن الرابع للميلاد ، وتمكن من القضاء عليها نهائيا وتخریب المدن التى تقع بين بربر شمالا وعلوة جنوبا . وكان من نتيجة ذلك أن خرجت مجموعات من القبائل المحلية نحو الغرب (٧١) ، أى نحو كردفان ودارفور .

وقد فعل العرب نفس الشيء ، اذ سلكوا نفس الطريق ، واتجهوا من مقرة وعاوة الى هذه الجهات أى الى كردفان ومنها الى دارفور (٧٢) ، وذلك إذا ما احساسوا بأى ضغط سياسى أو اقتصادى يقع عليهم من ملوك هاتين المملكتين المسيحيتين ، وربما كان خروجهم الى دارفور ايضا بقصد المتاجرة فى هذه البلاد التى كانت تزخر كما قلنا بثروات طبيعية

(٧١) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط

مثل العاج وريش النعام وغير ذلك مما كان يشجعهم على الهجرة إليها .
وطبيعي أن هذه الهجرة من مقرة وعلوية الى دارفور قد اشتدت بعد
ان سقطت هاتان المملكتان وتحولتا الى الاسلام .

وإذا كان العرب قد أحاطوا بدارفور على هذا النحو من الشمال
والشرق ، فإنه كان لهم وجود في ناحية الغرب ، وأن كان وجودا
محدودا . وهذا الغرب الذى نقصده فى هذا الحديث هو دولتسا
الكانم والبرنو اللتان قامتتا على التوالي فى العصور الوسطى فى حوض
بحيرة تشاد وما يحيط بها من بلدان ، مما يعرف عادة باسم السودان
الأوسط .

ومعروف أن بلاد الكانم قد دخلها الاسلام وقامت فيها مملكة
اسلامية قرب نهاية القرن الحادى عشر للميلاد (٧٣) ، ونتيجة لذلك فقد
ازداد تسرب العرب اليها منذ ذلك الحين . وكان هذا التسرب منذ عهد
بنى أمية ، وقبل أن تقوم هذه الدولة ، إذ يخبرنا بأن بعض بنى أمية
هاجروا اليها بعد سقوط دولتهم على يد العباسيين فى عام ١٣٢ هـ /
٧٥٠م (٧٤) .

وقد ازدادت هجرة العرب فى العصور التالية الى بلاد الكانم
وصاروا يعرفون فيها باسم عرب الشوا ، ربما نسبة الى كلمة الشاة
حيث كانوا يحترفون مهنة رعى الابل والماعز والضأن والأبقار ، وكان
(الشوا) فى هذه البلاد ينقسمون الى مجموعات ، منهم الحساونة ،
وهم العرب الذين جاعوا الى حوض نهر شارى الذى يصب فى بحيرة
تشاد وذلك عن طريق طرابلس ، ومنهم جهينة الذين جاعوا عن طريق

(73) Robert July : op. cit, p. 70.

(٧٤) ياقرت : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، سنة ١٩٥٧ ،

حوض وادى النيل الأوسط وكردفان ودارفور . ومن أشهر قبائل مجموعة الحساونة : العسالة والدقنة (بفتح الدال والقاف والنون) ، ويحتمل ان هؤلاء العرب جاءوا من الشمال بعد وصول جبهة (٧٥) .

وكان العرب الذين هاجروا الى بلاد الكانم ينقسمون الى ابالة وبقارة ، الابالة فى الشمال وهم بدو متنقلون والبقارة فى جنوبهم وهم رعاة المشاية ، وهم فى غالب الأحوال يضطرون الى اختيار الحياة الحضرية المستقرة (٧٦) .

وقد اثر هؤلاء العرب الذين قدموا الى هذه البلاد فى حياة أهلها حتى صاروا كما قال ياقوت « على زى العرب واحوالها » (٧٧) ، كما كان لهم تأثيرهم فى حياتها السياسية والأمنية ، مثال ذلك ما تحكيه المصادر التاريخية عن قبيلة جذام العربية التى هاجرت الى هذه البلاد وكان لها وجود فيها فى القرن الرابع عشر للميلاد ، وما حدث من اعتدائها على الأهالى لدرجة أن أرسل سلطان البلاد الى سلطان مصر يشكوهم اليه (٧٨) .

كما أن العرب الذين سكنوا بلاد الكانم كانت لهم مساهماتهم مع البولالا فى اخضاع الأسرة الحاكمة لهؤلاء البولالا الذين كانوا فرعا من

(٧٥) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأسط ، ص ٤٣٣

(٧٦) المرجع السابق ، ص ٤٣٣

(٧٧) ياقوت : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، سنة ١٩٥٧ ، ج٤ ص ٤٣٢

(٧٨) انظر نص رسالة سلطان الكانم الى سلطان مصر عند القلشندي فى كتابه صبح الأعشى ، ج٨ ص ١١٦ - ١١٨ ، وانظر أيضا : حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٢٣٨ ، الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى ، ص ٤٢٣

فروع هذه الأسرة ، وذلك فى عام ٧٨٨هـ/١٣٨٦م ، وان لم يكن هناك وكما يقول آركل دليل قوى على هذه المساعدة التى قدمها العرب للبولالا الذين استطاعوا أن يطردوا الأسرة الحاكمة الى غربى بحيرة تشاد فى بورنو ، وأن يؤسسوا مكانهم فى اقليم الكانم فى شرقى هذه البحيرة ابراطورية واسعة تعرف باسم جاوجا Gaoga ، وكان أول سلطان لها يسمى عبد الجليل(٧٩) . وشكوى سلطان الكانم من عرب جدام ، وبمساعدة العرب للبولالا تدلان بشكل واضح على كثرة هؤلاء العرب فى هذه البلاد وعلى ازدياد نشاطهم فيها .

ولا شك أن وجود العرب فى هذه البلاد ، نقصد بلاد الكانم كان له تأثيره فى نفاذ تأثيرات عربية الى دارفور التى تقع الى الشرق من هذه البلاد التى ازدادت أهميتها بعد أن صارت همزة الوصل بين دارفور وبين البلدان العربية التى تقع شمالها ، ومعبرا لهجرات العرب اليها عبر طرق التجارة التى كانت تربط هذه البلدان بالكانم . ذلك ان سلطنة الكانم الاسلامية ما لبثت أن قرى أمرها واشتد نفوذها قبل أن يهاجمها البولالا حتى وصل هذا النفوذ شرقا الى وادى التى تقع الى الغرب من دارفور ، وشمالا حتى فزان بليبيا ، وسيطرت على الطرق التجارية التى تربط تشاد بترابلس الليبية(٨٠) ، وسيطرت أيضا على الطريق التجارى الذى يمر بشمال دارفور متجها الى نهر النيل(٨١) .

وكانت القوافل القادمة الى تشاد من شرقى الصحراء والنيل تتلاقى كلها فى دارفور ، حيث كان يوجد طريق شرقى غربى يمتد من النيل ويمر بشمال دارفور ويتجه غرب تشاد ومنها الى بلاد السودان الغربى حتى السنغال موازيا للحافة الجنوبية للصحراء الكبرى . وقد سهل هذا الطريق عبور الناس والأفكار والمتاجر والهجرات(٨٢) .

(٧٩) الشاطر بصيلى : نفس المرجع ، ص ٤٣٦
(80) Robert July : op, cit. p. 71.

(٨١) انظر ص ٤٢
(82) Robert July : op, cit, p. 39.

يضاف الى ذلك أن دارفور والكانم والدول والمدن الأخرى التى تمتد من ساحل السنغال الى كردفان عبر السفانا السودانية والاستبس الجافة والتى تقع على جنوبى حافة الصحراء ، كانت تمثل أيضا النهاية التى تنتهى اليها طرق القوافل القادمة من شمال افريقيا عبر الصحراء الكبرى (٨٣) .

ولا شك أن هذه الروابط السياسية والتجارية والجغرافية التى تربط بين دارفور وحوض بحيرة تشاد من ناحية وبين تشاد والبلدان العربية التى تقع فى شمال افريقيا وفى شرقها من ناحية أخرى قد مهدت السبيل أمام الهجرات العربية وغير العربية القادمة من هذه البلدان الى دارفور .

وفى هذا الصدد نسمع من يقول بأن الفونج الذين أقاموا دولتهم فى سنار فى عام ٩١٠ هـ / ١٥٠٤ م ، جاءوا من منطقة من بحيرة تشاد ، على أساس أن نفوذ الكانم قد امتد شرقا الى وادى النيل ، وأن الروايات المحلية فى هذه البلاد تشير الى أن سلطنة سنار أسسها الملك عثمان الذى طرد من الكانم عام ٨٩١هـ/١٤٨٦م ، وأن عمارة دوينقس مؤسس سلطنة سنار من سلالة الملك عثمان (٨٤) . ومهما كان نصيب هذا القول الذى فنده استاذنا الدكتور حسن محمود من الصحة ، فإنه يشير على الأقل الى أن هجرات قدمت من الكانم الى دارفور ، وواصل بعضها الزحف حتى سنار ، وربما استنقر بعضها الآخر فى دارفور نفسها .

يدل على ذلك أن كثيرا من القبائل العربية التى عاشت فى بلاد الكانم وما يحيط بها ويخضع لها من بلدان مثل وادى وياجرمى اللتين تقعان فى شرقها ، كانت لها نظائر تعيش فى دارفور وتحمل نفس الاسم والمثال على ذلك عرب السلامات ، وأولاد راشد ، والمسيرية ،

(83) Jacques Moquet : Civilization of Black Africa , New york , 1972, p. 140.

(٨٤) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣١٤ - ٣١٥

والمحاميد ، وخزام وبنو حسين ، وبنو هلبة (٨٥) ، مما يؤكد عظيم الصلة بين بلاد الكانم ودارفور ، وخاصة اذا ما عرفنا ايضا ان كثيرا من القبائل غير العربية التى عاشت فى احدهما كان لها نظير فى الأخرى وتحمل نفس الاسم .

والمثال على ذلك التنجور الذين يشك فى عربيتهم كانوا يعيشون فى وادى والكانم وكذلك فى دارفور ، وهناك من يقول بانهم قدموا من الكانم الى دارفور حاملين الاسلام اليها(٨٦) . ونفس الكلام ينطبق أيضا على الفولة (الفولانى) الذين سكنوا باجرى كما سكنوا دارفور(٨٧) ، وكذلك الزغاوة الذين عاشوا فى وادى والكانم ودارفور(٨٨) . وكذلك جماعات البرقو الذين سكنوا وادى وبرنو ، فقد انتقلت جماعة منهم الى دارفور حيث عرفوا مع غيرهم من الجماعات القليلة الوافدة من وادى باسم المراريت ، وكان معظمهم يسكن شرق ووسط دارفور ، ولهم هناك مملكة باسم مملكة البرقو(٨٩) ، وهو نفس الاسم الذى كان يطلق على وادى ايضا نظرا لكثرتهم فيها(٩٠) .
ونفس الحال مع قبيلة الميمة التى كانت تسكن شرقى دارفور(٩١) ،

(٨٥) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ٤٣٤ ، دائرة المعارف الاسلامية ، ج٦ ، ص ٢٢٣ ، ج٧ ص ١٨٨ ،
Mac Michael : A history of the Arabs in the Sudan, Vol 1,
pp. 293 - 296.

(٨٦) الموسوعة العربية الميسرة ، ج١ ص ٧٧٣
(٨٧) أحمد شلبى : نفس المرجع ، ج٦ ص ٣٠٠ ، التوتسى ،
ص ١٤٥

(٨٨) انظر ، ص ٢٩ ، ٤٢ ، ٤٣

(٨٩) التوتسى : نفس المصدر ، ص ٧٤ ، ١٣٧

(٩٠) المصدر السابق ، ص ٧٤

(٩١) المصدر السابق ، ص ١٣٧ - ١٣٨

فقد كان بعضها يسكن اىضا واداي كقبيلة كبيرة انتشرت فى هذا الاقليم حتى وصلت الى اقصى جنوبه . وربما كانت هذه القبيلة قد هاجرت الى واداي ودارفور من المنطقة التى تقع غرب تمبكت التى تقع على منحى نهر النيجر(٩٢) حيث يوجد هناك بلدة تحمل نفس الاسم(٩٣) .

واذا كانت هذه القبائل العربية وغير العربية التى سكنت دارفور ويرجح هجرتها اليها من بلاد الكانم ، فان هذه البلاد كانت معبرا لهجرات عربية اخرى وفدت اليها من ليبيا وتونس ومنها اتجهت شرقا الى دارفور . والمثال على ذلك هجرة العرب الذين قادهم احمد المعفور حيث تذكر الروايات انه قدم من تونس الى دارفور واستقر فيها هو وقومه من العرب(٩٤) ، ربما عن طريق الكانم او من تونس الى دارفور مباشرة .

وعلى هذا النحو كان موقع اقليم دارفور من العوامل التى ساعدت على هجرة القبائل العربية التى وصلت اليه على مدى قرون وقبل قيام سلطنة دارفور الاسلامية قرب منتصف القرن الخامس عشر للميلاد .

وليس من شك فى ان الموقع كان له تأثيره فى مجال آخر ، وهو مجال التجارة بين دارفور وما يحيط بها من بلدان ، وكان لهذه التجارة اثرها فى قدوم كثير من العرب الى دارفور .

٤ - التجارة واثرها فى قدوم العرب الى دارفور :

تعتبر التجارة بالاضافة الى العوامل السابقة عاملا هاما من عوامل قدوم العرب وهجرتهم الى دارفور . فقد اشتهر هذا الاقليم ببعض

(٩٢) المصدر السابق ، ص ١٣٧ - ١٣٨ هامش (٤)

(٩٣) ابن بطوطة : رحلته ، ج ٢ ، ص ٧٠٤

(٩٤) توماس ارنولد : نفس المرجع ، ص ٣٥٩

المحاصيل والسلع التي كانت مطلوبة فيما يحيط بها من بلدان وخاصة مصر ، مثل العاج وريش النعام والجلود والرقيق وغيرها . كما أنها كانت في حاجة الى سلع معينة كانت في أمس الحاجة اليها وخاصة الدخن والذرة والملبوسات التي كان اهل البادية يحتاجون اليها في حياتهم اليومية (٩٥) .

وكانت الطرق التجارية التي تمر بدارفور تجلب لاهلها كل ما يحتاجون اليه وخاصة من الخرز والتوابل والأقمشة والذهب والنحاس والخشب والبهارات وماء الورد والملح والأسماك المجففة (٩٦) .

ولذلك كثرت الرحلات التجارية الى دارفور حتى أصبحت « مهجر التجارة ومحط آمالهم ومفتاح السعادة بالنسبة لهم ، وكان التساجر لا يرتفع ذكره ولا تعظم ثروته الا اذا تردد اليها وقطع المسافات الشاسعة للوصول اليها (٩٧) ، فيستقر هناك بضع شهور يستبدل ما معه من سلع بما يحصل عليه من منتجات دارفور ، وكان يتنقل بين مراكزها التجارية العديدة للحصول على هذه السلع .

ومن أهم هذه المراكز التجارية مدينة اورى Uri التي كانت عاصمة لدارفور اثناء دولة التنجور الذين حكموها في العصور الوسطى فيما بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر للميلاد . وقد انتعشت هذه المدينة بسبب موقعها الممتاز الذي جعلها تربط بين ثلاث طرق تجارية منها طريق درب الأربعين الذي يبدأ من أسيوط وينتهي عند اورى ، والطريق الليبي الذي يبدأ من طرابلس وينتهي عند هذه المدينة أيضا (٩٨) .

(٩٥) التونسي : نفس المصدر ، ص ٢٩٣

(٩٦) الشاطر بصيلي : تاريخ وحضارات السودان الشرقي

والأوسط ، ص ٣٩١

(٩٧) عبد الله حسين : السودان من التاريخ القديم ، ج ٢ ص ٤٦٣

(98) Arkell : the history of Darfur , S. N. R, IV, pp. 250,267

ويقول آركل أنه من المحتمل أن مدينة أورى ظلت المركز الرئيسي للتجارة مع مصر ، كما أن مدينة سوينة Sueini التى تقع على بعد أميال قليلة شمال أورى ظلت واحدة من أعظم المدن المعروفة فى دارفور ، والمقر الدائم للتجار الذين يتاجرون مع مصر ، ومفتاح الطريق الى الشمال حتى نهاية القرن الثامن عشر للميلاد.(٩٩) .

ومن المراكز التجارية الرئيسية الأخرى فى دارفور مدينة كوبى Kobbe التى تقع فى السهل الأوسط على بعد عشرين ميلا غرب الفاشر ، وهى من أهم مدن دارفور ومن أشهر مراكزها التجارية . فمنها كانت القوافل تخرج متجهة الى مصر عن طريق درب الأربعين (١٠٠) ، مما جعلها العاصمة التجارية للبلاد . وقد ظلت هذه المدينة تحتفظ بمركز العاصمة التجارية حتى نضب باؤها وأصبحت الفاشر فى العصر الحديث هى المركز الإدارى والتجارى لدارفور ، كما كانت مدينة أورى فى الماضى(١٠١) .

وقد كانت القوافل ترحل من دارفور الى مصر عن طريق درب الأربعين ، وكانت القافلة الواحدة تتكون من حوالى ١٥٠٠ جمل ، وقد تصل أحيانا الى عدد كبير يصل الى ما بين عشرة آلاف وخمسة عشر الف جمل تحمل الرقيق والعاج وخشب الأبنوس والجلود وريش النعام والصمغ العربى والنظرون والعسل الذى يوجد فى دارفور ، والتمرهندي الذى يسمونه العرديب والذى تشتهر به دارفور وكردفان . وكانت هذه القافلة تعود اليها من مصر محملة بالمنسوجات والمسابع والعقود المصنوعة من الخرز الزجاجى وأدوات الزينة والحلى المصنوعة من الفضة التى تنتزين بها النسوة كالأساور والأقراط وما إليها ، وكانت قوافل دارفور

(99) Ibid : S.N.R., IV, p. 257.

(١٠٠) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ١١٠

(101) Arkell : The history of Darfut S. N. R., IV, footnote

(1) . 257 & A history of the Sudan, p. 214

تشتري منها المقادير الكبيرة ، وكذلك الآجراس الدقيقة التي يحلون بها لجام الجمل وسنمه فى سنار ودارفور ، والمرايا التي لا تتزوج فتاة فى هذه البلاد دون أن تزين حجرتها بواحدة منها ، والسلاح والسيوف وغيرها من المصنوعات المعدنية مما يحتاجه أهل دارفور الذين شحت المعادن فى بلادهم حتى ان نساءها كن يتخذن حليهن من الحجارة (١٠٢) .

وكان تجار دارفور مشهورين فى القاهرة بأنهم أسخى فى الدفع من تجار طريق القوافل الشرقية ، وهى قوافل سنار وبلاد النوبة ، وكانوا يودعون فى تجارتهم رأسمال أكبر ، ويؤمنون على قروض أوفر ، لا سيما فى أسسوط حيث يبتاع منهم بضاعتهم ، ويجنى المصريون من وراء ذلك أرباحا باهظة تكاد تصل الى ضعف ثمن التجارة الأصلي أو ثلاثة أضعافها ، وكذلك تبلغ نسبة الربح فى حاصلات الجنوب حين تباع فى مصر (١٠٣) .

ولذلك أثرى التجار المصريون ثراء كبيرا من وراء هذه التجارة ، وكذلك أثرى سكان المدن المصرية التي تقع على النيل والتي كانت تصلها هذه القوافل التجارية القادمة من دارفور ثراء اشارة الى الحسن الوزان فى بداية القرن السادس عشر للميلاد . فقال على سبيل المثال ان سكان منفلوط وسكان المنيا أغنياء لأنهم يتجرون مع بلاد السودان (١٠٤) .

(١٠٢) التونسى : نفس المصدر ، ص ٢١٠ ، نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٢٤ ، ١٤٠ ، ج ٢ ص ١٤٦ ، ١٤٧ ، بوركهارت : رحلات بوركهارت فى بلاد النوبة والسودان ، تعريب فؤاد اندراوس ، القاهرة ، سنة ١٩٥٩ ، ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٧ ، ٢٥٥ ، الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ٣٨٦ ، دائرة المعارف الاسلامية ج ٣ ص ٤٠٢ ، ٤٠٣ ،

(١٠٣) بوركهارت : نفس المرجع ، ص ٢٣٧

(١٠٤) وصف افريقيا ، ج ٢ ص ٢٣٥ ، ٢٣٦

ونتج عن ذلك انتعاش التجارة بين مصر ودارفور انتعاشا كبيرا ، وكثير
تردد تجار دارفور الى مصر ، حتى كان يأتي اليها منهم عدد كبير (١٠٥) ،
كما كثر ورود التجار المصريين الى دارفور في القوافل منتظمة ، وكان
العرب يصاحبون هذه القوافل ، سواء كانوا تجارا أم مهاجرين .

وبطبيعة الحال لم تنتعش التجارة بين دارفور ومصر فقط ،
وانما انتعشت ايضا مع البلدان المجاورة وخاصة بلاد النوبة التي هي
اقرب جغرافيا ومكانيا اليها من مصر . ونظرا لقلّة الموارد الطبيعية
في بلاد النوبة فقد اشتغل أهلها بالتجارة ، ساعدهم على ذلك وجود
عدد من المراكز التجارية التي انطلق منها التجار الى دارفور .
وكانت هذه المراكز تقع بطبيعة الحال على نهر النيل ، ومن أشهرها
مدينة الدبة وكورتى ودنقلة التي كانت تتصل بطريق درب الأربعين الذاهب
الى دارفور ، ومدينة مروى عاصمة عرب الشايقية والتي أصبحت مركزا
استراتيجيا على طريق القوافل القادمة من سواكن على ساحل البحر
الأحمر ، ومن مدينة سنار ، ومن مصر عبر صحراء العتومر والتي تتجه
الى دارفور وما يقع غربها من بلاد حتى المغرب الأقصى (١٠٦) .

ومن المركز التجارية الأخرى ببلاد النوبة مدينة شندي وهي
احدى بلاد الشايقية العرب حيث كان يجلب اليها التجار من كردفان
ودارفور ريش النعام والرقيق والجلود ، ثم يعودون الى دارفور وكردفان
من سوق شندي بالسنبل والمطرب والكحل والعقود والتوابل الكثيرة
وعلى الأخص القرنفل ، وكان الناس يتهافتون على شرائه في إقليم
السودان الغربية ، وذلك الى جانب آقبالهم على المنسوجات الحريرية
والدموم السنارى والكتان المصرى (١٠٧) .

(١٠٥) التونسى : نفس المصدر ، ص ٣٤٥

(١٠٦) الشاطر بصيلى : معالم تاريخ السودان وأدى النيل ،

ص ٣٦ ، بوركهارت : نفس المرجع ، ص ٦١

(١٠٧) بوركهارت : نفس المرجع ، ص ٢٤٧ ، ٢٥٠ ، ٢٥٥

كذلك كان لدارفور علاقاتها التجارية مع البلدان التي تقع خلف حوض نهر الغزال وتتجه جنوبا حتى تصل الى ساحل بر الزنج في شرقي افريقيا . كما كانت لها علاقات تجارية مع الصومال بواسطة طريق تجاري للقوافل يسير من الصومال الى بحر الغزال ومنه الى دارفور (١٠٨) .

وكانت لها أيضا علاقاتها التجارية مع البلدان التي تقع الى الغرب منها مثل بلاد الكانم والبرنو وما يقع خلفها من بلدان (١٠٩) . ولا شك ان التجارة التي قامت بين دارفور وبين البلدان المحيطة بها سواء القريبة منها أو البعيدة ، كان لها اثرها في قدوم كثير من التجار والمهاجرين العرب وغير العرب اليها ، وكان بعضهم يستقر فيها ويتخذها سكنا وموطنا .

فاذا أضفنا الى عامل التجارة العوامل الأخرى التي تحدثنا عنها لأدركنا ان هناك عوامل عديدة أدت الى هجرة العرب الى دارفور واستقرارهم فيها . وقبل ان نتحدث عن هجرات هؤلاء العرب لابد ان نعرف أيضا الطرق والمسالك التي سلكها هؤلاء العرب الى دارفور سواء كانوا مهاجرين أم تجارا ، مقيمين فيها اقامة دائمة أم مؤقتة .

(ب) مسالك وطرق الهجرة العربية الى دارفور

تعددت المسالك والبلدان التي انطلق منها العرب الى دارفور سواء كانوا مهاجرين أم تجارا ، وكان بعض هذه البلدان قد صار ديارا للعرب وتدرج أهلها تماما مثل مصر وبلاد النوبة وليبيا وتونس ، بينما كانت الأخرى هجرا لبعض القبائل العربية التي عاشت ضمن سكانها من البربر والسودان ، أو كانت تحت سلطان العرب ونفوذهم التجاري والسياسي

(١٠٨) الشاطر بصيلي : تاريخ وحضارات السودان الشرقي

والأوسط ، ص ١٩٧ ، ٢٤١ ، ٣٩٨ ، ٤٠١

(109) Robert July : op . cit , p. 39.

ومهجرا لهم أيضا ، مثل ساحل الزنج الذى يمتد من جنوب الصومال حتى موزمبيق فى جنوب شرق قارة افريقيا .

١ - الطرق القادمة من مصر :

وقد أتى العرب الى دارفور مع طرق التجارة القادمة من مساه البلدان ، وكذلك من البلدان التى تقع خلفها ، مثل اليمن وعمان وبلاد الحجاز والعراق وبلاد المغرب . ويبدو أن الجهة الرئيسية التى انى منها العرب الى دارفور كانت مصر (١١٠) . أولا : لأن حركة العرب عبر مصر معروفة ، اذ سجلها المؤرخون الأقباط والمسلمون ، بينما لم يوجد واحد أرخ لنا حدث على ساحل البحر الأحمر الذى قيل أن كثيرا من اسلاف القبائل العربية فى السودان أتوا عن طريقه (١١١) .

وثانيا : لأن كل القبائل العربية فى دارفور والسودان عامة هى نفسها التى تحتل الكتلة الرئيسية للقبائل العربية المنتشرة فى الأجزاء المختلفة من مصر منذ القديم وحتى اليوم . والدليل على ذلك ان جهينة التى تسكن دارفور وغيرها من أنحاء السودان لازالت توجد بها عوائل وبطون فى مصر بمركز فاقوس بمحافظة الشرقية ، وفى شبين القناطر بمحافظة القليوبية ، وفى أسيوط . وكذلك قبائل فزارة التى تعيش فى دارفور مازالت توجد منها عوائل فى مركز سنورس بمحافظة الفيوم ، وملوى بمحافظة اسيوط ، والواسطى بمحافظة بنى سويف . والرزيقات الذين يعيشون فى دارفور مازالوا منتشرين فى كوم أمبو وغيرها من بلاد مصر . وبنو هلبة الذين يعيشون فى دارفور يوجد أصلهم فى مسجحد موسى بمركز الصف بمحافظة الجيزة وفى قرية النوبرة بمحافظة بنى سويف . والحويطات الذين يعيشون شرق النيل وجنوب القاهرة وعلى مقربة منها ، هم الأصل فى الحوطية (الهرتية) بدارفور ، وكذلك الحال بالنسبة للقبائل الأخرى التى تعيش فى مصر ودارفور مثل اولاد على الذين

(10) Baddour : op. cit, p. 40 & Hamilton : op. cit, p. 47.

(111) Mac Michael : The Coming of the Arabs , pp. 46-47.

هم فى الأصل فرع من بنى سليم ويعيشون فى محافظة الجزيرة والبحيرة ، ومثل دغيم والجعافرة وبنى أمية وقريش وغيرهم من القبائل العربية الأخرى(١١٢) .

وثالثا : لأنه ليس هناك دليل على أن معظم العرب النازحين الى دارفور والسودان بصفة عامة قد جاءوا عن طريق آخر ، وذلك مع عدم اغفال بعض الموجات العربية الثانوية التى أتت مباشرة من شبه الجزيرة العربية عبر البحر الأحمر(١١٣) الى النوبة ثم الى دارفور ، أو عن طريق شمال أفريقيا من ليبيا وتونس عبر السهوب والبرارى الواقعة بين النوبة واقليم تشاد(١١٤) ، أو عن طرق غير مباشرة عبر شمال غرب أفريقيا أو غربى أفريقيا(١١٥) .

وعلى ذلك فقد كانت مصر هى الباب الرئيسى الذى أتى منه المهاجرون العرب وكذلك التجار العرب الى دارفور ، وذلك من خلال طرق عديدة ربطت بين البلدين . وقد ذكر الدكتور مصطفى مسعد ان الطرق التى ربطت دارفور بمصر عبارة عن طريق واحد هو طريق درب الأربعين الذى بدأ من أسويط ، ويشير الى طريق آخر ربط دارفور بليبيا بادئا من طرابلس ، ويقول ان هذين الطريقين ظلا وسيلة الاتصال التجارى والحضارى فيما بين دارفور ومصر وطرابلس عبر الأجيال والعصور حتى العصر الحديث ، حينما امتدت السكة الحديدية من الخرطوم الى الأبيض وأخيرا الى نيالا بدارفور ، فتغيرت وسائل النقل وبطل استعمال هذين الطريقين القديمين(١١٦) .

(١١٢) محمد عبد الرحيم : محاضرة عن العروبة فى السودان ،

ص ٦٨ ، ٦٩

(113) Baddour : op . cit, p. 40.

(١١٤) مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، ص ٢١٧

(115) Baddour : op. cit; p: 40.

(١١٦) مصطفى مسعد : نفس المرجع ، ص ٢١٦

وفى الواقع فقد اتصلت دارفور بمصر بواسطة عدة طرق وليس بطريق واحد . فهناك طريق درب الأربعين ، وهناك طريق صحراوي غربى يبدأ من الاسكندرية ويمر بغربى الدلتا ثم يتجه جنوبا الى الواحات وينتهى الى دارفور ، وكذلك هناك طريق نهر النيل الذى ينتهى الى دنقلة وبلاد النوبة ، وفى هذه البلاد يتفرع هذا الطريق الى عدة طرق ، يتجه احداها الى دارفور عبر كردفان او متصلا بدرب الأربعين مباشرة .

أما طريق درب الأربعين وهو أشهرها ، فقد سمي بهذا الاسم لان الرحلة عبره تستغرق أربعين يوما(١١٧) . ويبدأ هذا الطريق من اسيوط بصعيد مصر ويتجه غربا بجنوب حتى يمر بالواحات الجنوبية ، اقصد الواحة الداخلة ، والخارجة ، والفرافرة(١١٨) . والطريق عند هذه الواحات يتصل بالوادي بطرق عديدة تربطه بكثير من المدن والفواحي الواقعة على نهر النيل مثل أسوان واسنا وارمنت والبلينا واخميم واشمون التى تصل نهر النيل بالواحة الخارجة ، ومثل القيس والبهنسا التى تصل نهر النيل بالواحة الداخلة(١١٩) .

وقد كانت هذه الطرق او المسالك تتصل بدرب الأربعين عندما يتجه من الواحات جنوبا حتى يصل الى واحة سليمة التى تبعد عن نهر النيل مسافة يومين ونصف يوم فى الصحراء الغربية . وكانت هذه الواحة محطة للقوافل المتجهة الى دارفور او القادمة منها فى طريقها الى اسيوط . وكان النوبيون ينتظرون هذه القوافل ويصلون الى واحة سليمة ليبيعون للمسافرين التمر وغيره من الزاد والطعام(١٢٠) .

(١١٧) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ١٥٠

(١١٨) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السيدان الشرقى

والأوسط ، ص ٣٣٤

(١١٩) ابن حوقل : كتاب صورة الأرض (المسالك والممالك) ،

بيروت ، سنة ١٩٧٩ ، ص ١٤٥

(١٢٠) بوركهارت : نفس المرجع ، ص ٤٥

وبعد مغادرة واحة سليمة يمر طريق درب الأربعين بوادي هوار
وببئر النظرون(١٢١) . ويتصل هذا الطريق مرة أخرى بواسطة لريف
فرعى يأتى من منطقة دنقلة(١٢٢) التى تتصل به فى هذه المرحلة ،
أو تتصل به عن طريق الواحة الخارجة(١٢٣) . ويستمر الطريق الرئيسى
فى امتداده حتى يصل الى شمالى دارفور وينتهى الى مدينة أورى
عاصمة مملكة التنجور التى قامت فى حكم دارفور فى العصور الوسطى
ابتداء من القرن الثالث عشر للميلاد كما سبق القول . وقد انتعشت
هذه المدينة وكذلك بقية الأراكز التجارية الأخرى التى تقع فى دارفور
والتي سبقت الإشارة إليها بسبب هذا الطريق(١٢٤) .

ولم يكن العرب هم أول من سلك هذا الطريق فى رجهتهم نحو
دارفور ، وإنما كان هذا الطريق معروفا للمصريين منذ العصر الفرعونى ،
وذلك بهدف تنشيط الحركة التجارية بين البلدين . ومن أجل ذلك قام
القائد الفرعونى المسمى حركوف فى عهد الأسرة الفرعونية السادسة
بأربع رحلات ناجحة الى بلاد النوبة والسودان ، وكان طريق درب
الأربعين من أشهر الطرق التى سلكها فى هذه الرحلات والذى ظل
يستخدم حتى القرن العشرين فى التجارة بين مصر والسودان(١٢٥) .

ويبدو أن حركوف توغل فى رحلاته حتى بلغ اقليمى كردفان
ودارفور ، بدليل ما ورد فى رحلاته من ذكر أسماء لأماكن لازالت موجودة
فى دارفور ، مثل لفظ ارتيت Irtet الذى من الممكن أن يكون هو
نفسه المكان المسمى Urti والذى لازال موجودا فى شمال جبل ويدوب
فى شمالى دارفور وعلى خط عرض الخرطوم . ومثل لفظ القمح Temeh

(121) Arkell : The history of Darfur, S. N. R. IV, p. 250.

(١٢٢) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى

الأوسط ، ص ٣٣٥

(١٢٣) ابن حوقل : نفس المصدر ، ص ١٤٥

(١٢٤) انظر ، ص ٣٨ ، ٤٦

(125) Arkell : A history of the Sudan, pp. 42 - 44.

الذى يقول عنه آركل انه لا يزال حيا فى كلة تامه Tama الحديثة والذى تدل على ناحية تقع شمال غربى دارفور وجنوب خط عرض الخرطوم فليلا تجاه الشمال الشرقى لواداي . ومما يدل أيضا على توغل حركوف حنى غرب السودان أنه الحضر معه عند عودته سلعا مثل العاج وخشب الأبنوس والبخور . ويقول آركل أن هذه السلع يمكن أن يحصل عليها من دارفور(١٢٦) .

وكما عرف المصريون القدماء بلاد السودان ومنها دارفور على هذا النحو ومنذ زمن موغل فى القدم ، فقد عرفه أيضا تجار العرب الأقدمون وقبل ظهور الاسلام بوقت طويل . فقد كان يوجد بعض هؤلاء التجار فى مصر والسودان منذ ذلك التاريخ للحصول على الذهب والعاج والعبيد والتوابل ، وكانت هذه العملية معروفة فى العصور الرومانية والبطلمية . وليس هناك من شك فى أن بعض هؤلاء التجار العرب استقر فى مصر والسودان ، ومن المحتمل أنه التحق بهم آخرون . وعلى أية حال فإنه فى القرنين السابقين على العصر المسيحى وبعد ذلك عبر حميريون كثيرون من جنوبى الجزيرة العربية الى الحبشة(١٢٧) ، وكذلك هاجر بعضهم الى مصر . ويذكر استرابو (٦٦ ق م - ٢٤ م) وبلينيوس (حوالى ٧٠ م) وهما مؤرخان يونانيان عاشا فى أوائل العصر المسيحى أن العرب تكاثروا فى أيامهما على العدوة الغربية من البحر الأحمر حتى شغلوا ما بينه وبين النيل فى أعلى الصعيد ، وأصبح نصف سكان قفط منهم ، وكان لهم جمال ينقلون عليها التجارة والناس بين البحر والنيل(١٢٨) .

(١٢٦) Ibid : pp. 42 - 44 ، زاهر رياض : مصر وأفريقيا ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٧٦ ، ص ٨ - ١٠ ، أحمد فخرى : مصر وأفريقيا فى العهد الفرعونى ، مجلة نهضة أفريقية ،

العدد ٤ سنة ١٩٥٨ ، ص ٤٤ - ٤٥
(127) Mac Michael : The Coming of the Arabs to the Sudan.
p. 42 .

(١٢٨) عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى

النيل ، ص ٨٩

وبينما استقر بعض هؤلاء العرب سواء كانوا تجارا أم مهاجرين في مصر والحبشة ، اتخذ آخرون طريقهم عبر النيل الأزرق وعطبرة شمالا الى بلاد النوبة (١٢٩) . ومن بلاد النوبة كان هناك طريق يبدأ من دنقلة ويتجه غربا ليتصل بطريق درب الأربعين الذى يصلها بدارفور (١٣٠) . ويؤكد ماكمايكل هذا المعنى بقوله ان هناك ما يبين ان بعضا من هؤلاء العرب سواء جاءوا من الشرق عبر البحر الأحمر أم من الشمال عبر وادى النيل ، وجدوا طريقهم غربا عبر كردفان ودارفور (١٣١) .

ولما فتح العرب مصر على يد عمرو بن العاص فى عام ٢٠ ق/٦٤٠ م وتدفقت القبائل العربية على مصر وملئوها ، سلكوا نفس الطريق وهو درب الأربعين للوصول الى إقليم دارفور . وهكذا لعب هذا الطريق دورا هاما فى نقل العروبة والاسلام وحضارته الى دارفور والى قباب القارة الافريقية والى بلداتها الغربية (١٣٢) .

وبجانب طريق درب الأربعين ، كان هناك طريق غربى صحراوى آخر ربط أيضا بين مصر ودارفور . وهو طريق يتوسط طريق نهر النيل والطريق الليبى التونسى ، ويسمى الطريق الليبى ، ربما لأنه يمر بعد أن يخرج من مصر بالصحراء الكبرى التى تسمى فى جزء منها بالصحراء الليبية ، وهى الصحراء التى تقع شمال دارفور وتشاد . وهذا الطريق الذى يربط شمال غرب السودان بمصر ، يمتد من غربى الدلتا أو من الاسكندرية على وجه التحديد ويتجه نحو الجنوب حتى يصل الى

(129) Mac Michael : op. cit; p. 42.

(١٣٠) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ٣٣٥ ،
Purves :. Some Aspects of the Northern Province, p. 776.

(131) Mac Michael : The Coming of the Arabs, p. 42.

(١٣٢) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ٣٣٥

الجهات الشمالية لكردفان ودارفور . وهو طريق تذكره معظم القبائل المهاجرة من غرب مصر فى رواياتها وأخبارها ، والدليل على ذلك ما يذكره الأستاذ سلجان من أنه يجد صلة بين بعض القبائل التى تعيش فى غربى مصر وبين كثير من القبائل الجهتية التى تعيش فى السودان الغربى (١٣٣) ، أى فى غربى السودان النيل .

ويرجح الدكتور محمد عوض محمد أن قبائل البقارة وإقاربهم من رعاة الابل وقبائل فزارة ونصف الكبابيش الذين هاجروا من مصر إلى دارفور لم يقيموا فى الجهات النيلية ، وإنما هاجروا إلى مواقعهم الحالية كرفان ودارفور سالكين طرقا للهجرة. ابتعدت بهم عن الجهات النيلية ، وهذه الطرق هى التى فضل أن يسميها الطرق الليلية ، والتى كان منها ذلك الطريق الذى نحن بصدد الحديث عنه الآن ، وكذلك طريق دريب الأربعين الذى سبق الحديث عنه ، وغيرهما من الطرق التى تفضى من مصر إلى دارفور وكردفان مباشرة (١٣٤) .

وبجانب هذين الطريقين اللذين يوصلان بين مصر ودارفور ، هناك طريق ثالث ولكنه غير مباشر ، إذ يأتى من مصر إلى بلاد النوبة أولا ومنها إلى كرفان ودارفور ، ويكاد هذا الطريق أن يكون هو الطريق الرئيسى للهجرات العربية القادمة إلى السودان بصفة عامة ، كما أنه كان من أقدم الطرق التى سلكتها هذه القبائل إلى هذه البلاد (١٣٥) .

فالتاريخ لا يسجل فى أى عهد من عهوده وصول موجات هامة أو هجرات عنيفة إلى السودان عن طريق غير طريق مجرى النيل الذى يمتد من الشمال إلى الجنوب (١٣٦) . ولذلك فإن هذا الطريق يعتبر أهم

(١٣٣) محمد عوض محمد : السودان الشمالى ، ص ٢٣٥

(١٣٤) المرجع السابق ، ص ٢٣٤

(١٣٥) المرجع السابق ، ص ١٦٠

(١٣٦) مصطفى مسعد : امتداد الاسلام والعروبة ، ص ٧٧

الأبواب والمداحل التي دخلت منها الثقافة العربية الى السودان ، ونزحت بواسطته اغلبيية القباس العربية الى مواطنها الحالية فى السودان الشمالى ، كما ان له الفضل فى نشر العروبة فى السودان(١٣٧) .

وهذا الطريق لا يلزم النهر فى كل جزء منه ، فهو يتابع النهر من جنوب اسوان الى كورسكو او قبلها بقنيل ، ثم يخترق صحراء العتمور مباشرة الى المكان الذى تقع فيه بلدة أبى حمد الآن على نهر النيل فى بلاد النوبة ، حيث يتابع الامتداد مرة اخرى ويلزمه نحو الجنوب(١٣٨) .

ويعود السبب فى سلوك طريق العتمور الى انه اقصر من ملازمة النهر بين كورسكو وابى حمد ، فطوله لا يزيد عن ٢٤٠ ميلا ، كما انه يتجنب الأقاليم النوبية الكثيرة السكان والتي لا بد لمن يختارها طريقا لهجرته ان يخضع لما يفرضه هؤلاء السكان من شروط واتاوت . وطريق العتمور قديم مغرق فى القدم ، ولا شك انه استخدم فى العصور المصرية القديمة ، يدل على ذلك الآثار الرائعة والكثيرة التى تقع حول شندي . وظل هذا الطريق مألوف للمراطين والتجار منذ ذلك الزمن القديم حتى الأزمنة الحديثة ، حيث استخدمه بوركهارت وغيره من المستكشفين(١٣٩) . وكذلك كان التجار كثيرا ما يستخدمونه فى نقل اعداد كبيرة من الجمال الى مصر لبيعها للفلاحين كحيوانات لحمل الأشياء ، او للجزارين للذبح(١٤٠) .

(١٣٧) محمد عوض محمد : السودان الشمالى ، ص ١٦٠

(١٣٨) المرجع السابق ، ص ١٦٠ ، حسن محمود : نفس المرجع ،

ص ٢٧٧

(١٣٩) محمد عوض محمد : السودان الشمالى ، ص ١٦٠ - ١٦١ ،

الشعوب والسلالات الافريقية ، ص ٢١١ ، نعوم شقير : تاريخ السودان

القديم والمحدث ، ج ١ ص ٧٧

(140) Purves : op. cit, p. 176.

ومن ابي حميد كان الراحلون يلزمون طريق النهر مرّة اخرى حتى
دمقطة حيث يسنقر البعض هناك ، ويفضل آخرون الرحيل غربا عبر
وادي القعب بغرض الوصول الى الصحارى الواقعة فى المناطق الغربية
التي كانت تجذبهم الى العيش فيها ، كما اتجه آخرون الى الجنوب
والجنوب الغربى عبر الطريق الذى يبدأ من كورتى بطول وادى المقدم ،
ومن دبة بطول وادى الملك الى كردفان ، ومن هناك انتشروا غربا الى
دارفور ، وبعضهم انتشر جنوبا فى المناطق النيلية التى تحيط بالنيل
الأبيض وما يليها شرقا حتى الحبشة (١٤١) .

ذلك انه من الصعب ان نتصور ان تأثير هذا الطريق الهام على
مدى قرون ظل مقصورا على الاراضى التى تحيط بالنهر أو الجهات التى
تليها شرقا وغربا ، اذ لم يكن هناك بد من ان يتجاوزها الى نواح اخرى
من السودان ، فى سهل البطانة شرقا ، وفى كردفان ودارفور غربا ،
وان كان المحور الأساسى والرئيسى لتأثيره هى المناطق التى احتلتها
المجموعة الجعلية (١٤٢) .

هذه هى أهم الطرق التى ربطت دارفور بمصر واستخدمها عرب
مصر للرحلة الى دارفور كتجار أو كمهاجرين . ومصر على هذا النحو
تعتبر الجهة الرئيسية والباب الشمالى الذى تدفق منه العرب على دارفور
وعلى السودان بصفة عامة . ولا شك أنه كانت هناك ابواب اخرى لهذه
الهجرات وان كانت لا تصل الى تأثير الباب الشمالى أو الرافد الشمالى
المنطلق من مصر . ومن هذه الابواب الاخرى الباب الشرقى والباب
الغربى الشمالى والباب الجنوبى .

(141) Mac Michael : The Coming of the Arabs , p. 55.

(١٤٢) محمد عوض محمد : السودان الشمالى ، ص ١٦١ ،
عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى النيل ، ص ١٥٧

٢ - الطرق القادمة من ناحية الشرق :

لا شك ان ناحية الشرق وفد منها عرب الى دارفور وان كانت نسبتهم لا تقارن بنسبة الوافدين منهم الى هذا الاقليم من مصر . ونظرا لأن السودان يطل على البحر الأحمر وله فيه بعض الموانى مثل سواكن ويأضع وغيرهما فإنه كان على اتصال بما يقع وراء هذا البحر من بلدان ، مثل بلاد الحجاز واليمن وعمان ، وكذلك بلاد العراق . ومن هذه البلاد وفد بعض العرب فى جماعات صغيرة الى السودان تجارا ومهاجرين . وقد سبقت الاشارة الى أنه فى القرنين اللذين سبقا ميلاد السيد المسيح عليه السلام دخلت مجموعات حميرية السودان واستقرت على النيل الأزرق ونهر عطبرة ، ومن المحتمل أنها وصلت الى بلاد النوبة فى الشمال ، وكردفان ودارفور فى الغرب (١٤٣) .

ولم يكن مجيء هؤلاء العرب الى السودان قبل الاسلام ذا أهمية ملحوظة ، لأنهم أولا دخلوا السودان فى اعداد صغيرة كان تأثيرها فى معظم الحالات موجودا فى المناطق الشرقية ، وثانيا لأنهم لم يضيفوا فى مجال الثقافة والدين كما فعلوا بعد ظهور الاسلام (١٤٤) .

اذ بعد ظهور الاسلام ازداد اقبال المهاجرين الى السودان عن طريق البحر الأحمر أكثر من ذى قبل ، ووجدت طرق عديدة تربط بين سواحل هذا البحر وبين داخل السودان . فطريق القوافل الذى يربط ما بين بربر وما بين سواكن كان هو الطريق الرئيسى للسودان للقادمين من بلاد الحجاز ، وكانت سواكن حينذاك هى الميناء الرئيسى على البحر الأحمر (١٤٥) .

وكان هناك طريق آخر للقوافل يتجه أيضا من بلاد النوبة الى سواكن ، ويبدأ هذا الطريق من الموضع الذى ينعطف فيه النيل ناحية الغرب ،

(143) Mandour : op. cit, p. 27.

(144) Ibid : p. 27.

(145) Davies : Economics and Trade , p. 29 5.

ربما عند بلدة ابي حممد الحالية ، ومن هناك يتجه شرقا الى سواكن وباضع ودهلك (١٤٦) .

وهناك طريق ثالث يربط السودان ايضا بالبحر الأحمر ، وينتهى هذا الطريق عند ميناء عيذاب الذى يقع فى آخر حدود مصر وأول حدود السودان . وكان هذا الطريق مشهورا بأنه طريق للحج بجانب التجاره ، ذلك ان الحجاج القادمين من مصر والسودان وغرب افريقيا كانوا يستخدمونه فى العصور الوسطى للعبور الى بلاد الحجاز ، تجنباً للأخطار الناجمة عن الحروب الصليبية التى كان حوض البحر المتوسط ميدانا لها . فقد كانت عيذاب بعيدة عن اغارات الصليبيين الذين نقلوا فى تلك الفترة سفنهم الى البحر الأحمر وأخذوا يهددون قوافل الحج البرية والبحرية ، كما أن قرب عيذاب من جدة جعلها موضعا ملائما لاختراق البحر الأحمر . وقد ظل هذا الميناء يؤدي مهمته حتى اندثر تماما فى اواخر العصور الوسطى وانتقل نشاطه الى بلدة سواكن التى تقع فى ارض البجة والتى ترجع الروايات الحديثة تأسيسها الى عرب الجنوب وخاصة الحضارمة . ولذلك وصفت بأنها عربية أكثر ، منها بجاوية . ومنذ القرن الخامس عشر للميلاد أخذت تؤمها السفن القادمة من المحيط الهندى ، كما قصدها تجار من حضرموت واليمن والهند والصين (١٤٧) ، وانطلقوا منها الى داخل السودان حتى دارفور .

ذلك أن دارفور كانت فى حاجة الى استيراد الحبوب ، لأن الحبوب فيها قليلة . ومن الطبيعى وكما يقول دافيز أن يكون استيرادها ارض من الخليج الفارسى أو حتى من الهند من أن تنتقل الى دارفور من الغرب (١٤٨) .

(١٤٦) سر الختم عثمان : نفس المرجع ، ص ٢٢٨

(١٤٧) محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الافريقية ،

ص ٢٥٨ ، ٢٥٩

(148) Davies : op. cit, pp. 305 - 306 .

(م - ٧)

وقد شجع هؤلاء التجار على القدوم من الجزيرة العربية الى السودان ومنه الى دارفور ، ان المنطقة المحصورة بين ساحل البحر الأحمر الغربى وبين نهر النيل أصبحت أرضا إسلامية ، منذ وقت مبكر . ذلك ان هذه المنطقة كان يسكنها شعب البجة الذين اعتنقوا الاسلام بعد ان نزلت فى بلادهم جماعات عربية من بلى وجهينة للتجارة عقب الفتح العربى لمصر ، كما عبرت جماعة من عرب هوازن البحر الأحمر فى نهاية القرن السابع للميلاد واستقرت فى أرض البجة حيث عرفوا هناك باسم الحانقة ، وازدادت الهجرة الى هذه البلاد منذ وقت مبكر ، اذ عثر على شواهد قبور عربية يرجع تاريخها الى منتصف القرن الثامن للميلاد ، ودل البحث الأثرى كذلك على وجود مسجد فى سنكات يرجع تاريخ بنائه الى عام ٢١٦ هـ / ٨٣١ م (١٤٩) .

ولم تلبث أن خضعت بلاد البجة للمسلمين وأصبحت جزءا من الدولة الاسلامية فى عهد الخليفة المأمون بعد ان كثرت اغارات البجة على جهة اسون ، فجرد عليهم عامل مصر حملة فى عام ٢٣٢ هـ / ٨٤١ م انتهت باخضاعهم على أساس ان تكون بلادهم من حد اسوان الى حد ما بين دهلك ومصوع وباضع ملكا للخليفة العباسى ، وان يكون كتون بن عبد العزيز ملك البجاة وأهل بلده عبيداً لأمير المؤمنين ، على ان يبقى كتون ملكا عليهم ، وان يؤدى ملك البجة الخراج كل عام لبيت المال ، وان يامن التجار المسلمون على أنفسهم وأموالهم حين اجتيازهم لبلادهم (١٥٠) ، الى غير ذلك من الشروط التى فتحت هذه البلاد للتجار وللمهاجرين العرب .

وقد أقبل هؤلاء التجار والمهاجرون ليس من مصر وحدها ، ولكنهم اتوا أيضا من اقرب البلدان الى هذه المنطقة الساحلية السودانية ،

(١٤٩) مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ، ص ١١٧ - ١١٨

(١٥٠) المرجع السابق ، ص ١١٦ - ١١٧

وهى بلاد الحجاز . وقد أتوا منها الى السودان فى شكل هجرات سلمية حيث استقرت فى هدوء وسلام ، وكان عرب ينبع يفدون الى سواكن ومنها يسيرون مع القوافل الى شندي (١٥١) ، التى كانت اهم المراكز التجارية التى يؤمها تجار سواكن المعروفون فى هذا الجزء من نار ، افريقية بالحداربة أو الحضارمة ، كما كان يؤمها تجار سنار وكردفان الذين كانوا يرحبون بقوافل هؤلاء الحدارية حتى تصل الى شندي ، التى تقع خلف البحر الأحمر وعلى سواحل المحيط الهندي (١٥٢) .

والصلة بين سنار وكردفان ودارفور غير خافية ، وذلك أن دارفور كانت تشمل على بعض أجزاء كردفان الغربية فى الاقليم الذى يقع غربى النهود ، كما انها تتصل بها اتصالا برياً وترتبط بينهما طرق القوافل ، ويتنقل السكان بينهما حسب مواسم المطر وحسب وجود المراعى (١٥٣) .

ولذلك فان السلع التجارية التى كانت ترد من بلاد الحجاز الى سواكن كانت تصل الى كردفان ومنها الى دارفور ، يدل على ذلك ما يقوله آركل من أن المستر J.S. Owen عثر على بعض اغطية لأوانى فخارية ذات مقابض فى جبل وارا Wara بدارفور ، وهى من مذهب الأنا فى متحف فتزوليم ، ويقول أن هذه الاغطية تعود الى الفترة العربية ، وانها تشابه أو تطابق بعض اغطية من بلاد الحجاز (١٥٤) ، مما يدل على التبادل التجارى أو على وصول السلع الحجازية والدارفورية كل الى البلد الآخر .

وغنى عن القول أن هذا الأمر مهد لهجرة بعض العرب من بلاد

(١٥١) بوركهارت : نفس المرجع ، ص ٢٥١

(١٥٢) المرجع السابق ، ص ٢٤٨

(153) Mac Michael : A history of the Arabs, footnote 5, p.319

(154) Arkell : The history of Darfur, S. N. R., IV, p. 244.

الحجاز الى دارفور عبر بلاد البجة ، وعبر وادي نهر النيل فى جزئه الأوسط الذى ازدحم بالقبائل العربية المهاجرة اليه ، سواء فى مملكة مقرة أم فى مملكة علوة كما سبق القول .

وفى هذا الصدد يلاحظ أن جهينة وهى نصف عرب السودان كما يفول ماكمايكل تدعى أنها أتت أصلا من الحجاز حيث يوجد من يعيش حتى الآن ويحمل نفس الاسم فى بلاد الحجاز . والحقيقة أن هذه القبيلة اعتنقت الاسلام منذ وقت مبكر ودخلت مصر عند الفتح ، وغزت اقليم البجة بعد ذلك بحوالى مائتى عام ، كما أنها استعمرت الصعيد نهائيا وانتشرت فى مملكة النوبة ومنها الى كردفان ودارفور(١٥٥) .

وعلى أية حال فإن أسرات عديدة دخلت السودان عن طريق البحر الأحمر بحثا عن التجارة أو اتخاذه ملجأ لأسباب خاصة بهم ، أو بحثا عن الحياة الرعوية الخلوية فى البلاد المحيطة كما فعل الرشايدة فى وقت قريب(٥٦) . وطبيعى أن بعضا من هذه الأسرات اتجهت غربا الى دارفور وسكنتها ، وان كان العرب الذين دخلوا دارفور والسودان عامة عن طريق البحر الأحمر من بلاد الحجاز كانوا قليلى العدد .

أما بلاد اليمن فقد كان لها اتصال بالسودان ودارفور قبل ظهور الاسلام . وقد سبقت الاشارة الى عبور حميريين كثيرين البحر الأحمر من جنوبى الجزيرة العربية الى الحبشة حيث استقر بعضهم فيها ، واتخذ آخرون طريقهم عبر النيل الأزرق وعطبرة شمالا الى بلاد النوبة ، ووجد آخرون طريقهم غربا عبر كردفان الى دار فور(١٥٧) .

وفى العصر الاسلامى اتى من اليمن الى دارفور بعض القبائل العربية ، منهم الكرويات الذين وصلوا الى هذا الاقليم واستقروا فى

(155) Mac Michael : The Coming of the Arabs, pp. 44 - 45.

(156) Ibid : p. 46.

(157) Ibid : p. 42.

الجزء الشمالى الغربى منه قرب دار قمر ، ثم استقر بعضهم بين عرب واداي . ويزعم كرويات دارفور فى الوقت الحالى أنهم ينتسبون الى بنى شية فى جزيرة العرب(١٥٨) .

لذلك فان قبيلة الحمر (بفتح الحاء والميم) بدارفور تقول بأنها من حمير من اليمن ، وأنهم هاجروا الى السودان فى عصر الحجاج ابن يوسف الثقفى فى النصف الثانى من القرن الأول الهجرى / النصف الثانى من القرن السابع للميلاد ، بعد أن عبروا البحر الأحمر ، ويقال أنهم استقروا أولا حول التاكة (كسلا) ثم تحركوا الى النيل الأزرق ، وبعد فترة الى دارفور حيث اتخذوها سكنا دائما لهم(١٥٩) ، ولا زالوا يعيشون فيها حتى اليوم .

الما عمان (بضم العين) فقد هاجر منها بطون من قبيلة مهرة ربما عبر بحر العرب ومنه الى البحر الأحمر عبر خليج عدن ، ثم الى موانى السودان التى تقع على هذا البحر ، ومنها الى داخل السودان ثم استقرت أخيرا فى دارفور ، حيث ترد الاشارة الى سكانها لهذا الأقليم ضمن غيرها من القبائل العربية(١٦٠) . وربما كان وصول المهرة الى دارفور عن طريق ساحل بلاد الزنج الذى كان سيطر عليه العمانيون فى معظم عصور التاريخ ، ومن هذا الساحل توغل المهرة متجهين شمالا بغرب مخترقين بلاد الصومال وجنوب الحبشة حتى وصلوا الى النيل الأبيض ومنه اتجهوا الى دارفور .

وربما كان وصول المهرة الى دارفور من مصر عبر الطرق التى اشرنا اليها والتي كانت تربط البلدين، ذلك أن مهرة اشتركت فى فتح مصر واستقرت فيها وانتشرت فى أنحاءها المختلفة(١٦١) .

(158) Mac Michael : A history of the Arabs , Vol 1, p. 336.

(159) Ibid : p. 319.

(١٦٠) نعوم شفير : نفس المرجع ج ١ ص ٦٢ ،
Mac Michael : op. cit, Vol 1, p. 300.

(١٦١) ابن عبد الحكم : نفس المصدر ص ١١٨ ، ١١٩

ومع ذلك فان هذا الباب الشرقى المنحدر من ساحل البحر الأحمر
والذى عبرته هجرات من جزيرة العرب متجهة صوب الغرب الى
السودان (١٦٢) ، لم يكن طريقا رئيسا للهجرات الى هذه البلاد أو
الى دارفور ، لأن التاريخ لم يسجل وصول هجرات كبيرة أو عديدة عبر
هذا الطريق مثلما سجل عن هجرة هذه القبائل العربية من مصر الى
بلاد السودان .

ولذلك فان ماكمايكل يستنكر ما تقوله بعض القبائل العربية فى
السودان من أن أجدادها وصلوا من جزيرة العرب مباشرة الى السودان عبر
البحر الأحمر ، ويشكك فى هذا القول ويقول انه ادعاء سببه تأييد دعوى
هذه القبائل فى الانتساب الى أصل شريف أموى أو عباسى أو فى
الانتساب الى صحابة رسول الله ﷺ (١٦٣) .

٣ - الطرق القادمة من ساحل بر الزنج والصومال :

ومن الطرق والجهات التى ورد منها بعض العرب الى دارفور والتى
لم يتحدث عنها أحد فى التاريخ الاسلامى الوسيط ، هى ما اشار
اليها الشاطر بصيلى عبد الجليل ، حيث تحدث عما يعرف بالجنح الشرقى
لحوض وادى النيل ،والذى يمتد فى رايه من عيذاب الى سوفاة فى موزمبيق
فى جنوب الساحل الشرقى لأفريقيا . وبذلك فان هذا الاقليم يمتد ليشمل
ساحل السودان وأريتريا والصومال وبر الزنج ، وفى الداخلى يشمل
الحبشة وهضبة البحيرات . وفى رايه أن هذا الاقليم الكبير وأن هذه
المناطق الواسعة التى كان يشملها كانت مفتوحة لمرور القوافل وهجرات
القبائل فيما عدا اثيوبيا التى كان نجاشيوها يسيطرون على منطقة تبدأ
من جنوب بحيرة تانا الى أريتريا (١٦٤) .

(١٦٢) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٢٧٧

(163) Mac Michael : The Coming of the Arabs, p. 46.

(١٦٤) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى

والأوسط ، ص ١٤١

وقد هاجر العرب الى هذه المناطق والبلدان منذ ما قبل ظهور الاسلام . ولما ظهر الاسلام ازدادت هجرتهم اليها منذ القرن الأول الهجرى بغرض التجارة فى الأساس وتطورت مراحل نشاطهم فأعدوا طرق القوافل ، وأسسوا المراكز والمحطات التجارية على طول هذه الطرق التى كانت قد تعطلت لزمناً طويلاً قبل القرن السابع للميلاد لأسباب كثيرة ، كما أقاموا على امتداد القرون فى الصومال وساحل الحبشة ما عرف فى التاريخ باسم دول الطراز الاسلامى ، كما أقاموا سلسلة من المراكز التجارية والموانى على ساحل بر الزنج لم تلبث أن تحولت الى دويلات وسلطنات صغيرة كان لها نشاطها التجارى الكبير ، واتصلوا بالموانى والبلدان الأخرى التى تقع على سواحل المحيط الهندى ، وأقاموا النقابات التجارية وأنشأوا الوكالات فى الموانى الكبيرة وفى المدن التى تلتقى فيها القوافل القادمة من داخل القارة الافريقية ، وصاروا واسطة لنقل المتاجر بين البلدان التى تطل على المحيط الهندى وبين البلدان الافريقية التى تقع فى قلب القارة ومنها دارفور بطبيعة الحال (١٦٥)

ومعنى ذلك ان العرب توغلوا فى داخل القارة الافريقية منذ عصور الاسلام الأولى ، ويعتقد أن النفوذ العربى قد اشتد واستطاع ان يسيطر على شبكة كبيرة من طريق النقل عبر هذه القارة ، وتمكن العرب من أن يقيموا سلسلة من المراكز التجارية على طول هذه الطرق التى اخترقت القارة من جنوبها الشرقى الى شمالها والى شمالها الغربى عبر دارفور ، اى من بر الزنج على ساحل شرقى افريقيا الى تونس على ساحل البحر المتوسط والى مالى فى غرب افريقيا (١٦٦) . واشتد نشاط هذه المراكز فى عصر الحروب الصليبية حيث تحولت التجارة الى طرق

(١٦٥) المرجع السابق ، ص ٣٨ - ٣٩ ، ١٤٢ - ١٤٣ ، ٣٨٢ ، ٣٩٠

(١٦٦) المرجع السابق ، ص ٣٩٣

القوافل من الصومال وساحل بر الزنج الى شمال وغرب افريقيا وساحل البحر المتوسط عبر حوض النيل الاوسط وخاصة دارفور(١٦٧) .

وكان العاج ينقل من اكثر هذه المناطق على هذه الشبكات من طرق القوافل ، كما كان ينقل الذهب عبرها من المنطقة التي كانت تعرف بروديسيا (زيبابوى الآن) ، وكذلك النحاس من كاتنجا ، هذا بخلاف السلع التي كانت تستورها دويلات برالزنج الاسلامية وكذلك الصومال من الهند والشرق الأقصى(١٦٨) ، ويحملها التجار عبر هذه الطرق الداخلية الى شمال القارة الافريقية .

وهذه المنطقة الشاسعة الممتدة من برالزنج فى شرق افريقيا الى تونس الواقعة فى شمال القارة ، ومالى الواقعة فى غربها ، والتي ربطتها شبكة من طرق القوافل على النحو المشار اليه ، توسطتها منطقة دارفور أو ما يمكن تسميته بالمنطقة الوسطى والتي تبدأ من حوض بحر الغزال جنوبا ومنطقة كودوك (فاشودة) شرقا وتنتهى فى دارفور . وكانت هذه المنطقة الوسطى يليها جنوبا ما يمكن تسميته بالمنطقة الجنوبية التي تبدأ من بحر الغزال وتمتد الى ساحل شرقى افريقيا والحبشة وتشمل ايضا منطقة البحيرات ، وكان يلى المنطقة الوسطى شمالا ما يمكن تسميته بالمنطقة الشمالية التي تشمل بلدان الساحل الشمالى الافريقى(١٦٩) .

وقد ربطت شبكة من طرق القوافل هذه المناطق الثلاث ببعضها ، وكانت هذه الطرق عديدة ، منها طريق يمتد من الصومال وأثيوبيا فحوض النيل الاوسط فدارفور ، وطريق آخر يمتد الى هضبة البحيرات ثم الى دارفور ووادى والنيجر ، وطريق ثالث يمتد من منطقة بحر الغزال

(١٦٧) المرجع السابق ، ص ٣٩٣

(١٦٨) المرجع السابق ، ص ٣٩٣

(١٦٩) المرجع السابق ، ص ٣٩٨

الى دارفور ، كما كانت هناك طرق تمتد من الجنوب الى الكونغو ومنها الى دارفور(١٧٠)

وعلى هذا النحو كانت دارفور فى يدها مفاتيح التجارة القادمة من المنطقة الجنوبية لسبب بسيط ، وهى انها كانت تسيطر على منطقة حوض النيل الأعلى وهى المنطقة التى تمتد من جنوب خط عرض ١٢ شمال خط الاستواء وتشمل رقعة كبيرة من الأرض غرب حوض النيل ، وكانت هذه المنطقة وحتى القرن السابع عشر للميلاد ويعدده بقليل واقعة تحت سيطرة دارفور فى مختلف عهودها التاريخية . وقد ذكر التونسى أن الفور وهم على ما هو معروف غالبية سكان دارفور يسيطرون على خمس ولايات فى دارفرتيت ، وهى دار رونجة ، ودار بندله ، ودار فنقرو ، ودار نبيجة ، ودار شالا . وكانت دار شالا ابعدها جنوبا فهى تبعد عنها مسيرة اكثر من سبعين يوما ، وكانت غزوات الفور تمتد مسيرة تسعين يوما فى المناطق الجنوبية والجنوبية الغربية(١٧١) .

ونتج عن ذلك أن اتد نفوذهم نحو الجنوب حتى شمل رقعة كبيرة من حوض بحر الغزال ، وشمال شرق الكونغو ، واقليم نهري شارى والأوبانجى(١٧٢) . وكان يقال أن تجار الفور والعرب كانوا يذهبون الى أماكن بعيدة فى الجنوب عبر خط تقسيم المياه بين النيل والكونغو ، وكانوا يأخذون معهم اكفانهم ، ويبدو أن ذلك كان بسبب طول الشقة وبعد المسافة ، ولتعرضهم للموت لأكثر من سبب(١٧٣) .

وكانت المنطقة عبر اقليم حوض النيل الأعلى تكون عدة دوائر صغيرة فى الدائرة الكبيرة ، وتخرج منها عدة طرق للقوافل الى مختلف

(١٧٠) المرجع السابق ، ص ٣٨٢ - ٣٨٣ ، ٣٩٨

(١٧١) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٤١ ، الشاطر بصيلى :

نفس المرجع ، ص ١٥ ، ٣٩٣ - ٣٩٤

(١٧٢) الشاطر بصيلى : نفس المرجع ، ص ٤٠١

(١٧٣) المرجع السابق ، ص ٣٩٤ ، هامش (١) ص ٣٩٥

الاتجاهات ، ولها صلات وثيقة مع شبكة القوافل الكبرى التى تمتد عبر القارة والتى استعادت نشاطها بعد منتصف القرن السابع للميلاد ، اى بظهور الدعوة الى الاسلام وانتشار الجماعات العربية فى هذه المناطق الشاسعة (١٧٤) .

ورغم هذا النشاط التجارى الواسع الذى مارسه العرب فى هذه المنطقة التى تقع بين دارفور وساحل شرقى افريقيا ، فانه لم يصلنا عن هذا النشاط ذكر فى المصادر التاريخية القديمة ، لان القائمين بهذا النشاط لم يهتموا بتدوين اوجه نشاطهم ، كما أهمل الرحالة العرب كتابة ما تناقله الرواه ، كما ان توغل من توغل منهم فى قلب القارة الافريقية لم يتعد حوض النيل الأبيض على احسن تقدير . وقد خلق هذا الاهمال الأسباب التى دفعت بعض الأوربيين الذين اهتموا بهذه المنطقة الى القول بأنها كانت منطقة مغلقة وغير معروفة لاحد من الناس ، بسبب الأمراض المتوطنة والذباب والبعوض ومرض النوم وأمراض الجذام ، وأنها مليئة بالحيوانات المفترسة وغير ذلك من الأمور التى جعلتها شيئاً مجهولاً ويجب كشفها ، وأن الحياة فيها غير سهلة للوافدين اليها من الأقاليم القريبة والبعيدة (١٧٥) .

وللأسف فقد صدقنا هذه الأقوال التى بنيت على غير أساس من الواقع والتاريخ ، وكانت لغرض فى نفس يعقرب ، ولم تأخذ فى الاعتبار ذلك التوسع والنشاط التجارى العربى ونشأة الطرق التجارية بين دارفور وهضبة البحيرات واثيوبيا وحوض النيل الأوسط والمناطق المجاورة (١٧٦) .

ذلك النشاط الذى دلت عليه حفريات كثيرة ، منها ما قام به السير هنرى ولكم Sir Henty Wellcome فى المنطقة التى تقع جنوب

(١٧٤) المرجع السابق ، ص ٣٩٤

(١٧٥) المرجع السابق ، ص ٣٩٤ - ٣٩٥

(١٧٦) المرجع السابق ، ونفس الصفحات .

سنار ، وكشف عن قيام علاقة تجارية بين ساحل شرق افريقيا واقليم حوض النيل الأوسط . ويعتبر هذا الامر بالغ الأهمية فى الكشف عن طرق التجارة التى كانت تنقل عبرها انبضائع من الساحل الشرقى لافريقيا الى مراكز التجميع التجارية فى حوض وادى النيل الأوسط التى اشرنا اليها (١٧٧) .

وقد قامت طرق أخرى من حوض النيل الأوسط وخاصة النيل الأبيض واتجهت الى دارفور . وكان من أهم هذه الطرق ، ذلك الطريق الذى يعبر النيل الأبيض من بلدة الليس الى دارفور ، وطريق يخرج من بلدة ماجى الاثيوبية الى كيبوتا فى منقطة ، ومنها نحو الغرب والشمال الغربى الى دارفور ، وطريق ثالث يخرج ايضا من ماجى نحو الشمال عبر نهر السوبات الى فاشودة (كودوك) على النيل الأبيض شمال ملكال ، ومنها نحو الغرب الى دارفور . وبذلك أصبحت دارفور هى الاقليم الذى تنتهى اليه قوافل التجارة القادمة من الجنوب والجنوب الشرقى ، ونتج عن ذلك أنها صارت مركزا لتجميع سلع هذه التجارة ثم إعادة تصديرها مرة أخرى الى مختلف المناطق والبلدان التى تقع حوالها والى الشمال منها ، اى الى بلدان حوض بحيرة تشاد ومالى وبلاد الساحل الشمالى لافريقيا (١٧٨) .

واذا كانت هناك طرق ومراكز للتجارة امتدت من دارفور الى ساحل البحر المتوسط ، ومنها الى الغرب الى حوض بحيرة تشاد الى حوض نهر النيجر فى غرب افريقيا ، فانه يتعين علينا أن نتحدث عن هذه الطرق التى ربطت دارفور بهذه البلدان فى شىء من التفصيل لنعرف دورها فى هجرة العرب والتجار منها الى دارفور .

(١٧٧) المرجع السابق ، ص ٢٥

(١٧٨) المرجع السابق ، ص ٣٩٨ ، ٤٠١

٤ - الطرق القادمة من ليبيا الى تونس :

أما الطرق التي ربطت دارفور بالبلدان التي تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط مثل ليبيا وتونس ، فمن أشهرها ذلك الطريق الذي يبدأ من مدينة أورى Uri عاصمة التنجور في دارفور وينتهي الى طرابلس بليبيا مارا بأم بورو في دار زغاوة ، وبأم جيراس في إقليم البدايات ، وبمنطقة فدا في بوركو ، وجترون وزروق في ليبيا . ويقول أركل أن هذا الطريق لازال يستعمل الى عهد ، وأنة سبب عظمة مدينة أورى ، بالإضافة الى الطريق الآخر الذي سبقت الإشارة اليه وهو درب الأربعين (١٧٩) .

وكانت دارفور تتصل بطرابلس وتونس ومراكش بطرق أخرى غير مباشرة . فقد ذكر موني Mauni ، ولوت Lhote ان هناك طريقا يربط دارفور بالنيجر (١٨٠) ، وأن هذا الطريق الذي بين شرق القارة وغربها على هذا النحو مرورا بدارفور يتصل به أو يتقاطع معه عدة طرق ، منها الطريق الذي تحدثنا عنه وهو طريق دارفور - طرابلس ، وطريق آخر يبدأ من طرابلس وثالث يبدأ من تونس ، ويصل الطريقان الأخيران الى بلاد الكانم في حوض بحيرة تشاد ومنها الى دارفور شرقا وإلى نهر النيجر غربا (١٨١) حيث يصل الى هذا النهر طريق رابع يبدأ من مراكش ويسير جنوبا الى السنغال ثم ينعطف شرقا الى نهر النيجر (١٨٢) .

وعلى ذلك فقد كانت دارفور على صلات تجارية بالبلدان التي تصل إليها هذه الطرق ، وكانت التجارة التي تسير منها الى حوض النيجر

(179) Arkell : The history of Darfur : S. N. R. , IV, p. 250.

(١٨٠) الشاطر بصيلي : نفس المرجع ، ص ٤٠٩

(١٨١) المرجع السابق ، ص ٣٩٦ - ٣٩٧ ، ٤٠٩ ،

Arkell : S. N. R. IV, p. 250.

(١٨٢) الشاطر بصيلي : نفس المرجع ، ص ٣٩٦ ، ٤٠٩ - انظر

الخريطة رقم ٥

من جهة وحوض البحر المتوسط من جهة أخرى فى يد الجماعات التى عرفت فيما بعد باسم النومادى (النوبة) والقرماطة ، وكانت العربيات تسير على هذه الطرق منذ زمن يرجع الى الألف الأولى قبل الميلاد ، واشتد النقل بالقوافل بعد استخدام الجمل قرب نهاية عصر ما قبل الميلاد (١٨٣) .

وكانت هناك طرق فرعية كثيرة فى منطقة الصحراء الكبرى ، واستخدمت هذه الطرق منذ أوائل القرن الحادى عشر للميلاد ، وبلغت ذروتها عند نهاية القرن الخامس عشر ، واستمرت كذلك حتى نهاية القرن السادس عشر ، وازداد حجم التجارة التى تمر عبر هذه الطرق الى دارفور والسودان منذ القرن الحادى عشر للميلاد . وسبب ذلك فيما يبدو يعود الى تعطيل التجارة التى كانت تمر عبر شرق البحر المتوسط بسبب الحروب الصليبية التى هددت هذه المنطقة من العالم الاسلامى بدءا من ذلك القرن (١٨٤) .

ويشير الحسن الوزان الى ان اعراب ليبيا وكذلك النوميديين البربر الذين كانوا يسكنون الصحراء الليبية والقفار المجاورة لأرض السودان ، كانوا يتاجرون بالجمال فى هذه الأرض ، وذلك عند نهاية القرن الخامس عشر وأوائل السادس عشر للميلاد (١٨٥) ، كما يشير محمد بن عمر التونسى الى ان تجار فزان فى عصره ، أى فى بداية القرن التاسع عشر كانوا يأتون الى وادى المجاورة لدارفور لشراء ريش التعام وكان يقوم بجلبه لهم اعراب المحاميد فى دارفور (١٨٦) . كما يشير الى حاجة

(١٨٣) المرجع السابق ، ص ٣٩٧ ، ٤٠٩ ، انظر الخريطة

رقم ٤ ، ٥

(١٨٤) المرجع السابق ، ص ٣٩٧

(١٨٥) وصف افريقيا ، ج١ ص ٦١ ، ٦٢

(١٨٦) تشحيد الأذهان ، ص ٢٩٣ ، ٢٩٤

اهل دارفور لاستيراد بعض السلع والاشياء التى يحتاجون اليها والتي كانت تاتيهم عبر الطرق التجارية التى تمر ببلادهم(١٨٧) .

ومع هذه التجارة الزاهرة وعبر هذه الطرق العديدة هاجرت قبائل عربية الى دارفور ، فمن تونس هاجر اليها عرب التنجور فى القرن الرابع عشر للميلاد كما يقول السير توماس أرنولد(١٨٨) ، وكان على رأس هذه الهجرة أحمد المعقور الذى تمكن من اقامة سلطنة عربية فى النصف الأول من القرن الخامس عشر ، مما سنتحدث عنه بتفصيل فى مكانه من هذا الكتاب .

وكذلك وفد على دارفور من بلاد الحجاز بنو عطية او العطوية . وقد اعتبر بنو عطية هؤلاء فى عصر الغزوة الهلالية كجزء من الأتبع الذين كانوا يكونون أكبر فرع فى بنى هلال ، واستقر بنو عطية هؤلاء فى قسطنطينة بالجزائر ، ويقول ابن خلدون أنهم ضعفوا واختفوا ، وهاجر عدد كبير منهم بعد أن انفصلوا عن بنى هلال الى السودان ، واستقروا فى كردفان وأصبحوا ضمن الكبابيش الذين يعيشون فى هذا الاقليم ، كما ذهب بعضهم من اصحاب الجمال الى مناطق أبعد جنوبا وعاشوا بين الرزيقات البقارة(١٨٩) ، اى فى دارفور ، حيث أن الرزيقات من القبائل العربية التى هاجرت الى دارفور ولا زالت تعيش فيها حتى اليوم مما سنتحدث عنه فى حينه من هذا الكتاب .

(١٨٧) المصدر السابق ، ص ٢٩٣ ، ٣٩١

(١٨٨) توماس أرنولد : الدعوة الى الاسلام ، ترجمة د . حسن ابراهيم وآخرين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٧٠ ، ص ٣٥٩

(189) Mac Michael : A history of the Arabs in the Sudan

pp. 310 - 311.

وهكذا نجد أن الطرق التجارية التي ربطت بين دارفور وبين كل من بلاد مصر وبلاد النوبة والمناطق البعيدة التي تقع في الجنوب الشرقي للقارة مثل بلاد الزنج والصومال ، وكذلك البلدان البعيدة التي تقع في شمالها مثل ليبيا وتونس ، قد حملت هجرات عربية عديدة من هذه البلدان إلى دارفور عبر القرون الثلاثة الأخيرة من العصور الوسطى على الأقل . ولذلك وعندما بدأ التونسي وغيره من الرحالة والكتاب يتحدثون عن القبائل العربية في دارفور ، ذكروا عددا كبيرا منها انتشر في معظم أنحاء وفي جميع جهاتها حتى أصبح هذا الاقليم عربى اللسان والثقافة قبل أن تقوم فيه السلطنة الاسلامية قبيل منتصف القرن الخامس عشر للميلاد بقرنين على الأقل .

ولما كانت هذه النتيجة في غاية الأهمية بالنسبة للتاريخ لعروبة هذا الاقليم السودانى ، فقد أصبح لزاما علينا أن نتحدث عن هذه القبائل التي وفدت على هذا الاقليم وسكنته واتخذته وطنا وصارت من اهله وسكانه ، بعد أن عرفنا الأسباب والعوامل التي دفعتها للهجرة اليه ، وبعد أن وضعنا يدينا على المسالك والطرق والبلدان التي جاءت منها إلى هذا الاقليم ، حيث تزاوجت مع سكانه المحليين وصاهرتهم وصاروا جميعا يشكلون سكان دارفور وشعبها حتى اليوم .



الفصل الثالث

القبائل العربية المهاجرة الى دارفور

ينقسم السكان فى اقليم دارفور الى عرب وفور وغيرهم من قبائل السود الأخرى(١) . وقد سبق أن تحدثنا عن الفور وغيرهم من قبائل السود وشبه السود التى سكنت الاقليم قبل قدوم العرب اليه(٢) .

أما العرب وهم محل دراستنا الآن ، فان معظم هجراتهم الى دارفور تمت فى زمن الأحلاف التى أشرنا اليها عند حديثنا عن الصراع الذى قام بين العرب وسلاطين المماليك فى مصر(٣) ، والأحلاف ما هى الا مجموعات قبلية ضخمة اشتملت على عدد من القبائل ذال الاصول المختلفة من عدنانية وقحطانية . وقد انعكس هذا الأمر على العرب المهاجرين الى دارفور ، رغم ما قام به الباحثون فى تاريخ السودان من تقسيم عربيه بصفة عامة الى مجموعتين كبيرتين هما المجموعة الجهنية ، التى تقابل المجموعة القحطانية أى عرب الجنوب ، والمجموعة الجعلية التى تقابل المجموعة العدنانية أى عرب الشمال ، جريا وراء التقسيم التقليدى الذى اتبعه المؤرخون حين قسموا العرب الأقدمين الى عدنانيين وقحطانيين(٤) .

(١) عبد الله حسين : السودان من التاريخ القديم الى رحلة البعثة

المصرية ، ج ٢ ص ٨٦٣

(٢) انظر ، ص ٢٤ - ٣٣

(٣) انظر ، ص ٥٩ - ٦٠

(٤) عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية فى السودان منذ

نشأتها الى العصر الحديث ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، الطبعة الأولى ،

سنة ١٩٦١ ، ص ٣٠ ، مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ، ص ١٩٥ - ٢٠١

وقد جعل هؤلاء الباحثون العرب الذين هاجروا الى دارفور الى المجموعة الجهنية . والحقيقة أن هذا التقسيم الذى اتبعه الباحثون بالنسبة لعرب السودان عامة لن يفيدنا كثيرا فى دراسة هجرات العرب الى دارفور من مواطنها الأولى . أولا : لأن ذلك يوحى بوجود عصبية قبلية بين العدنانية التى تمثلها المجموعة الجعلية ، والقحطانية التى تمثلها المجموعة الجهنية ، وهو أمر لم يكن موجودا فى زمن هجرة هذه القبائل الى دارفور والسودان فى مرحلة الأحلاف بالذات (٥) ، لأن الأحلاف كما قلنا كانت تتكون من قبائل ذات أصول مختلفة ومختلطة .

وثانيا : لأن الروايات التى توارثها السودانيون عن نسب المجموعة الجهنية التى ينتسب اليها عرب دارفور لا تؤكد دائما أنها جميعا من قحطان (٦) ، فقد ضمت هذه المجموعة وكما سئرى قبائل ذات أصول مختلفة من عدنان وقحطان ، من جهينة وغير جهينة (٧) .

وثالثا : لأن العرب الذين هاجروا الى دارفور وكان معظمهم من مصر هاجروا اليها وكما أشرنا فى مرحلة ظهور الأحلاف فى مصر ، وهى مرحلة كانت ذات أثر كبير فى التركيب القبلى لهؤلاء العرب . ذلك أن كثيرا من القبائل كانت تنضم الى غيرها من القبائل القوية تفاديا لخطر الفناء والهزيمة على يد غيرها من القبائل أو على يد السلطات الحاكمة التركية الأصل ، كما أن كثيرا من القبائل كانت تتحالف مع غيرها لمقاومة هذه السلطات التى كانت تأخذ فى اضطهاد العرب والقضاء عليهم ، وباستمرار الأيام كانت تضع الأصول ويتم الاندماج ويحمل الجميع اسم

(٥) عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى

النيل ، ص ١٤١

(٦) المرجع السابق ، ص ١٤١

(٧) مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، ٢١٨

القبيلة الأقوى أو اسما جديدا تختاره لهم الظروف السياسية والاجتماعية الموجودة وقتذاك (٨) .

ولذلك نلاحظ ظهور نغمة جديدة فى كتابات المؤرخين الذين أرحوا نصر فى هذه الفترة . وفى كثير من الأحيان كانوا لا يذكرون العرب باسماء قبائلهم أو بطونهم ، وإنما يفتصرون على اطلاق كلمة (عرب) أو (عريان) كما فعل ابن تغرى بردى المتوفى عام ٧٨٤ ق / ١٤٦٩ م على سبيل المثال والذى نادرا ما كان يذكر القبائل العربية بأسمائها (٩) وإنما كان هو وغيره ينسبونهم الى المكان الذى استوطنوه ، فيقولون مثلا : عرب منفلوط ، وعرب المراغة ، وعرب الشرقية ، وعرب البحيرة . وهذا يحمل الدليل على أن هذه القبائل ، ومنها بقايا الأحلاف قد تداخلت جماعاتها وأندمجت عناصرها ، وامتزج بعضها بالسكان السابقين ، ومن ثم صارت نسبتهم الى العروبة عامة ايسر لدى المؤرخين من نسبة كل جماعة أو أسرة منهم الى أصل قيسى أو قحطانى معين (١٠) .

وطبيعى أن هذا التحول فى التكوين القبلى للقبائل العربية فى مصر لم يبدأ فى نهاية مرحلة الأحلاف ، أى عند نهاية عصر سلاطين المماليك فى عام ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م ، وإنما كانت هذه الظاهرة موجودة قبل ذلك بزمان طويل ، وذلك على امتداد القرون التى ظهرت فيها الأحلاف التى قامت بين القبائل العربية بعضها البعض . ولذلك فانه من المرجح

(٨) عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى

النيل ، ص ١٣٩ ، ١٤٠

(٩) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، تحقيق د. جمال الدين

الشيال والأستاذ فهم شلتوت ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة

سنة ١٩٧٢ ، ج ١٦ ، ص ٢١ ، ١٩٧ ، ٦٧ ، ٣١٧

(١٠) عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى

وادى النيل ، ص ١٣٨

ان القبائل العربية التي هاجرت الى دارفور قد حملت معها هذه الظاهرة - اى ظاهرة الاندماج أو الانتساب الى مجموعة كبيرة (١١) ، بحرف النظر عن التقسيم التقليدى الذى قسم اليه الباحثون عرب السودان والذى اشرنا اليه .

وهذه المجموعة الكبيرة التى ضمت عرب دارفور عرفت وكما اشرنا باسم المجموعة الجهنية نسبة الى جهينة . والواقع ان امر هذه النسبة لم يأت من فراغ ، وانما نبع من ظروف هذه القبيلة ولدورها فى نشر العروبة والاسلام فى دارفور وفى السودان بشكل عام .

وجهينة على ما هو معروف عند علماء الأنساب احدى قبائل اليمن ، ومنتسب الى جهينة بن زيد بن ليث بن أسود بن أسلم بن الحافى بن قضاة (١٢) ، وهى قبيلة عظيمة وفيها بطون كثيرة ، وكانت منازلهم بأطراف الحجاز من جهة الشمال (١٣) حول ينبع وما يقع شمالها (١٤) .

وكانت جهينة من القبائل التى شاركت فى فتح مصر مع عمرو بن العاص واختطت مع قبائل اخرى حول المسجد الذى بناه عمرو فى مدينة الفسطاط (١٥) ، واحتلت أرضاً يقال لها جرف تنه (١٦) كما كانت

(١١) المرجع السابق ، ص ١٤١

(١٢) ابن حزم : جهرة أنساب العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة ١٩٨٣ ، ص ٤٤٤ - ٤٨٦ ، القلقشندى : قلائد الجمان فى التعريف بعرب الزمان ، تحقيق ابراهيم الأبيارى ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٨٢ ، ص ٤٣

(١٣) القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ٤٤

(١٤) المصدر السابق ، ص ٤٤ ، مصطفى مسعد : الاسلام

والنوبة ، ص ٢٠٠

(١٥) ابن عبد الحكم : نفس المصدر ، ص ٩٨

(١٦) المصدر السابق : ص ١٢٦ ١٢٧

لصحابى منهم وهو عقبة بن عامر الجهنى رضى الله عنه خطة بجوار خطة مسلمة بن مخلد الأنصارى وأبى رافع مولى رسول الله ﷺ فى مكان بالفسطاط. يسمى دار الرمل (١٧) .

والجهنيون الموجودون فى السودان الآن يقولون بانتسابهم الى هذا الصحابى الجليل (١٨) . ومهما كان القول فى صحة هذه النسبة ، فان جميع الشواهد تدل على نسبتهم الى قبيلة جهينة التى عاشت كما اشرنا فى شمال بلاد الحجاز حول ينبع ، واشتركت فى فتح مصر وتوالت هجراتها اليها ، وتكاثر الجهنيون وخاصة فى صعيد مصر حتى صار اكثر عرب الصعيد منهم ، وصارت لهم بلاد منفلوط وأسيوط . وكانت مساكنهم اولاً فى الأشمونين مع قريش ، فنقلهم الخلفاء الفاطميون منها الى بلاد اخميم انتصاراً لقريش حينما وقع النزاع بينهم وبين جهينة ، وكانت اخميم لبلبى ، فوقع النزاع مرة ثانية بين جهينة وبلبى ، وتصالح الفريقان على أن يكون لجهينة من المشرق من عقبة قاو الخراب التى اندرست الآن وكان موقعها فى نواحي مركز البدارى بأسيوط ، الى ميناء عيذاب الذى يقع على البحر الأحمر ، ولبلى من جسر سوهاج الى غرب قمولة (١٩) .

(١٧) المصدر السابق ، ص ١٠٠

ودار الرمل نسبة الى رملة ابنة معاوية بن أبى سفيان ، وقد حرفت العامة ذلك وقالوا دار الرمل . ويقال انها سميت دار الرمل لما كان ينقر اليها من الرمل لدار الخرب .

انظر ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٠١

(١٨) مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ، ص ٢٠٠

(١٩) القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ٤٤ - ٤٥ المقرئى : البيان

والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، تحقيق عبد المجيد عابدين ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٦١ ، ص ٢٧ ،

٣٢ - ٣٢ ، ١٢٨

والجدير بالذكر أنه مازال بالصعيد حتى الآن أماكن تسمى بجهينة ،

وهكذا توزعت جهينة فى بلاد الصعيد الأقصى حتى اذا كان عصر
الماليك اشتدت مقاومة العربان ضدهم ، وتكونت أحلاف عديدة لهذا
الغرض من البدو العرب سبقت الاشارة الى بعضها . وقد ساهمت
جهينة بنصيب كبير فى مقاومة المالك منذ نهاية القرن السابع للهجرة .
فقد قامت فى عام ٦٩٨ هـ / ١٢٩٨ م أحلاف من البدو لم تذكر المصادر
اسماء قبائلهم ، ولكن كان مسرحها منفلوط واسيوط ، وهى بلاد داخلة
فى نطاق نفوذ جهينة ، مما يرجح أن جهينة كان لها نصيب فى هذه
الحركة ان لم تكن قد حملت لواءها تحت قيادة ما عرف باسم الحلف
العركى الذى تصدى للماليك بزعامه محمد بن واصل العركى الجهنى
والذى كان يلقب بالأحدب نظراً لطوله وانحناء قامته ، وذلك فى الفترة من
عام ٧٤٩ هـ الى ٧٥٤ هـ (١٣٤٨ - ١٣٥٣ م) (٢٠) .

ومعنى ذلك أن جهينة فى الفترة التى تقح بين عامى ٦٩٨ هـ
و ٧٥٤ هـ كان لها نصيب وافر فى المقاومة التى جرت عليها غضب
الماليك واضطهادهم لها ، هذا الاضطهاد الذى انتهى بهجرة كثير من
بطونها ورجالها الى بلاد السودان ، وانتشروا على حد قول ابن خلدون

ومازال فيه رجال من قبيلة جهينة يعيشون على الساحل الصحراوى لدشنا .
وهناك قبائل من جهينة سكنت الشرقية والقلوبية وقينا . وفى مركز فاقوس
بالشرقية قرية قديمة تسمى دوار جهينة ، وفى محافظة القليوبية فى مركز
شبين القناطر بلدة تسمى نزلة عرب جهينة .

انظر ، عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى
النيل هامش ٦٨ ص ٣٢ ، ٣٣ ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب ،
مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٨٢ ، ج ١ ص ٢١٦
(٢٠) عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى

ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة ، وهى البلاد التى كان المؤرخون يعنون بها بلاد السودان بوجه عام ، « وكاثروا هناك سائر الأمم وغلبوا على بلاد النوبة وفرقوا كلمتهم وأزالوا ملكهم ، وحاربوا الحبشة فارهقوهم الى هذا العهد » (٢١) .

وقد سبق الحديث عن تدفق جبهة على بلاد النوبة وعلى دورها فى زوال مملكتى مقرة وعلوة المسيحيتين ، وعلى احاطتها لدارفور من ناحية الشرق (٢٢) ، ولم تلبث جبهة بعد ان تكاثرت أعدادها فى السودان النبلى على هذا النحو أن اتجهت الى الغرب ، فرحل كثير منها الى دارفور وكونت ما أشرنا اليه باسم المجموعة الجهنية ، وخاصة بعد أن لحقت بها قبائل جهنية أخرى لم تكن قد استقرت على ضفاف النيل وفى سهوله الفسيحة كما فعل اخوانهم من الجعليين والكواهلة وغيرهم من مجموعات العرب الآخرين (٢٣) ، وأنها فضل معظم هؤلاء القادمين الذين كانوا من البدو ويشغلون برعى الابل (٢٤) الانتقال الى دارفور أو الهجرة اليها مباشرة من محالهم أو بلادهم الأولى التى هاجروا منها ، لأنها تماثل بيئتهم الأولى فى الجزيرة العربية التى كانوا ينعمون فيها بالحرية والاستقلال .

ولما كان هؤلاء العرب الذين هاجروا الى دارفور على هذا النحو يشغلون برعى الابل فقد عرفوا باسم الأباله ، ومن أشهر قبائلهم الزنادية والماهرية والعطيفات والعالية والعريقات (٢٤) . وبعد أن انتقلت جماعات عربية أخرى الى جنوب دارفور لم تلبث أن استبدلت

(٢١) تاريخ ابن خلدون ، ج ٢ ص ٢٤٧

(٢٢) عبد المجيد غابدين : نفس المرجع ، ص ١٥٧ ، مصطفى

مسعد : الاسلام والنوبة ، ص ١٩٨

(٢٣) مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، ص ٣١٧

(٢٤) عبد الله حسين : السودان من التاريخ القديم ، ج ١ ص ٣١ ،

السودان القديم والجديد ، القاهرة ، سنة ١٩٤٥ ، ص ٤٢

البقر بالابل ، نظرا لغزارة الأمطار ووفرة المراعى ، ولذلك عرفوا باسم البقارة ، فى حين ظل أبناء عمومتهم واخوانهم فى الشمال يرعون الابل على النحو الذى أشرنا اليه(٢٥) . وتضم قبائل البقارة فى دارفور عددا من القبائل ، من أشهرها الرزيقات والهباينة والمسيرية والتعايشية وبنو هلبة وعرب البشير وبنو فضل وبنو حسين والكرويات والحوتية والخوابير والبرياب(٢٦) .

ومعروف ان هذه القبائل العربية وغيرها من القبائل التى سنتحدث عنها فى شىء من التفصيل والتى ينتسب معظمها الى جهة ، أو بالأحرى التى كونت المجموعة الجهنية ، سكنت أقاليم ومناطق فى دارفور لم تكن بطبيعة الحال خالية من السكان ، بل أنها اشتملت وكما أشرنا من قبل على عناصر حامية فى الشمال وعناصر زنجية أو شبه زنجية فى الجنوب(٢٧) .

وتنتج عن ذلك اختلاط بين العرب وبين هؤلاء السكان المحليين ، ولم يؤد اختلاط القبائل العربية من الأباله بالعناصر الحامية فى الشمال الى تأثير كبير فى صفاتها الجسدية ، فى حين ان القبائل العربية التى انتقلت جنوبا وهى البقارة اكتسب أفرادها بعض الصفات الزنجية لاتخاذهم زوجات واماء من الزنجيات . ومع ان البقارة لم يكونوا اقوى عنصر فى

(٢٥) مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، ص ٢١٧ - ٢١٧ ، الشاطر بصيلى : تاريخ وحصارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ٤٣٣ ويلاحظ ان التمييز بين الأباله والبقارة لا يعتبر تمييزا مطلقا لأن بعض البقارة يرعون الابل أيضا ، ولكن من قبائل البقارة كالرزيقات أقارب فى الشمال يرعون الابل ويعرفون أيضا بالبقارة .

انظر ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٧ ، ص ٢٥٥ مادة (البقارة) .

(٢٦) عبد الله حسين : السودان من التاريخ القديم ، ج ١ ص ٢١ ،

٢٢ ، السودان القديم والجديد ، ص ٤٢

(٢٧) انظر ، ص ٢٤

دارفور ، الا أنهم استطاعوا ان يشطروا هذا الاقليم شطرين ، فاحتلوا السهول الواقعة جنوبى جبال مرة وحصروا الفور شمالا فى منطقة الجبال ، حيث بقوا هناك اجيالا بعد اجيال ، على حين دفعوا قبائل الشط والبنجا والبندا والفروجيه جنوبا الى اقليم المستنقعات شمالي الغزال حيث عرفوا هناك باسم الفريتيت (٢٨) .

ويبدو ان هجرات هذه القبائل العربية من الأباله والبقارة قد جاءت الى دارفور فى عصور متباينة وفى شكل مجموعات كبيرة ، وعلى دفعات وفى موجة اثر مرجة ، وعبر قرون عديدة (٢٩) ، وفى شكل تسرب سلمى هادىء ، فلم نسمع انهم ووجهوا بمقاومة من ملوك دارفور او من سكانها ، فقد اتصل البقارة بهؤلاء الملوك ودخلوا فى طاعتهم ودفعوا لهم الجزية ، وخرجوا عليهم احيانا وفروا بانفسهم ليعاودوا الكرة من جديد (٣٠)

وعلى اية حال فقد عاش الأباله والبقارة فى انحاء اقليم دارفور المختلفة سواء فى شماليه مثل الزيادة وبنى حراز والعطيفات والعريفات والمحاميد والكرويات ، او فى جنوبيه جنوبه الشرقى مثل الهبانية والرزيقات والمسيرية والتعايشة وبنى هلبة والمعالية وبنى عمران ، او فى غربيه مثل الماهرية وبنى حسين وبنى خزام ، والسلامات ، او فى وسطه مثل عرب البشير والكرويات والخوابير وبنى فضل وهوارة (٣١) .

(٢٨) مصطفى : سعد : سلطنة دارفور ص ٢١٨

(٢٩) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى

والأوسط ، ص ٣٧٤

(٣٠) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣٠٨ ، دائرة المعارف

الاسلامية ، ج ٧ ص ٤٥٧ ، مادة البقارة .

(٣١) التونسى : نفس المصدر ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، مصطفى مسعد :

سلطنة دارفور ، ص ٢١٩

وقبل أن نسوق الحديث مفصلا عن هذه القبائل وغيرها من التي هاجرت الى دارفور وأقامت فيها واتخذتها وطنا ومسكنا ، نشير الى أن بعض الأشراف من العرب انتقلوا أيضا الى هذا الاقليم . وفى ذلك يذكر التونسى الذى مكث فى دارفور سبع سنوات فى بداية القرن الماضى انه عثر على قصيدة لبعض البكرين فى حل شرب الدخان ، ويقول انه يظن أن تاريخ كتابتها يعود الى منتصف القرن التاسع للهجرة (٣٢) . وهذا القول أن دل على شيء فانما يدل على قدم وجود هؤلاء البكرين فى دارفور ، وأيضا على أن انتشارهم فيها كان بطبيعة الحال قبل ذلك بوقت ليس بالقليل ، تمكنا فيه من العيش والاستقرار وقول الشعر .

كما يشير ماكمايكل أيضا الى وجود بعض الأشراف من الحسينيين فى دارفور ، فيتحدث عن أولاد حمد بن على الذين كانوا يقيمون فى مرتفعات الزغاوة فى كردفان ، ويقول أنهم حسنية ، وأنهم هاجروا الى جبل أبو سبون وتقلّى ودارفير ، وبعضهم موجودون أيضا غرب ارقد . والى أولاد الشريف هاشم أبو نمشة من الحسينية فى داربرقو فى شرقى دارفور ، والى بنى حسين الحسينيين فى دارسلا فى الجنوب الغربى لدارفور (٣٣) .

وعلى أية حال فإن هؤلاء الأشراف كانوا قليلى العدد فى دارفور ، وكانت غالبية القبائل التي هاجرت اليها كما قلنا تنسب الى جهة أو الى المجموعة الجهنية بمعنى أصح . وسوف نأخذ فى الحديث عن هذه القبائل حسب المناطق الجغرافية ، فنبدا أولا بالقبائل التي هاجرت وسكنت الجزء الشمالى من دارفور ، ثم بتلك التي سكنت الجزء الجنوبى ، بعد ذلك نتحدث عن القبائل التي سكنت الجزء الشرقى ، والقبائل التي

(٣٢) تسميد الأذهان ، ص ٣٠ .

(33) Mac Michael : A history of the Arabs in the Sudan , Vol 2, p. 198.

سكنت الجزء الغربى ، وأخيرا القبائل التى سكنت المنطقة الوسطى من الاقليم .

(١) القبائل العربية المهاجرة الى شمالى دارفور :

هاجر الى هذا الجزء من دارفور قبائل عربية عديدة ، منها بنو جرار والزيادية والعطيفات والعريقات والمحاميد والكرويات . أما بنو جرار فهم من القبائل التى كانت تعيش فى صعيد مصر فى القرن الخامس عشر للميلاد (٣٤) ، ثم رحلوا الى السودان وسكنوا فى الجزء الشمالى من دارفور وكردفان ، وكانوا من اقوى القبائل التى سكنت هذا الجزء من هذين الاقليمين ، وكانوا هم والحمر Hamar من اعظم القبائل التى نافست الكبابيش فى النصف الشمالى من كردفان الى حدود بلاد النوبة ، حيث كانوا يغيرون عليهم وعلى طرق القوافل السابرة من دبة الى الحرازة الى صحراء بيوضة ، وجنوبا الى ضفاف النيل الابيض واكثرتهم فى ذلك الوقت كان اسم فزارة الصق بهم منه باى قبيلة اخرى وان كانوا من قبائل جهينة (٣٥) . ولا تناقض فى ذلك حيث ان فزارة واقسامها كانت تعتبر قسما من اقسام جهينة (٣٦) .

وقد ذكر الدكتور بيرون Perron ان بعض بنى جرار كانوا يعيشون فى السهول التى تقع قرب بلدة الطويشة (٣٧) ، وهى بلدة تقع فى شرقى دارفور (٣٨) . وكان الأمير ابو مدين واخوه قد هربا من دارفور تجاه كردفان ومنها الى مصر ، حيث قابله بيرون ودون عنه

(34) Ibid : Vol , I, p. 264.

(٣٥) محمد عوض محمد : السودان الشمالى ، ص ٢٢١ ، ٢٢٢ ، Mac Michael : op. cit. Vol , I, pp. 264 , 315.

(٣٦) مصطفى مسعد : امتداد الاسلام ، ص ٨٧

(٣٧) التونسى : تشخيص الأذهان ، ملحق رقم ١ ، ص ٣٤٦

(٣٨) انظر الخريطة رقم ١ ، ٢

هذه المعلومات ، وذكر أن بنى جرار عرضوا عليه المساعدة ضد سلطان دارفور (٣٩) ، مما يدل دلالة مؤكدة على قوة هذه القبيلة .
ولما رفض أبو مدين هذه المساعدة لشككه فى سلوك بنى جرار نحوه ، أمدوه بمائة فارس حماية له حتى يصل الى مأمنه ، فظل سائراً مدة يومين ، وفى اليوم الثالث تعرف عليه أحد الأهالى عند عبوره بعض الربى عند اطراف دارفور (٤٠) ، مما يدل على أن بنى جرار كانوا يقيمون فى مساحات واسعة تمتد مسافة بعيدة تصل الى حدود دارفور الشرقية . كما أنهم كانوا من القبائل التى ظلت موجودة فى عصر السلطان تيراب (١١٨١ - ١٢٠١ هـ / ١٧٦٨ د ١٧٨٧ م) وكانت تدفع له ضريبة معينة (٤١) .

والى شمالى دارفور هاجر ايضا العطيفات ، وهم ابالة من أصحاب الجمال ، ويقولون بأنهم من المهرية ، وإن كان هذا القول صحيحاً فان تفسير ماكميكل على أن اسمهم مشتق من كلمة عطفة وانهم كانوا مثل عنزة يعيشون فى شمال شبه الجزيرة العربية (٤٢) غير صحيح ، لأن المهرية أو الماهرية كما تسمى أحياناً تنسب الى قبيلة مهرة التى كانت ولا زالت تعيش فى جنوب الجزيرة العربية (٤٣) .

وعلى أية حال فان العطيفات سكنوا شمالى دارفور وعاشوا حول ميليت وفى منطقة عنكة (٤٤) والى الشمال منها ، ويقولون انهم ينقسمون

(٣٩) التونسى : نفس المصدر ، ص ٣٤٧

(٤٠) المصدر السابق ، ص ٣٤٧

(٤١) المصدر السابق ، ص ١٤٠

(42) Mac Michael : A history of the Arabs in the Sudan, Vol 1,

p. 300 & Footnote (1) p. 300.

(٤٣) القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ١٨ ، نعوم شقير : تاريخ

السودان ، ج ١ ص ٦٢

(٤٤) انظر خريطة رقم ٣

الى اولاد عجيل واولاد جونه ، كما يذكرون ان لهم قسمين آخرين هما
الحجاية Hagaja واولاد نصر ، ويعيشان فى وادى ، وقسم ثالث
يسمى الأكاكيز أو العكاكيز يعيش فى جنوبى دارفور مع الرزيقات (٤٥) .
أما العريقات ، فانهم ايضا من الأباله وعاشوا بصفة رئيسية فى
شمال غربى دارفور حتى عصر السلطان محمد فضل (١٢١٥ - ١٢٥٤ هـ /
١٧٨٧ - ١٨٣٩ م) حيث هاجمهم وهزمهم ، فتبعثرت اعدادهم وخاصة
الى الجهات الشمالية . وفى الوقت الذى كتب فيه ماكمايكل كانوا يعيشون
حول الفاشر فى الشمال الغربى ، واستقر بعضهم غربا فى منطقة اتبدي
Ennedi مع البدايات ودار تامه (٤٦) .

وقد ذكرهم التونسى كبقارة اغنياء وكفرسان يصطادون الزراف
والنعام فى جنوب غربى وادى وفى دارفور (٤٧) ، ولم يقل أن اسمهم
مشتق من (العراق) كما فعل ماكمايكل ، ثم نفى هذا القول (٤٨)
لأنه غير صحيح . والظاهر أن هذا الاسم تصحيف من اسم العليقات ،
والاسم الأخير نسبة الى وادى العلاقى حيث كانت تعيش هذه الجماعات
هناك فى أرض المعدن فى جنوب مصر ، وبعد أن أصاب الخراب هذا الوادى
نزحوا شمالا الى بلاد الصعيد والى سيناء ، ومنهم فروع سكنت بين
المضيق وكورسكو ويقولون انهم ينتمون الى عقيل بن أبى طالب رضى
الله عنه (٤٩) .

ويبدو ان هذه النسبة أيضا غير صحيحة ، لأن معظم سكان أرض

(45) Mac Michael : op. cit, Vol, I, p. 30

(46) Ibid : Vol I, p. 300.

(٤٧) التونسى : نفس المصدر ، ص ٢٩٢ ، ٣٨٧

(48) Mac Michael : op. cit, Vol I, p. 300.

(٤٩) عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى

المعدن فى وادى العلاقى كانوا من ربيعة (٥٠) ، وعقيل بن أبى طالب من قریش من مضر . وعلى ذلك فان العليقات الذين يرجح أن العريقات منهم هم من ربيعة . وقد عاشوا كما قلنا فى شمال غربى دارفور ، وكان مركزهم فى مكان يسمى كنم (بضم الكاف والتاء) ، وانقسموا فى دارفور الى زيلات zebelat من ناحية ، والى مجموعة تتكون من الديسات Dimaysat ونصرية واولاد كرو Kerru والمناوية Minawia من ناحية اخرى (٥١) .

وقد هاجر الى شمال دارفور ايضا قبيلة الزيدانية ، وينتسبون الى أبى زيد الهلالى من عرب نجد (٥٢) . وربما كان اسمهم مشتقا من اسم أبى زيد . ويقول ماكمايكل أن قوائم النسبة تظهر أنهم ينتمون الى مجموعة فزارمة (٥٣) .

وكان معظمهم يعيش فى شمالى دارفور فى المناطق التى تقع شمال الفاشر ، وقليل منهم كانوا يرعون مع دار حامد فى كردفان (٥٤) ، وكانوا يشتغلون بصيد الزراف والانتعام وهم ركوب على الخيل (٥٥) ، وكانوا من أشهر قبائل الأباله العرب فى دارفور (٥٦) ، ولذلك تكثر عندهم الابل وهى مصدر رزقهم الرئيسى ، وكانوا يستخدمونها فى النقل محليا ما بين الأبيض فى كردفان والفاشر ووادى ، وذلك قبل ظهور السيارات ، كما كانوا يصدرونها لمصر (٥٧) . وكانوا ايضا يتجرون فى

(٥٠) مصطفى سعد ، الاسلام والنوبة ، ص ١٢٧ ، ١٢٨

(51) Mac Michael : op. cit, Vol , 1, p. 300.

(٥٢) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٩٢

(53) Mac Michael : op. cit , Vol 1, p. 262.

(54) Ibid : Vol 1, pp. 262 , 315.

(٥٥) التونسى : نفس المصدر ، ص ٢٩٢

(٥٦) عبد الله حسين : السودان من التاريخ القديم ، ج ١ ص ٢٠

(٥٧) المرجع السابق ، ج ٢ ص ٤٦٧

النطرون والملح (٥٨) لوقوع مناجم هاتين السلعتين فى الاراضى التى تقع شمال بلادهم .

ويبدو أن اعتمادهم على الابل كمصدر رئيسى لرزقهم جعلهم يفتون فى تنافس مرير على مناطق المراعى والكلا مع الكبابيش وبنى جزار والحمر ، فكانوا كثيرا ما يحاربونهم ويطاردونهم بعيدا فى الشرق فى وادى الملك حتى طريق دبا الحرازة ، وكان بعضهم يقضى الخريف فى شمال غرب كردفان مع البناء عمومتهم البدو من دار حامد والشنابلة (٥٩) . وكانوا أيضا فى نزاع مع جيرانهم من البرى بسبب ثارات ودماء اشار ايها التونسى (٦٠) ولم يبين أسبابها .

ومن القبائل ذات الشأن فى شمالى دارفور المحاميد . وانقسم المحاميد فريقين ، فريق يعيش فى شمالى دارفور وكانوا من الأباله ، والفريق الآخر يعيش فى جنوبى دارفور وكانوا من البقارة (٦١) . ويعتبر المحاميد من القبائل الخمس المالكة للجنال فى شمال دارفور ووادى ، وهى قبائل النوايبه والمهرية والمحاميد والعريقات والعطيفات . ويسمى ناختيجال هذه القبائل بمجموعة المحاميد ، وهى مجموعة ضخمة نقول أنهم من جهينة وأنهم دخلوا دارفور ووادى فى القرن الرابع عشر . او بعد ذلك بقليل (٦٢) .

غير ان التونسى اشار اليهم على أنهم من فزارة (٦٣) ، وأشار الى

(٥٨) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٦٢

(59) Mac Michael : op. cit, 1, pp. 262 - 263.

(٦٠) تشحيد الأذهان ، ص ٢٨٢ ، ٢٨٣

(٦١) التونسى : نفس المصدر ، هامش (٥) ص ٨٥ ، ١٣٩

Mac Michael op. cit , Vol 1, p. 298.

(62) Ibid : Vol , p. 298.

(٦٣) تشحيد الأذهان ، ص ١٣٩

انهم كثيرون فى وادى ، وان لهم هناك شيخ يقوم بأمرهم(٦٤) .
وقد امتدت بلادهم بعيدا فى الشمال ، والدليل على ذلك ما أشار اليه
ماكماكل بن أن القرعان يعيشون بينهم(٦٥) ، ومعروف أن القرعان
كانوا يعيشون فى الصحراء الليبية شمالى بلاد الكانم والبرنو(٦٦) .
وربما توحي الينا هذه الاشارة بالمصدر الذى جاء منه المحاميد ،
فكونهم يعيشون فى شمال دارفور وفى وادى التى يكثر فيها ،
وكون نفوذهم يمتد بعيدا فى الشمال على هذا النحو ، فان ذلك يدل
على أنهم قدموا أصلا من بلدان شمال افريقيا وعلى وجه التحديد من
تونس وليبيا ، متبعين فى ذلك الطريق الذى يربط هذين البلدين ببلاد
الكانم . والاحتمال أنهم وصلوا الى بلاد الكانم أولا ثم رحلوا منها جنوبا
حتى استقروا فى وادى شمالى دارفور .

وفكرة قدومهم من تونس وليبيا تتضح اذا ما عرفنا أنه فى هذين
البلدين قبيلة تحمل نفس الاسم ، وكانت بطنا من بطون بنى هلال
أو بنى سليم الذين هاجروا من مصر الى تونس فى القرن الحادى عشر
للميلاد واستقروا هناك ، ونزل المحاميد المناطق الساحلية من تونس
حتى حدود طرابلس الحالية(٦٧) .

وربما كان المحاميد الذين سكنوا هذه الجهات من فزارة بن
عظفان(٦٨) . اذ يخبرنا القلقشندى أن فزارة كانت تعيش فى برقة
وطرابلس وافريقية (تونس) والمغرب ، وكانت فزارة تنقسم فى هذه

(٦٤) المصدر السابق ، ص ٢٩٣ - ٢٩٤

(65) Mac Milhael : op . cit, Vol 1, p. 299.

(٦٦) الحسن الوزان : نفس المصدر ، ج ٢ ص ١٧٩ هامش (٤٠) ،

ص ١٨٠

(٦٧) دار المعارف الاسلامية ، ج ١ ص ٢٣٢ مادة تونس .

(٦٨) ابن حزم : نفس المصدر ، ص ٢٥٥

البلاد الى قبائل كثيرة منها اولاد محمد (٦٩) . وربما كان اسم المحاميد نسبة الى اولاد محمد هؤلاء .

فالمحاميد اما من الهلالية من هوازن (٧٠) ، أو من فزارة كما يقول القلقشندى وكما يقول ماكمايكل (٧١) ، أو أنهم كانوا ضمن حلف فزارة الذى تكون من قبائل عديدة من بينها المحاميد والهلاليون (٧٢) .

ومهما كان امر نسبة المحاميد ، فانهم عاشوا فى شمالى دارفور كإبالة ، كما عاشوا بين الرزيقات فى جنوبى دارفور كبقارة ، وكانوا يكونن ثلث الرزيقات (٧٣) ، كما انتشروا فى وادى وفى شمال بلاد النكائم ، وانقسموا فى شمالى دارفور الى بيوت أو بطون عديدة ، مها اولاد شايق (٧٤) ، واولاد ياسين والشوتية واولاد زيت (٧٥) ، وربما كانت هذه الكلمة مصحفة من كلمة زيد .

(٦٩) القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ١١٣

(٧٠) ابن حزم : نفس المصدر ٢٧٣

(71) Mac Michael : op . cit, Vol 1, p. 29٩

(٧٢) عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة ، ص ١٤٧ ،

حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣٠٦

(73) Mac Michad : op cit, Vol 1, p. 299.

(٧٤) كان اولاد شايق هؤلاء يعيشون أيضا فى وادى التى تقع

غربى دارفور ، يدل على ذلك أنه فى العصر الحديث وحوالى عام ١٩٠٨ م هاجر عدد من اولاد شايق من المحاميد الى دارفور من وادى ، وهم المعروفون باسم (أم حلول) ؛ واستقروا مع بعض أقسام الشونية واولاد شايق شمال الفاشر ، حيث يقولون أنهم كانوا أولا فى الفاشر منذ ثلاثة أو أربعة أجيال وقيل أن يذهبوا الى وادى . وقد هاجر بعض هؤلاء المهاجرين فى عام ١٩١٤ شرقا وذهبوا الى كردفان ، وفى عام ١٩١٦ وبعد موت على دينار عادوا الى دارفور مرة ثانية . انظر :

Mac Michael A history of the Arabs in the Sudan Vol, 1, p. 299.

(75) Ibid : Vol 1, p. 299.

ويعيش بين المحاميد فى شمالي دارفور قبيلتان أقل منهم عددا
هما النوايية والمهرية . والقبيلة الأولى وهى النوايية من نفس أصل
المحاميد أو من مجموعتهم ، ويعيشون بينهم كأبالة ، كما يعيش بعضهم
فى الجنوب الشرقى من دارفور بين الرزيقات كبقارة ، كما توجد بقارة
من النوايية فى الجنوب الشرقى فى وادى (٧٦) ، وإن كان ناختيجال
يعتبرهم من أصحاب الجمال ، أى أبالة (٧٧) .

أما المهرية أو الماهرية الذين ينتسبون الى مهرة بن حيدان بن عمر
ابن الحافى بن قضاة (٧٨) ، فقد هاجروا الى مصر أولا وشاركوا فى
فتحها واستقروا فيها (٧٩) ، ثم هاجر بعضهم منها الى دارفور وسكنوها .
وقد قيل انهم والرزيقات قبيلة واحدة ، الا أنهم سكنوا شمالي دارفور
واقطنوا الابل ، بينما سكن الرزيقات فى جنوبى دارفور واقطنوا البقر (٨٠) .
فالمهرية فى شمالي دارفور من مجموعة المحاميد ويعيشون بينهم فى
مناطق تمتد بين كوتوم Kuttum وجبل مرة فى الوقت الحالى ، وليس
عددهم كبيرا (٨١) .

ويلاحظ أن المحاميد والمهرية والنوايية أبالة وبقارة ، بمعنى أن
هناك قبائل تحمل هذه الأسماء وتعيش فى الشمال وتعمل برعى الابل ،
فهم أبالة ، وهم الذين تحدثنا عنهم . كما أن هناك قبائل أخرى تحمل
نفس الأسماء وتعيش فى الجنوب والجنوب الشرقى لدارفور وتعمل فى

(76) Ibid : Vol 1, p. 300.

(77) Ibid : Vol 1, p. 300 Footnote (I) .

(٧٨) ابن حزم : نفس المصدر ٤٤٠

(٧٩) ابن عبد الحكم : نفس المصدر ، ص ١١٨ ، ١١٩

(٨٠) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٦٢

(81) Mac Michael : op. cit, Vol 1, p. 300.

رعى الماشية فهم بقارة ، وبتكون منهم قبيلة الرزيقات التى تعد من أكثر
البصرة فى دارفور ثروة وأشدها باسا وفوة (٨٢) .

ويخلاف هذه القبائل التى هاجرت الى شمالى دارفور وسنتنه ،
هناك قبائل أخرى هاجرت اليه ولكنها عاشت مورعه بين كردفان ودارفور .
من هذه القبائل : الكروببات Korubat ، ريرى الخروببات انهم بصفة
عامة من أصل واحد هم وجلابة هوارة ، لأنهم جميعا متشابهون ومتطابقون
وبصرف النظر عن هذا القول فان الكروببات عاشوا فى غرب السودان ،
فى كردفان ودارفور واستقر الجزء الأعظم منهم فى شمال عربى دارفور
فى منطقة تمتد من شرقى كيكبية حتى قرب دار قمر (٨٣) (بنسرة
العاف والميم) .

ويقول ناختيجال انهم عاشوا فى فترة ما فى دار قمر النى خان
الفرور قد سبقوهم اليها ، كما يجعلهم هو وبارت Bartia ضمن عرب
وإداى الذين يدعون انهم من عرب اليمن ، بينما يقول اخوانهم من
الكروببات فى دارفور انهم نزلوا من بنى شيبية الذين يعيشتون فى
جزيرة العرب (٨٤) .

ويبدو أن عرب الكروببات كانوا كثيرى العدد ، بدليل انهم يعيشون
فى دارفور وفى وادى ، وفى كردفان أيضا فى منطقة شركيله . وهؤلاء

(٨٢) التونسى : نفس المصدر ، ص ٨٥ هامش (٥) .
(٨٣) تقع دار قمر أو بلاد قمر فى غربى دارفور شمال بلاد
المساليط وشرق دار تامة ، وهى بلاد فقيرة فى مواردها الطبيعية .
وتعيش جماعات القمر على زراعة الدخن ورعى الأغنام والماشية ،
ويدعى القمر الانتساب الى أصل عربى ، وعلى الرغم من أن معظمهم
يتكلمون اللغة العربية فانه ليس هناك ما يؤيد هذه الدعوى نى
راى ماكمايكل .

انظر : التونسى : تشحيذ الأذهان ، ص ١٣٦ هامش (٢) .

(٨٤) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٦٣ ،

الذين يعيشون فى كردفان يقولون انهم ينتمون الى صباحة (بضم الصاد) ، وهم قسم من الحمر Hamar ، ويعيشون حول (أم بل) فى غربى كردفان ، كما أن قسما منهم عاش أيضا مع البرقد فى الجزء الشرقى من دارفور .

ونظرا لأن معظم الكرويات كانوا يعيشون كما قلنا فى الجزء الشمالى من دارفور ، فانهم وبحكم موقع بلادهم كانوا تجارا وفيهم علماء اجلاء(٨٦) ، نظرا لمرور قوافل التجارة عبر اراضيهم ، وقد ذكرهم نعوم شقير وغيره ضمن قبائل البقارة فى دارفور(٨٧) .

ومن القبائل الأخرى التى هاجرت الى دارفور وسكنتها وسكن بعضها كردفان ، قبيلة دار حامد التى تنتسب الى فزارة(٨٨) ، وهذه القبيلة من قبائل البدو العربية التى كانت تعمل فى رعى الابل . ويبدو انهم انحدروا أساسا من دنقلة كما ذكر ماكمايكل الذى يقول أن جدهم الأعلى حامد جاء هو وأخوه حمد منذ أحد عشر أو ثلاثة عشر جيلا ، أى قبل القرن السادس عشر للميلاد من مصر ، وأندفعوا الى دارفور واستقرت بعض سلالاتهم فيها ، واستقر البعض الآخر فى كردفان(٨٩) .

وقد انقسمت هذه القبيلة الى أقسام رئيسية هى : الفراخنة ، والحبابين ، والمرامرة ، والنواهيية ، والعريفية ، وأولاد اقوى ، والمجانين والجليدات . وكانت أم القسمين الأولين وهما الفراخنة

(85) Mac Michael : op. cit , Vol , 1, p. 337.

(٨٦) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٦٣ ، عبد الله حسين : السودان القديم والجديد ، ص ٤٢

(٨٧) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٦٣

(٨٨) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٠٠ هامش (٢) .

(89) Mac Michael : op. cit, Vol 1, p. 256.

والحبابين من جبل ميدوب فى شمالى دارفور ، بينما كانت أم النواهيية من بغداد . ويقال ان اولاد (اقوى) هم من حمد أخو حامد ، وان العارفية أتوا من بورقو ، وأن الجليدات تحتوى على عنصر زنجى كبير ، ننيجة لمصاهرتهم لهم(٩٠) .

ويقول ماكمايكل أنه وحتى القرن الثامن عشر للميلاد ، كان الناس لا يعرفون شيئاً عن تاريخ دار حامد ، وربما وفى خلال النصف الأول من ذلك القرن كان المرامرة هم البيت الحاكم لهذه القبيلة المتعددة البطون تحت رياسة شخص يدعى كيرالو kirialo . وكان هؤلاء المرامرة يعيش بعضهم فى دارفور وبعضهم الآخر فى كردفان . وقد وقع كيربالو فى أسر سلطان دارفور فى منتصف ذلك القرن بسبب رفضه تجميع كل القبيلة حول العاصمة ، وانتقلت رياسة القبيلة لفرع (اقوى) ثم الحبابين ، بالاضافة الى ان كل قسم من أقسام دار حامد التى أشرنا اليه له شيخه المحلى الذى يدير شئونه(٩١) .

والمجانين هم اكثر دار بنى حامد بداوة حتى الآن ، وان كانوا قد بداوا مؤخرًا يمارسون حياة الزراعة والاستقرار وبناء القرى ، ولا يزال رعى مواشيهم وغنمهم وابعاد مواشى جيرانهم هو شغلهم الشاغل . ويبدو أنهم تحركوا واستقروا أخيراً فى وسط كردفان واتفصل بعضهم واستقروا حول الحشابة Hashaba فى شرقى ذلك الاقليم وانقطعوا تماماً عن بقية القبيلة ، وكان أول من لاحظهم البارون Muller بين سنتى ١٨٤٧ و ١٨٤٩ م (٩٢) .

أما العريفية Arifia فقد عاشوا طويلاً فى أجزاء من غربى

(90) Ibid : Vol I, pp. 256 - 257.

(91) Ibid : Vol I, pp. 257 - 258.

(92) Ibid : Vol I, p. 258.

دارفور ، وتشربوا كثيرا من دم هذه الأجزاء ، واستقروا الآن في الجزء الجنوبي الجنوبي من دار حامد الى الغرب من الجليدات (٩٣) .
وهؤلاء الجليدات كان كثير منهم يعيش في دارفور بين الفاشر واقليم الحمر Hamar وظلوا كذلك حتى القرن الماضى . اذ بعد عصر المهديّة لم يبق منهم هناك الا القليل ، واستقر معظمهم في كردفان (٩٤) .

اما المعالية فقد انقسمت بين دارفور وكردفان ، وكان الابالة منهم يعيشون في شمال دارفور (٩٥) ، ومن مراكزهم كركود شمال الطويشة وقوز المعالية المنسوب اليهم ، وهم حلفاء للرزيقات واخصام للحمر (٩٦) .
اما البقارة من المعالية فقد كانوا يعيشون في الجنوب ، ثم انتقلوا غربا في القرن الماضى لتفادى الضغط التركى ، واخيرا انتقلوا الى كردفان عقب الثورة المهديّة ، ثم الى دارفور مرة اخرى عقب سقوط حكم على دينار في عام ١٩١٦ م (٩٧) .

أما بقية دار حامد من الفراعنة والحبابين والنواهيّة لم يذكر عنهم ماكم ايكمل ما يفيد بوجودهم في دارفور ، وتحدث عن معيشتهم في كردفان (٩٨) ولذلك لم يكن هناك ما يدعو للخوض في الحديث عن هذه الجماعات .

(ب) القبائل العربية المهاجرة الى الجنوب والجنوب الشرقى لدارفور :

هاجر الى هذه المنطقة الواسعة والنائية من دارفور قبائل عديدة ، منها الحبانية والمسيرية والرزيقات وبنو هلبة والتعايشة . وقد سكنت القبائل الثلاث الأولى الجنوب والجنوب الشرقى من دارفور . ويبدو انهم كانوا

(93) Ibid : Vol 1, p. 261.

(94) Ibid : Vol 1, p. 262.

(95) Ibid : Vol 1, p. 267.

(٩٦) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٦٢

(97) Mac Michael : op . cit . Vol 1, p. 267

(98) Ibid : Vol 1, pp. 259 — 260.

كثيرى العدد بدرجة كبيرة لفتت نظر التونسي حينما زار هذه المنطقة. فى بداية القرن التاسع عشر ، فقال عنهم وعن المنطقة التى عاشوا فيها انها « خلاء مشحون بأعراب البادية كالمسيرية الحمر والمبائية والرزيقات ، عالم لا يحصيهم الا خالقهم » (٩٩) .

ويرجع سبب تركز هذه القبائل فى هذه المنطقة الجنوبية من دارفور انها كانت تتمتع بميزات طبيعية وحيوانية كبيرة جذبت هذه القبائل الى الهجرة اليها وسكانها دون غيرها من مناطق دارفور . ولذلك صار سكانها من العرب على درجة كبيرة من الثراء والغنى .

وقد لفتت هذه الظاهرة نظر التونسي فقال عنها مبينا مدى ثراء هؤلاء القوم انه يوجد عندهم «من الأرز والدفرة (١٠٠) ، والكوريب (١٠١) ، والهجليج (١٠٢) ، والتمر هندى ، والعسل ، والكرنوا (١٠٣) ،

(٩٩) تشحيد الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ص ١٤٢
(١٠٠) الدفرة نوع من المزروعات يقرب من الأرز وليس بارز ، وهو حب صغير أصغر من حب الأرز ، وفيه بعض فرطحة ، شديد البياض ، يالفه الناس فى دارفور اكثر من الأرز . انظر ، التونسى ، ص ١٠٥
(١٠١) الكوريب : لم يبين التونسى ماهيته ، وهو شجر أو نبات

مثمر . انظر ، التونسى ، ص ٢٩٥
(١٠٢) الهجليج : هو من الأشجار التى تثبت طبيعيا فى الخلاء ، وهو نوعان : الهجليج الأصفر والهجليج الأحمر ، وذلك حسب لون ثمارها الذى يشبه البسر الغليظ أى البلح قبل أن يصير رطبا . والهجليج شجر عظيم مثل شجر الجميز فى مصر ، أوراقه تميل الى البياض قليلا ، وثمره حلو الطعم به بعض المرارة وله رائحة خاصة ، ولهذا الثمر نواة بداخلها بذر على هيئة الصنوبر شكلا ولونا . ويأكل الناس الثمر وكذلك البذر على هيئات مختلفة . وهذا الشجر ذو منافع عظيمة عندهم

=

والسرنة (١٠٤) ، ما لا يوجد عند غيرهم . وأما اللبن فلا قيمة له عندهم لكثرتة ، يأخذون منه السمن ويرمون رائبته ، حتى ان من أتى الى أحيائهم ، وخصوصا أحياء الرزيقات والمسيرية الحمر ، والحبانية ، يجد الغدران والبرك القريبة منهم كلها لبنا « (١٠٥) .

وهذا دليل واضح على كثرة المحاصيل الزراعية وعلى وفرة المشية وخاصة الأبقار التي كانت تصدر بكميات غير محدودة لأسواق النهود

فلا يرمون منه شيئا ، اذ ينتفعون بجميع أجزائه ، فيطبخون ورقة الطرى الفص فى أدمهم ، ويتداونون بهذا الورق بعد مضغه ووضعها على الجروح فتشفى ، ويعملون من ثمره عجينة تستخدم كالصابون فى تنظيف الملابس ، ويستعملون خشبه فى البيوت ليلا للانارة عوضا عن المصابيح لأنه لا دخان له ، ومن رماده يعملون الكنبو وهو ملح سائل يستخدمونه فى الطبخ ، كما يعملون من خشبه الواح القراءة .

انظر ، التونسى : تشحيد الأذهان ، ص ٣٠٧ - ٣٠٩

(١٠٣) الكرنو أحد نوعين من النبق ينموان طبيعيا مثل الهجليج . والنوع الأول يسمى النبق العربى ، والثانى هو الكرنو ، وهو أكبر حجما من النبق العربى وأكثر لحما ويخالفه فى اللون . فالعربى يحمر لونه عند نضجه بينما يصفر لون الكرنو ، وهو أنفج منه ، ويأكلون لحاء الثمر ويجفف العرب البذور الصغيرة الموجودة داخل نواته فى الشمس ويطبخونها بالعسل ويبيعونها فى دار الفور وتسمى كنيا كنيا فتؤكل كالحلوى . وينتفع بورق الكرنو فى علاج بعض أمراض المعدة .

انظر ، التونسى : تشحيد الأذهان ، ص ١٠٩

(١٠٤) السرنة من الأشجار التي تنمو طبيعيا فى دارفور ، وهو من الأشجار المثمرة ولم يذكر عنه التونسى الا مجرد الاسم .

انظر ، التونسى ، ص ٢٩٥

(١٠٥) التونسى : نفس المصدر ، ص ٢٩٥

والأبيض بكردفان ، وكان هذا التصدير يعد أول مصادر الرزق بتلك
الفاحية (١٠٦) .

أما الحبائية الذين يعرفون في السودان باسم الهبائية فقد قال بعض
الباحثين أنهم من القبائل التي يظن أن لها صلة ما بلخم وجذام (١٠٧) .
وأنهم كانوا يعيشون في البر الشرقي من صعيد مصر فيما بين مسجد
موسى وأسكر من أعمال أطفيج (١٠٨) ، الموجودة الآن في محافظة الجيزة
مستندا في ذلك على ما قاله المقریزی من وجود بطن من لحم يسمى
بنو حبان كانوا يعيشون في المنطقة المشار إليها (١٠٩) .

والحقيقة ان الحبائية ليس لها أية صلة لا بلخم ولا بجذام ، لأن
لخما وجذاما أخوان وهما يمثلان العمارة الأولى من كهلان (١١١) ، بيسا
الحبائية تنتمي الى طيبة ، وطيبة هي العمارة الرابعة من كهلان (١١١)
والحبائية على وجه التحديد اما انها فخذ من زريق ، وزريق بطن من ثعلبة
التي كانت تعيش في مصر كما قال القلقشندى (١١٢) ، وثعلبة بطن من
طيبة (١١٣) . واما انها فخذ من درما كما قال المقریزی (١١٤) ، ودرما

(١٠٦) عبد الله حسين : السودان من التاريخ القديم ، ص ٢٤ ص ٤٦٧

(١٠٧) سر الختم عثمان : نفس المرجع ، ص ٢٨٥

(١٠٨) المرجع السابق ، ص ٢٨٦

(١٠٩) المقریزی : البيان والاعراب عما بارض مصر من الأعراب ،

ص ٦٠

(١١٠) القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ٥٤ ، المقریزی : البيان

والاعراب ، ص ١١ ، ١٢

(١١١) القلقشندى : نفس المصدر ، ص ٧٢

(١١٢) المصدر السابق ، ص ٨٥

(١١٣) المصدر السابق ، ص ٨٥ ، ٨٧

(١١٤) البيان والاعراب ، ص ٤

بطون من ثعلبة مصر ، من طيبىء (١١٥) .

هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فاننا لم نسمع اسم جذام فى القبائل العربية التى تعيش حتى اليوم فى السودان (١١٦) ، بينما ذكر المؤرخون اسم ثعلبة ، وانه ينتمى اليها قبائل عربية اخرى فى السودان مثل المسيرية كما سنذكر عما قليل . وحينما تحدث عنهم - اى ، الحبانية - الدكتور عبد المجيد عابدين قال « نظن ان لها صلة ما بجذام ولخم » (١١٧) ، فهو ظن وليس من اليقين .

ويبدو انه حدث خلط بين لحم وجذام من ناحية ، وثلعبه من ناحية اخرى مما ادى الى القول بان الحبانية لهم صلة ما بلخم وجذام . ويعود هذا الخلط الى ان بطونا من ثعلبة كانت تعيش فى بلاد جذام فى الحوف الشرقى مصر (١١٨) ، بعد ان استقدمهم صلاح الدين الايوبى الى مصر مكافأة لهم على جهادهم وبروزهم فى قتال الصليبيين ببلاد الشام حيث كانت تعيش ثعلبة قبل هجرتها الى مصر (١١٩) .

وقد ادى اجتماع ثعلبة وجذام فى الحوف الشرقى الى اختلاط بعضهم فى بعض وخاصة ما بين خمسة بطون من جذام كانت تسمى سعدا (١٢٠)

(١١٥) المصدر السابق ، ص ٤

(١١٦) عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى

النيل ، ص ١٤٧

(١١٧) المرجع السابق ، ص ١٤٨

(١١٨) القلقشندى : قلائد الجبان ، ص ٥٨ ، المقرئى : البيان

والاعراب ، ص ٢٣

(١١٩) القلقشندى : نفس المصدر ، ص ٥٨ ، المقرئى : نفس

المصدر ، ص ٦ ، ٢٣

(١٢٠) القلقشندى : نفس المصدر ، ص ٦٢ ، المقرئى : نفس

المصدر ، ص ٢٠ ، ٢١

وبطونا أخرى من ثعلبة من طيء كانت تحمل نفس الاسم وتتنمى الى سعد
ابن فطرة بن طيء (١٢١) .

وعلى ذلك فان الحبانية من ثعلبة من طيء وليسوا من لحم او
جذام . وقد حسم القلقشندي هذا الأمر فذكر ان الحبانين هم فخذ من
زريق من ثعلبة من طيء (١٢٢) ، كما ذكرهم المقرئى على أنهم
فخذ من دارما من ثعلبة من طيء (١٢٣) كما سبق القول ، ولم يرد
عنه ما أشار اليه الباحث السودانى سر الختم عثمان من أنهم من لحم .

والذى يؤكد هذا القول ان هناك قبائل أخرى تعيش مع الحبانية
فى نفس الجزء الجنوبى من دارفور وتتنمى هى الأخرى الى ثعلبة ،
والمثال على ذلك قبائل المسيرية ذات العدد الضخم (١٢٤) . ولا ندرى
الى اى مصدر استقى منه ما كما يكل القول بان الحبانية نسبة الى
حبان بن القلوص بن عمرو بن قيس ، وأنهم قبيلة مشتقة من بأهلة (١٢٥)
وربما كانت النسبة الى حبان بن القلوص أمر صحيح ، أما نسبة
حبان هذا الى بأهلة فهو أمر غير صحيح ، لأن بأهلة لم يهاجر احد
منها الى مصر ، فلم يشر اليها ابن عبد الحكم ولا غيره من المؤرخين
الذين جاءوا بعده وكتبوا عن القبائل العربية فى مصر . وربما حدث
تصحيف فى كلمة ثعلبة التى ينتمى اليها الحبانية ، فظننا ماكمايكل انها
بأهلة . ومما يدل على اضطراب معلوماته فى هذه الناحية انه يقول
فى موضع آخر ان الحبانية نازلون من حماد بن جنيد ، وأنهم من

(١٢١) القلقشندي : نفس المصدر ، ص ٨٥

(١٢٣) البيان والاعراب ، ص ٤

(١٢٢) قلائد الجمان ، ص ٨٥

(124) Mac Michael : op cit, Voll 1, p. 287.

(125) A history of the Arabs in the Sudan, Vol 2, p. 186.

جهينة(١٢٦) . وليس هذا القول أيضا على شيء من الدقة الا اذا كان يعتقد أنهم من المجموعة الجهنية التي انضوى تحت لوائها قبائل دارفور كما سبق القول .

وعلى أية حال فقد هاجر الحبانية الى بلاد السودان واستقروا فى دارفور ، ثم هاجر بعضهم من كلاكه Kalaka التى لا تزال هى المقدس الرئيسى للقبيلة الرئيسية الى كردفان منذ أربعة أو خمسة اجيال ، وعاشوا بين بلدة الرهد وشركايلة حاملين نفس الاسم . أما معظم الحبانية أو الجزء الرئيسى منهم فأنهم يعيشون فى جنوبى دارفور ، ومركزهم الرئيسى كلاكه(١٢٧) أو كلكلة كما يسميها نعوم شقير(١٢٨) .

وحبانية دارفور من القبائل البادية ، غير أنهم اقل بدواة من البقارة ، ولهم قرى عديدة ، ويتصلون بالتعايشة الذين يحدونهم من الغرب ، كما يحددهم الرزيقات من الشرق ، والمساليط من الشمال ، والدنكا من الجنوب(١٢٩) . وبلادهم تشبه دار أو بلاد الحمر (بضم الميم) وبلاد الرزيقات بصفة عامة ، ولكنها تمتد أكثر من ناحية الجنوب ، ولذلك فهى تعاني أكثر من غيرها من القبائل من الذباب والمستنقعات ، وهم يزرعون الغلال بدرجة أقل من البقارة الذين يعيشون الى الشرق منهم(١٣٠) .

أما السيرية الذين يشاركون الحبانية فى الهجرة والسكنى فى الجنوب والجنوب الشرقى من دارفور ، فإنهم كانوا والحمر Humt قبيلة واحدة

(126) Ibid : Vol 2, pp. 91 - 92.

(127) Ibid : Vol 1, pp. 278 — 279 .

(١٢٨) تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ، ج ١ ص ٦٢

(١٢٩) انظر الخريطة رقم (١) ، (٢)

(130) Mac Michael : op . cit, Vol 1, pp. 278 - 279.

فى وقت من الأوقات ، وكانوا ينقسمون الى قسمين : المسيرية
الزرق والمسيرية الحمر(١٣١) .

وقد جاء اسم المسيرية الزرق دلالة على سواد بشرتهم ، اذا أنهم
يقيمون فى جنوب جبل دارفور المعروف باسم جبل مرة الذى ينتهى قبل
الدخول فى دار أباديما ، ثم يليه أرض سهلة يسكنها الفلان ، يليهم بنو
هلبة ثم المسيرية الزرق(١٣٢) الذين كانوا يعيشون حياة غير مستقرة
تماما فى قرى حول صحارى وجبل كىرو الى الشرق من جبل مرة ، وكانوا
يربون الماشية والأغنام(١٣٣) ، وكانوا قرييين من عناصر السكان
الأصليين السود البشرية من الداجو والبرقد. والتموركة(١٣٤) ، ولذلك
فمن المؤكد أنهم خالطوهم وصاهروهم فتأثر لون بشرتهم وصاروا مثلهم ،
ولذلك سموهم بالمسيرية الزرق .

اما المسيرية الحمر فقد سموا بذلك نسبة الى لون بشرتهم الذى لم
يتغير كثيرا بسبب اقامتهم فى مساكن تبعد عن الفور ، ولعدم اختلاطهم
بهم فى الغالب ، فهم أهل بادية ، يعيشون فى الجنوب الشرقى لدارفور
حول الصحراء المحيطة بتبلدية ، بين الرزيقات فى الشمال والحبانية
فى الجنوب ، والبيقو فى الغرب ، وصحراء دارفور المتصلة بكردفان
فى الشرق(١٣٥) .

وهكذا انقسم المسيرية الى قسمين بل الى قبيلتين كبيرتين ، احدهما
فى جنوبى دارفور ، والأخرى فى الجنوب الشرقى منها . ولم تكن هجرة

(131) Ibid : Voll 1, p. 184.

(١٣٢) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٤٥

(133) Mac Michael : op. cit, Vol 1, p. 187

(١٣٤) انظر ، الخريطة رقم ١ ، ٢

(١٣٥) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٣٩ ، انظر الخريطة

المسيرية الى كردفان وحدها كما ذكر احد الباحثين(١٣٦) ، وانما الصحيح انهم هاجروا أولا الى دارفور واصبحوا هم والحر يشكلون قبيلة واحدة كما ذكرنا ، وظلوا على هذا النحو الى القرن التاسع عشر للميلاد ، اذ وجدهم الرحالون في دارفور(١٣٧) ، وفي غربها في وادى(١٣٨) .

كان سلطان دارفور يأخذ من المسيرية الزرق ضريبة مالية كل سنة ، اما المسيرية الحر فكانوا « لا يعطون للسلطان الا اقباح اموالهم ، ولا يقدر العامل أن يأخذ من ثرائها الا برضاهم ، وان تاقت نفسه الى ذلك طرد ، وربما قتل ولا يقدر السلطان لهم على شىء »(١٣٩) .

ويمكن أن نستنتج من هذا النص أن المسيرية بفرعيها الكبيرين الزرق والحر كانوا يعيشون في دارفور ، وأن السلطان كان يعين عليهم عاملا من قبله ، ولكن المسيرية الحر كانوا اقوى شوكة من اخوانهم المسيرية الزرق ، نظرا لتطرف موقع بلادهم من ناحية ، لكثرة عددهم من ناحية ثالثة ، ذلك انهم بقارة(١٤٠) ، بينما كان الزرق ابالة(١٤١) .

وقد اشار التونسي الى ثرائهم وترددهم فقال « انهم لا يحصون كثرة ، وهم اهل بقر وخيل واثاث ، واكثرهم اهل ثروة ، لا يالفون الحاضرة ، بل يتبعون الكلا أينما كان ، ويلحق بهم القبيلة المسماة ببني حلبة ، لأنهم اهل بقر ايضا ، لكنهم يتوغلون في دارفور ويزرعون »(١٤٢) .

عددهم فقد كان وفيرا ايضا اذ قال التونسي عنهم انهم « عالم لا يحصيه الا خالقهم »(١٤٣) ، مما يدل على كثرة عددهم .

(١٣٦) سر الختم عثمان : نفس المرجع ، ص ٣٨٦ ، ٢٨٧

(137) Mac Michael : op. cit , Vol 1, p. 287.

(138) Ibid : Vol 1, p. 287.

(١٣٩) التونسي : نفس المصدر ، ص ١٤٠

(١٤٠) المصدر السابق ، ص ١٣٩

(١٤١) المصدر السابق ، ص ١٣٩

(١٤٢) تشحيد الأذهان ، ص ١٣٩

(١٤٣) المصدر السابق ، ص ١٠٣

ولذلك فان عامل السلطان كان لا يقدر على تحصيل الضريبة منهم بسهولة ، واذا اخذها فانما مما يفضلون هم به عليه ، والا كان مصيره الطرد أو القتل ، مما يدل على قوتهم وشدة شوكتهم . ولذلك فقد كانوا يظهرون على مسرح الأحداث عندما تثور الفتن بين سلاطين الفور وبين اخواتهم أو أبناء اخوتهم من الطامعين فى العرش (١٤٤) .

وليس معنى ذلك انه لا توجد مسيرية فى كردفان ، فالواقع انهم وجدوا ايضا فيها . ويبدو من كلام التونسى وايضا من كلام ماكمايكل انهم رحلوا اليها من دارفور ، غير انهم انفصلوا هناك الى مسيرية والى حمر Humr (بضم الحاء وتسكين الميم) . وكان هذا الانفصال نهائيا لدرجة ان الحمر لم يعودوا ينسبون انفسهم الى المسيرية اطلاقا ، وأصبح لدل قبيلة منها دارها وشيخها (١٤٥) . ويعيش الحمر هؤلاء على الحدود الغربية لجنوبى كردفان ، ويمتد اقليمهم من جوار الأضاية الى بحر العرب أو بحر الحمر كما يسمى أحيانا (١٤٦) ، أى انهم قرييون من المسيرية الحمر الذين يعيشون فى الجنوب الشرقى لدارفور .

أما مسيرية كردفان فقد كانوا من القبائل القوية وكانت قبيلتهم تمثل فى القرن الثامن عشر للميلاد جزءا هاما من البقارة ، وتعيش فى أقصى الشرق من شرقالة ، ولكن تحالف الحوازمة مع البديرية وغيرهم من القبائل الأخرى دفعهم الى النزوح الى دارفور مرة أخرى ، اذ قال ماكمايكل انهم يعيشون فى عصره فى دارفور (١٤٧) .

أما أصل المسيرية ، فان أوراق النسبة تتفق على انهم ينتسبون الى قبيلة ثعلبة ، وثعلبة من طييء (١٤٨) ، وان كان ماكمايكل يشك

(١٤٤) المصدر السابق ، ص ١٠٣

(145) Mac Michael : op. cit , Vol 1, p. 284.

(146) Ibid : Vol 1, p. 284.

(147) Ibid : Vol 1, p. 287.

(١٤٨) ابن حزم : نفس المصدر ، ص ٤٠١ - ٤٠٢ ، المقرئى :

نفس المصدر ، ص ٣ ، ٤

كعادته فى هذه النسبة (١٤٩) . ولا نرى داعيا لهذا التشكيك ، حيث وجدت فى دارفور قبائل أخرى تنتسب الى ثعلبة ، منها الحبانية الذين تحدثنا عنهم منذ قليل ، بل ان ماكمايكل نفسه يورد ما يؤيد صحة هذا القول دون ان يفتن لذلك ، وان كان يجعل قوله فى هذا الصدد يحمل وجه الغرابة .

فهو يقول انه « من الغريب ان تجد فى دارفور قبيلة صغيرة من الثعلابة كما يسمون عادة مع المسيرية ، ومعظم هؤلاء الثعلابة - والكلام ما زال له - يعيشون قرب الركن الجنوبى الشرقى من جبل مرة كالبقارة ولكن القليل منهم يعيشون كقرويين فى شمال دارفور مع الزغاوة حول مطار يسمى (خشابة) ، وهم يعتبرون عادة فرعا من المسيرية » (١٥٠) .

وكون الثعلابة يعيشون مع المسيرية ، وقرب الركن الجنوبى الشرقى من جبل مرة ، وهى نفس المنطقة التى يعيش فيها المسيرية الزرق ، يجعل انتساب هؤلاء المسيرية الى ثعلبة امرا مقبولا دون ان يحاط به شىء من الشك الذى نراه كثيرا فى كتابات المستشرقين والأجانب سواء عن السودان أو غيره من البلدان .

وفى هذا الصدد أيضا نرى ان ماكمايكل لم يكتف بان يبرهن بنفسه على وجود ثعلبة بين المسيرية فى جنوبى دارفور ، بل انه ألخ الى ان قليلا منهم يعيشون كقرويين أيضا فى شمالى دارفور مع الزغاوة ، وحدد المكان الذى يعيشون فيه ، وقال انهم يعتبرون عادة فرعا من المسيرية .
فالقضية اذن واضحة ولا تحتاج الى مزيد من بيان او برهان .

أما اسم المسيرية ، فهو مشتق من اسم رجل يدعى مسيرة بن ثعلبة ابن نصر بن سعد بن نبهان ، فرع من طييء (١٥١) ، وقد رحل هذا

(149) A history of the Arabs in the Sudan, Vol 1, p. 287.

(150) Ibid : Vol 1, pp. 287 - 288.

(١٥١) ابن حزم : نفس المصدر ص ٤٠٤ ، سر الختم عثمان :

نفس المرجع ، ص ٢٨٦ ، Mac Michael : op. cit, Vol 2, p. 183.

الرجل مع قومه من ثعلبة من مصر الى دار فور . ومعروف أن ثعلبة
تواجدت فى مصر ونزحت اليها فى ازمئة سابقة ، وأشار النسابة
والمؤرخون الى وجود بطون عديدة معها فى مصر ، منها بطنا درما وزريق ،
وهما ابنا عوف بن ثعلبة ، وقيل أنهما ابنا ثعلبة لصلبه (١٥٢) .

ومن أفضاخ درما الحبانيون الذين سبق ان تحدثنا عنهم (١٥٣) ،
ومن أفضاخ زريق المساهرة (١٥٤) ، وربما كان الاسم الأخير وهو الأصل
الذى اشتق منه اسم المسيرية . أما أفضاخ زريق عند المقرئى فهم اشعب
ولبنى وثلعة وعنين ونبيل ، وبنو وهم والطلحيون وبطون أخرى (١٥٥) .

وقد سكنت ثعلبة ببطونها الكثيرة هذه المناطق التى تقع بين مصر
والشام ، كما سكنوا ايضا بصعيد مصر ، ذكر ذلك الحمدانى الذى نال
يعمل مهندرا ونقل عنه القلقشندى ، والحمدانى أدري بذلك
وأعرف نظرا لمهنته التى كان من شأنها معرفة العرب الواصلين الى الأبواب
السلطانية . وقد سبقت الاشارة الى أن ثعلبة جاءت الى مصر ومعها
طائفة من جرم ، وهى جرم طيبىء وليست جرم قضاة ، وذلك فى عصر صلاح
الدين الأيوبي الذى وسع فى بلاد جذام فى الحوف الشرقى كما
سبق القول (١٥٦) .

وعلى ذلك فقد تعددت المناطق التى عاشت فيها ثعلبة فى مصر ،
كما تعددت بطونهم وأفضاخهم وصاروا قوة كبيرة . ويبدو أنه نتيجة
للصراع والمصادمات التى حدثت بين السلطات الحاكمة وعربان الصعيد
ومنهم ثعلبة بطبيعة الحال ، رحل بعض هؤلاء الثعلبة الى دارفور

(١٥٢) القلقشندى : قلائد الجمان : ص ٨٥

(١٥٣) انظر ، ص ١٣٧ - ١٤٠

(١٥٤) القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ٨٦

(١٥٥) المقرئى : البيان والاعراب ، ص ٤

(١٥٦) انظر ، ص ١٣٧ - ١٣٨ ، القلقشندى : قلائد الجمان ،

ص ٨٦ - ٨٧ ، المقرئى : البيان والاعراب ، ص ٤ ، ٦٣
(١٥ - ٣)

وكدرفان وحملوا هناك اسم المسيرية نسبة الى الشخص الذى اشرنا
اليه ، وامتزجوا بغيرهم من السكان المحليين عن طريق الزواج والمصاهرة ،
ومن ثم تنوعت الوانهم وصار منهم كما قلنا من قبل من يعرف باسم المسيرية
الزرق ، ومنهم من صار يعرف باسم المسيرية الحمر ، وان كان الفريقان
قد حافظا على عروبتهما فلم يذوبا فى السكان المحليين ، بل اتهما
تكاثرا كما قلنا حتى صار عددهما لا يحصى كثرة ، وحتى تفرعت عنهما
قبائل اخرى مثل الحوتية (الهرتية) Hotia والسعادة Saada (١٥٧) .

فالحوطية يعتبرون انفسهم قسما من اقسام المسيرية ، وكانوا
يعيشون بجوارهم فى غرب كيكبية فى دارفور بالاضافة الى الثعالبية .
وكان السعادة يعيشون شمال شوا حول كيكبية وكلكول (١٥٨) . ومعنى
ذلك ان المسيرية بفروعها وبطنونها وقبائلها التى تفرغت عنها توغلت
بعيدا فى دارفور سواء فى ناحية الشمال او ناحية الشرق .

اما القبيلة التى تكون مع الحبانية والمسيرية اقوى ثلاث قبائل فى
الجنوب والجنوب الشرقى من دارفور ، فهى قبيلة الرزيقات . ولا حاجة
للتحدث عن ثروة هذه القبيلة وقوتها ، فقد سبقت الاشارة الى ذلك
عند الحدث عن قوة وثروة هذه القبائل الثلاث (١٥٩) . ويبدو ان
قوة الرزيقات على وجه خاص لفتت انظار الرحالة والباحثين ، فدل
ماكمايكل عن هذه القبيلة انها اقوى واعنى قبيلة فى اقليم دارفور (١٦٠) .
ومعنى ذلك انها القبيلة الاقوى بين القبائل الثلاث التى سبقت الاشارة
اليها ، كما انها كانت اكبر قبائل دارفور كلها من عرب وغير عرب ، ولذلك
كان رجالها يسمون تراب الهين ، أى ملء الكفين ، وذلك لكثرتهم (١٦١) .

(١٥٧) نعوم شعير : نفس المرجع ، ص ١٦٣
(158) Mac Michael : Vol 1, p. 289.

(١٥٩) انظر ، ص ١٣٥ - ١٣٦ ، Mac Michael : op . cit ,
Vol 1, p. 289.

(160) Mac Michael : op . cit, Vol 1, p. 290.

(١٦١) نعوم شعير : نفس المرجع ، ص ١٦٣

والدليل على ذلك وكما سبق القول ان الرزيقات وجددهم يكونون ثلاث قبائل كبرى هي المهيرية والنوايية والمحاميد(١٦٢) ، وأن هذه القبائل كان لها نظير وبنفس الاسم فى شمالى دارفور ، حيث كانوا يعيشون كأبالة ، وقد سبق الحديث عنهم(١٦٣) ، ولذلك فاننا لن نتحدث عن هذه القبائل الثلاث هنا بأسمائها ، وانما عن القبيلة الأصل التى تضمهم جميعا وهم الرزيقات .

والرزيقات كانوا ولا زالوا فى الجنوب الشرقى من دارفور(١٦٤) ، ولا يوجد أحد منهم يعيش خارج هذا الاقليم الا عدد يعيش فى وادى(١٦٥) ومعنى ذلك أنهم انتشروا فى الجنوب حتى وصلوا الى غربى دارفور ومنه الى اقليم وادى المجاور ، مما يدل على كثرتهم .

ونتيجة لهذه الكثرة كانوا يتحالفون مع الحبانية والمعالية ويقاومون سلاطين الفور مقاومة عنيدة ، ولم يخضعوا لهم الخضوع التام(١٦٦) بل ان بعض السلاطين اضطروا الى الاستعانة بهم فى نزاعهم الداخلى ضد اقاربهم فى سبيل الحفاظ على كرسى الحكم ، او فى القضاء على اطماع جيرانهم من سلاطين كردفان(١٦٧) .

كان الرزيقات دائما غيورين على استقلالهم وكانوا يعملون على عدم الخضوع للسلطة الحاكمة ، وطالما شنوا غارات جريئة على اراضى الفور لاقل سبب او دافع(١٦٨) فقد كانوا يربون الخيول ومشهورون بالفروسية

(١٦٢) انظر ، ص ١٢٩ - ١٣١ ، نعوم شقير : نفس المرجع ،

ج ١ ص ٦٢

(١٦٣) انظر ، ص ١٣١ ، نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٦٢

(164) Mac Michael : op. cit , Vol 1, 290.

(١٦٥) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٠٣

(١٦٦) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٦٢

(١٦٧) التونسى : نفس المصدر ، ص ٨٤ - ٨٥

(١٦٨) المصدر السابق ، ص ٣٥٨

بكافة مظاهرها كما كانوا مهرة في استعمال السلاح واتصفوا بالنزعة للقتال ، ودرجوا على إقامة عرض سنوي يبرزون فيه كل مظاهر فروسيتهم التي كانوا يتفاخرون بها بين القبائل ، مما حدا بأحد الباحثين كي يشبههم بالهلالية (١٦٩) .

ونظرا لقوتهم وفروسيتهم تلك ، فقد أصبحوا ندا للسلطة الحاكمة في دارفور ، حتى انهم تمكنوا ذات مرة من هزيمة احد السلاطين حينما تصدى لهم ، فازداد شأنهم علوا وذاع صيتهم بين القبائل ، ومن ثم أصبحوا ملاذا لكل العرب وخاصة من الحبانية وبنى هلبة والمعالية وبنى خزام (١٧٠) .

كان الرزيقات بقارة ، وكأئوا يعيشون في الجزء الجنوبي الشرفى من دارفور بين الحمر من الشرق والمعالية والبرقد والبيقو والداجو من الشمال . ونظرا لانهم كانوا يتزوجون من الدنكا ، فقد تأثرت الوانهم كما تأثرت نقاوتهم العرقية (١٧١) .

أما اصلهم فهم ينتسبون الى رزيق الثقفى (١٧٢) ، اى أنهم ينتمون الى بنى ثقيف سكان الطائف فى بلاد الحجاز . غير أنهم كانوا ضمن المجموعة الجهنية التى سكنت دارفور ، اذ يقول ماكمايكل أنهم ينتسبون الى عطية بن جنيد من جهينة (١٧٣) ، ومعنى ذلك أنهم من جهينة وليسوا من ثقيف .

ومهما كان الأمر فى شأن أصلهم القبلى ، فإنه لم يقتصر تواجد العرب فى جنوبى دارفور عليهم وعلى اخوانهم من الحبانية والمسيرية ، وهم اقوى ثلاث قبائل فى تلك المنطقة ، وانما كانت هناك قبائل اخرى

(١٦٩) سر الختم عثمان : نفس المرجع ، ص ٢٨٨

(170) Mac Michael : op. cit. Vol 1, p. 290 .

(171) Ibid : Vol 1, p. 290.

(172) Ibid : Vol 2, p. 183.

(173) Ibid : Vol 2, p. 92.

ليست فى نفس القوة ، وليست فى نفس العدد والغنى ، وان كانت لها نفس الصفة ، وهى انها من قبائل البقارة غير انها اقل شانا .

من هذه القبائل ، القبيلة المعروفة باسم بنى هلبة ، وهم بقارة ، وموطنهم الاصلى فى منطقة (عد الغنم) جنوب غرب جبل مرة ، وتعيش جماعة منهم شرق هذا الجبل وجنوب جبل حريز فى وسط دارفور ، كما تعيش جماعة ثانية من الابالة فى شرقى هذا الاقليم بين الميمة والرزيقات ، وجماعة ثالثة مستقلة عن بنى هلبة عاشت فى وادى غرب اقليم دارفور(١٧٤) .

ومعنى ذلك ان بلاد بنى هلبة كانت تقع جنوب جبل مرة فى منطقة واسعة تمتد غربا الى ديار المساليط وشرقا الى المنسيرية الرزق وجنوبا الى دار اباديما(١٧٥) . وكانوا ينقسمون الى قسمين رئيسيين ، هما اولاد جابر واولاد جبار(١٧٦) .

وكانت هذه القبيلة ذات قوة وشوكة فى الماضى حتى ان ماكمايكل ذكر انهم كانوا الى وقت قريب اكبر واغنى قبيلة فى ديارهم الاصلية التى تقع فى منطقة (عد الغنم) جنوب جبل مرة(١٧٧) ، ولكنهم فى العصر الحديث تعرضوا لضغط سلاطين الفور الذين كانوا يطالبونهم بدفع اقاوات ضخمة ، فكانوا يدفعونها لهم رغما عنهم ، واذا رفضوا كان السلطان يهاجمهم ويستولى على مواشيهم كما فعل بهم السلطان احمد فضل(١٧٨) .

(١٧٤) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٣٩ هامش (١) ،

Mac Michael : op. cit, Vol 1, 293.

(١٧٥) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٤٢ هامش (٢) ، ص ١٤٥ ،

(176) Mac Michael : op. cit, Vol 1, p. 293.

(177) Ibid : Vol 1, p. 293.

(١٧٨) التونسى : نفس المصدر د ص ١٣٩ هامش (١)

وقد أدى هذا الأمر الى ضعفهم ، حتى قال عنهم التونسي انهم « يلحقون بعرب المسيرية الحمر والرزيقات والفلان ، لانهم اهل بقر مثلهم ، لكنهم يتوغلون فى دارفور ويزرعون »(١٧٩) ، كما قال عنهم ماكمايكل انهم كانوا يلجئون الى الرزيقات(١٨٠) ، ووصفهم بانهم نوع ضعيف من العرب روحيا وجسديا ، وانهم كسالى ولا يتميزون بالصفات الطيبة التى تميز البدو العرب فى كردفان(١٨١) .

ونظرا لضعفهم فقد اشتهروا بالمراوغة والتقلب واتباع الغالب ، وكانوا اذا ضيقت السلطة عليهم رحلوا غربا وتركوا دارفور الى دار سلا (واداي)(١٨٢) .

اما عن نسبهم فانهم يقولون انهم من جهينة ، وقيل انهم من الهوارة بمصر(١٨٣) ، وقال ماكمايكل مرة انهم من بنى عامر عرب الحجاز(١٨٤) ، ومرة ثانية بانهم من جهينة (١٨٥) . ويحتل انهم من بنى هلبا من جذام ، ويمكن ان يستدل على ذلك من ان السودانيين وبعض الباحثين من غير السودانيين يعرفونهم باسم بنى هلبة(١٨٦) وليس بنى حلبة كما سماهم التونسي(١٨٧) .

(١٧٩) المصدر السابق ، ص ١٣٩

(180) Mac Michael : op. cit, Vol 1, p. 290.

(181) Ibid : Vol 1, p. 295.

(١٨٢) نعوم شقير : نفس المصدر ، ج ١ ص ٦٣

(١٨٣) المرجع السابق ، ج ١ ص ٦٣

(184) Mac Michael : op . cit, Vol , 2, 196.

(185) Ibid : Vol 2, p. 92.

(١٨٦) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٦٣ ، عبد الله حسين :

السودان من التاريخ القديم ، ج ١ ص ٢٢ ، عبد المجيد عابدين : دراساته فى تاريخ العروبة ، ص ١٤٨

(١٨٧) تشحيد الأذهان ، ص ١٣٩

وإذا صح أنهم من بنى هلبا ، فان بنى هلبا هؤلاء كانوا فخذًا من جذام ، وكانوا يعيشون فى الحوف الشرقى بمصر (١٨٨) ، وأيضا فى قرية مسجد موسى بالمنيا ، وفى قنا وقوص واسيوط ، وفى دمنهور وبمركز الصف بالجيزة وبقرية النوية حيث يعيش فرع منهم يسمى بنى على (١٨٩) . وقد تفرع من جذام بطون وفخوذ كثيرة ثلاث منها عرفت باسم هلبا ، وهى هلبا سويد ، وهلبا مالك ، وهلبا بعة . ومن هذه الهلباوات الثلاث نزلت فخوذ وعشائر كثيرة (١٩٠) ، وهاجر كثير عنها الى السودان ومنها الى بلاد الكانم والبرنو حيث اشتكى منهم سلطان هذه البلاد (١٩١) .

وطبيعى ان هذه القبائل من هلبا حين هجرتها من مصر الى بلاد الكانم لابد وان تمر بدارفور عن طريق درب الأربعين ، ولذلك فن المرجح ان بعضا منها وكما هى العادة استقر فى دارفور وعرفوا هناك باسم بنى هلبة ، وذلك فى عصر القلقشندى الذى حدثنا عن علاقتهم بسلطين الكانم الذى توفى عام ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م ، وهى الفترة التى شهدت اعظم الهجرات الى بلاد السودان والتى امتدت من القرن الثالث عشر للميلاد الى القرن السادس عشر .

ويؤكد هذا القول ان هناك فى السودان الآن من يعرفون باسم العطوية ، وهم من الكبابيش الذين يعيشون فى كردفان ، وبعضهم يعيش بين الرزيقات البقارة فى دارفور (١٩٢) . والراجح ان هؤلاء العطوية

(١٨٨) المقرئزى : البيان والاعراب ، ص ١٥ ، القلقشندى :

قلائد الجمان ، ص ٥٧

(١٨٩) سر الختم عثمان : نفس المرجع ، ص ٢٨٦

(١٩٠) المقرئزى : البيان والاعراب ، ص ١٢ ، ١٥ - ١٧ ،

القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ٥٧ ، ٥٩

(١٩١) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٨ ص ١١٦ - ١١٨

(١٩٢) القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ٥٨ ، ٦٧ ، ٦٨ ، المقرئزى :

البيان والاعراب ، ص ١٧

هو العطويون الذين ذكرهم القلقشندى والمقریزی ضمن من ذكروا من بطون هلبا سسويد الجذامين ، وهم : العطويون والجابريون والحميديون وغيرهم (١٩٣) ، مما يؤكد أن بنى هلبة من جذام ، وأن أولاد جابر وأولاد جبارة الذين ذكر ماكماكل أنهم قرعين لهلبة ، هم الجابريون الذين سبقت الاشارة اليهم .

والجدير بالذكر أن العطوية الذين اشرنا اليهم ورجحنا أنهم بطن من بطون بنى هلبة ، وأن منهم من يعيش في كردفان ومنهم من يعيش في دارفور بين الرزاقات البقارة في الجنوب ، ينتسب اليهم مجموعة من العرب تعرف باسم المترجم Tergam ، وقد اعتادت هذه المجموعة أن تعيش في الشمال الغربي لدارفور ، وقليل منهم يعيش في دار المساليط في غربي دارفور ، وكذلك في واداي (١٩٤) .

ويقول ماكماكل انه لا يوجد منهم أحد في أي مكان آخر غير هذه الأماكن ، ويذكر أنهم انتقلوا في العصر الحديث الى الشرق من جبل مرة حيث يربون الماشية ويعيشون مع بنى حسين والهوتية والثعالبة العرب والفرير الباقيين كجيران لهم (١٩٥) .

ومن القبائل العربية الأخرى التي هاجرت الى جنوبي دارفور قبيلة التعايشة . وتعيش هذه القبيلة الآن في المنطقة الجنوبية الغربية من دارفور والتي تسمى دار الباديما التي تشمل بالاضافة الى بلاد التعايشة بلاد بنى هلبة والمساليط والفلاتا (الفلان) (١٩٦) . وتمتد المنطقة التي تعيش فيها التعايشة بين قبيلة الحبائية في الشرق ودار (سلا) في الغرب ، وبنى هلبة البقارة في الشمال ، والفرتيت الزنوج في

(١٩٣) القلقشندى : قلائد الجمال ، ص ٥٨ ، المقریزی : البيان

والاعراب ، ص ١٧

(194) Mac Michael : op . cit, Vol 1, p 289.

(195) Ibid : Vol 1, p. 289.

(١٩٦) التونسي : نفس المصدر ، ص ١٤٢ . هامش (٢)

الجنوب(١٩٧) ومركزهم بلدة مندوه قرب كلكلة(١٩٨) ، وينقسمون الى
قلادة والريق(١٩٩) .

واسم التعايشة ليس مأخوذا من الخليفة عبد الله التعايشى كما ظن
ماكمايكل(٢٠٠) . بل ان التعايشى هو الذى ينتسب اليهم ، فهو منهم ،
وقد اتى بألاف من قومه هؤلاء من دارفور الى ام درمان كحرس له ،
ولم يلبثوا ان عادوا الى دارفور بعد هزيمته والقضاء على حركته(٢٠١) .

والصحيح ان التعايشة ينتسبون الى عيش او عائش بن الظرب بن
الحارث بن فهر . وعائش هذا هو جد عوامر بن ساعدة البديري(٢٠٢) ،
وهم والحبانية واولاد حميد وسليم اولاد حماد بن جنيد ، بينما الحوازبة
والحمر Hamr والمسيرية والرزيقات اولاد اخية عطية ، والكل
ينتسبون الى جهينة(٢٠٣) او الى مجموعة جهينة على الاصح .

(ج) القبائل العربية المهاجرة الى شرقى دارفور :

هاجر الى شرقى دارفور قبائل عربية عديدة ، منها البديرية
والمجانين والمعالية وبنو عمران والحمر Hamar .

اما البديرية فقد ذكر استاذنا الدكتور حسن محمود ان منهم شعبة
تعيش على النيل واخرى فى كردفان ، وان انحدارهم صوب المغرب لم يتم

(197) Mac Michael : op. cit, Vol 1, p. 292.

(١٩٨) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٦٢ ،

(199) Mac Michael : op. cit, Vol 1, p. 292.

(200) Ibid : Vol , 1, p. 292.

(٢٠١) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٦٢ ،

(202) Ibid : Vol 2, p. 186.

(٢٠٣) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٦٢ ،

Ibid : Vol 2, pp. 91 - 92.

وكما يبدو الا فى القرن الرابع عشر للميلاد فى الوقت الذى ادال فيه العرب مملكة مقرة النوبية المسيحية (٢٠٤) .

اما ماكمايكل فقد ذكر ان قوائم النسبة التى عثر عليها فى يلاذ السودان تبين ان البديرية تعيش فى شرقى دارفور وبخاصة قرب حدود كردفان ، وهم ينقسمون الى فروع عديدة ، ويذكر انهم اتوا من دراو فى صعيد مصر منذ سبعة اجيال كتجار وصوفية ، ويمكن ان يكونوا على صلة ببنى عمران الاشراف الذين تصفهم قوائم النسبة على انهم من جهينة (٢٠٥) .

وليس هناك اختلاف كبير بين هذين الراين اذا ما علمنا وكما سبق القول ان كردفان كان جزء كبير منها يقع فى منطقة نفوذ دارفور ، بل ان الاسرة الحاكمة فى كردفان ذاتها ما هى الا فرع من الاسرة الحاكمة فى دارفور (٢٠٦) . ويبدو ان قول ماكمايكل اقرب الى الصحة ، اذا ما عرفنا ان الاستاذ نعم شقير حينما تحدث عن بعض الأماكن التى سكنتها القبائل العربية ذكر بلدانا سكنتها البديرية وتقع فى اقليم دارفور مثل ودعة وببلل وكلكلة وكتم وغيرها من مراكز البديرية (٢٠٧) .

ويذكر ماكمايكل ان البديرية نسبة الى بدر بن عمر بن جوية بن لوذان بن ثعلبة بن عدى بن فزارة ، وعلى ذلك فهو يعتبرهم قسما من فزارة (٢٠٨) ، ويذكر انهم يتكونون من الشويحات والرياش والدهماش وأولاد موسى وأولاد حليب (٢٠٩) .

(٢٠٤) الاسلام والثقافة العربية فى افريقية ، ص ٣٠٤
(205) A history of the Arabs in the Sudan, Vol 1, p. 249.

(٢٠٦) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٣٣ هامش (٢) .
(٢٠٧) نعم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ١١٠
(208) Mac . Michael : op. cit, Vol , p. 182.
(209) Ibid : Vol . 2, p. 194

وفزاراة التى ينتمى اليها البديرية هؤلاء وينسب اليها معظم رعاة الابل غربى النيل الابيض كانت تقيم فى نجد ووآدى القري(٢١٠) ، وهاجرت جماعات منها الى مصر فى القرن السابع الميلادى ، ولحق نهم اقاربهم فى القرن الحادى عشر للميلاد مع بنى هلال(٢١١) . وانتشرت فزاراة من مصر الى برقة وطرابلس وافريقية (تونس) (٢١٢) . وفى مصر كانت ديارهم بالصعيد وقلوب والجيزة(٢١٣) ، ولا زالت هناك قري تحمل اسمهم حتى الآن فى مصر(٢١٤) .

وحوالى منتصف القرن الرابع عشر للميلاد رحلت بطون كثيرة من فزاراة الى بلاد النوبة نتيجة لضغط المماليك واضطهادهم لهم ولغيرهم من قبائل العرب ، لاسيما وان بلاد النوبة فى ذلك الحين كانت تفتقر الى حكومة قوية تكبح جماحهم ، ولما وصلوا الى هذه البلاد اندفعت فزاراة مع جهينة جنوبا وغربا تاركين وراءهم بنى كنز وبنى عكرمة وهوارة وغيرهم فى بلاد النوبة(٢١٥) .

واستقرت فزاراة فى كردفان ودارفور واصبحت ضمن قبائل البقارة والكبابيش الذين ينتسبون اليوم الى جهينة . وليست هناك غرابة فى ان تعد فزاراة من قبائل جهينة فى السودان على الرغم من ان اصلها من العدنانية ، وجهينة وكما سبق القول من قضاة من عرب الجنوب ،

(٢١٠) القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ١١٣

(٢١١) مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ، ص ٢٦١

(٢١٢) القلقشندى - قلائد الجمان ، ص ١١٣ ، المقريزى : البيان

والاعراب ، ص ٧١ ، ٧٣

(٢١٣) القلقشندى : نفس المصدر ، ص ١١٣ ، ١١٤ ، المقريزى :

نفس المصدر ، ص ٤٨ - ٤٩

(٢١٤) عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة ، ص ١٥٣

(٢١٥) مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ، ص ١٨٢

ولكن قضاة كانت تفرقت كما تفرق الأزدي (٢١٦) وسكنت إحدى قبائلها وهي جهينة في بلاد الحجاز وكانت أوطانها متاخمة لأوطان فزارة ، فكانت جماعات من الفريقين تنتقل معا وتستقر معا ، وكانت بينهم مصاهرات أدمجت إحدى القبيلتين أو على الأقل بطون من كلا القبيلتين في الأخرى (٢١٧) . ولعل هذا يفسر سر التقارب بين القبيلتين في السودان ، فصارت فزارة إحدى مجموعات جهينة الكبرى الثلاث التي تكون منها البقارة والكبابيش (٢١٨) .

وفي واقع الأمر فإن البقارة والكبابيش الذين عاشوا في دارفور وكردفان ما هم إلا أحلاف تجمعت على فترات وتآلفت من قبائل عديدة ، لعل أهمها جهينة وجذام وهوارة وبنو هلال ، يضاف إليهم أحلاف هؤلاء وأولئك من فزارة وسليم ولخم وغيرهم (٢١٩) .

وقد أطلق النسابون اسم بنى فزارة على مجموعة من القبائل تعيش في الجهات الشرقية والوسطى من كردفان وتتألف من العشائر الآتية : دار حامد ، وبنو جرار ، والزيادية ، والبزعة ، والشنابلة ، والمعاليسا (٢٢٠) . وقد عرفت هذه المجموعة باسم فزارة في القرنين الماضيين ، أما اليوم فقد انتثر عقدها فصارت وحدات منفصلة كل وحدة تسمى باسمها الخاص (٢٢١) .

-
- (٢١٦) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ص ٣٧ ، القلقشندي :
صبح الأعشى ، ج ١ ص ٣١٦
(٢١٧) التونسي : نفس المصدر ، ص ١٣٩ هامش (٣) ، محمد
عوض محمد : السودان الشمالي ، ص ٢٢٠
(٢١٨) مصطفى مسعد : نفس المرجع ، ص ٢٠١
(٢١٩) عبد المجيد عابدين : دراسات في تاريخ العرب ، ص ١٤٧
(٢٢٠) سر الختم عثمان : نفس المرجع ، ص ٢٨٩ ، مصطفى
مسعد : الاسلام والنوبة ، ص ٢٠١
(٢٢١) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣٠٦ ، سر الختم عثمان :
نفس المرجع ، ص ٢٨٩

وربما كان هذا القول هو الذى دفع أستاذنا الدكتور حسن محمود الى أن يقول أنهم يعيشون فى كردفان . والراجح أن بعضا منهم كان فى كردفان والبعض الآخر كان فى الجزء الشرقى من دارفور حسبما ذكر ماكمايكل وحسبما ذكر التونسى الذى قال بالنص حين حديثه عن الأباله فى دارفور : « وأما أهل الابل فمنهم الفزارة وهم : المحاميد والمجانين وبنو عمران وبنو جرار والمسيرية الزرق وغيرهم » (٢٢٢) .

ويلاحظ أن التونسى لم يذكر البديرية ضمن هذم القبائل التى نسبها الى فزارة فى دارفور ، كما لم يذكرها أيضا من تحدثوا عن قبائل فزارة فى كردفان ، ولعل ذلك راجع الى أن البديرية كانوا هم القبيلة الرئيسية التى تفرعت عنها هذه القبائل ، فاشتهر اسم الفروع وأهل الأصل ، ولذلك لم يرد ذكرها . وفى نفس الوقت لم يرد ذكر لهذه القبائل التى تفرعت عن فزارة أو البديرية فى مصر ، مما يدل على أن البديرية كان يقصد بهم فزارة وخاصة بعد أن هاجروا الى السودان . والراجح أن البديرية تنسب الى بطن من فزارة يعرف ببنى بدر ، كانوا يعيشون فى نواحى القيلوبية بمصر ، واليهم ينتسب القلقشندى ، ثم رحلوا الى كردفان ودارفور (٢٢٣) .

ومن قبائل فزارة الأخرى التى هاجرت الى دارفور وعاشت فيها قبيلة المجانين . وقد ذكرهم نعوم شقير ضمن القبائل التى عاشت فى كردفان وقال أنهم عمارة من دار حامد المجاورين للكياييش والذين كانوا فى عداء معهم ، وأهم مراكزهم بارة (٢٢٤) ، وتابعه على هذا القول محققو كتاب تشحيذ الأذهان للتونسى ، فقالوا أنهم شعبة من دار حامد

(٢٢٢) تشحيذ الأذهان ، ص ١٣٩ - ١٤٠

(٢٢٣) القلقشندى - قلائد الجمان ، ص ١٤٤ ، المقريزى : البيان

والاعراب ، ص ٤٤ - ٤٩ هامش (٤٨) .

(٢٢٤) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٦١

التي تنتسب الى فزارة ، وان موطن دار حامد فى وسط السودان(٢٢٥) مستندين فى ذلك على ماكمايكل الذى قال فى موضع آخر انهم نازلون من عرب جهينة(٢٢٦) .

على ان التونسى الذى عاش قبل نعوم شقير وقبل ماكمايكل بقرن على الأقل وزار دارفور كما قلنا فى بداية القرن التاسع عشر واستقر فيها سبع سنوات ، ذكر ان المجانيين قبيلة عظيمة ، اهلها أصحاب ابل(٢٢٧) ، وانهم من فزارة(٢٢٨) ، وانهم كانوا يدفعون ضريبة لسلطان دارفور يأخذها من اموالهم كل سنة(٢٢٩) ، وكان يحصل منهم « من الاموال والنوق والجمال ما لا يوصف »(٢٣٠) وهذا القول يدل اولا على ثراء المجانيين وغناهم ، كما يدل ثانيا على انهم كانوا داخلين فى طاعته ، وانهم ضمن رعاياه ، وانهم كانوا ضمن قبائل دارفور ويعيشون فيها ، وعلى حدودها الشرقية ، وربما كان موقع بلادهم وتطرفه ناحية الشرق من العوامل التى دفعت بفريق منهم كى يعيش فى غرى كردفان ، بالقرب من دار حامد التى تنتسب هى الأخرى الى فزارة ، مما جعل بعض الباحثين يشيرون الى انهم كانوا يعيشون فى كردفان .

على ان التونسى ذكر لنا نصا آخر يؤيد ما قلناه ، فعند حديثه عن اعراب البادية الذين كانوا يهتمون بصيد الزراف والنعام قال انهم « المحاميد والزبدة والعريقات بدار الوادى ، والمجانين والزيادية وبنى جرار والعريقات بدار الفور »(٢٣١) . وهو قول يقطع الشك باليقين ويدل على ان المجانيين كانوا من قبائل دارفور دون غيرها من اقاليم السودان ، وعلى

(٢٢٥) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٠٠ هامش (٢) .
(226) Mac Michael : op. cit, Vol 2, p. 195.

(٢٢٧) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٠٠

(٢٢٨) المصدر السابق ، ص ١٣٩

(٢٢٩) المصدر السابق ، ص ١٤٠

(٢٣٠) المصدر السابق ، ص ١٠٠

(٢٣١) تشحيذ الأذهان ، ص ٢٩٢

انهم كانوا فرسانا ومن امهر الفرسان . ولذلك لا غرابة ان قال عنهم قبيلة عظيمة ، وانهم كانوا على درجة كبيرة من الغنى والثراء لما كانوا يمتازون به من النوق والجمال والأموال بما لا يوصف (٢٣٢) .

وايضا من القبائل العربية التي هاجرت الى دارفور وسكنت الجزء الشرقى منها قبيلة المعالية . ولم يرد ذكر هذه القبيلة عند التونسي ، وقد ذكرها نعيم شقير ضمن قبائل الأباله الذين يعيشون فى دارفور ، وقال ان أكثر المعالية حضر ، وأن من مراكزهم كركود التي تقع شمالى الطويشة ، وينسب اليهم قوز المعالية ، وأن حلفاءهم من الرزيقات الذين يعيشون فى الجزء الجنوبى الشرقى من دارفور ، وخصوصهم الحمر Hamar (٢٣٣) الذين ذكر انهم يعيشون فى غربى كردفان فى ابى حراز والنهود (٢٣٤) .

ويبدو ان هذه القبيلة كان لها نفوذ كبير فى الجزء الشرقى من دارفور حتى انها كانت فى بعض الأحيان تهدد قوافل التجارة القادمة من مصر الى دارفور عبر هذه الجهة . وقد حدث أن قامت بهذا العمل واستولت على أموال قافلة قادمة من مصر الى دارفور وقتلوا بعض رجالها واخذوا أموالهم من سكر وأقمشة وغير ذلك ، ولم يستطع سلطان دارفور أن يفعل معهم شيئا ، ربما بسبب قوتهم وشدة شكيتهم وثباتهم فى الحروب وصبرهم على القتال ، ولذلك سلط عليهم خصومهم من عرب الحمر وأباح لهم دماء المعالية وأموالهم مستغلا عداوة قديمة كانت بين الفريقين (٢٣٥) .

(٢٣٢) المصدر السابق ، ص ١٠٠

(٢٣٣) تاريخ السودان القديم والحديث ، ج ١ ص ٦٢

(٢٣٤) المرجع السابق ، ج ١ ص ٦٢

(٢٣٥) التونسي : نفس المصدر ، ص ٣٩٤ - ٣٩٥ ، مصطفى

مسعد : سلطنة دارفور ، ص ٢٤٠

أما عن القبيلة التي ينتسب إليها المعالية فلم تذكر المصادر أو المراجع شيئاً عن ذلك ، وإنما هناك من أشار إلى أنهم قبيلة ضمن المجموعة الثانية من المجموعات الثلاث التي انقسمت إليها جبهة في السودان والتي يطلق عليها النسابون اسم فزارة (٢٣٦) . ومعظم هذه المجموعة التي تحمل اسم فزارة من العرب الأباله الذين يعملون في رعى الأبله . وعلى ذلك فإن المعالية أباله وليسوا من البقارة . وقد ذكرهم الأستاذ عبد الله حسين فعلا ضمن أشهر قبائل الأباله العرب الذين يعيشون في دارفور (٢٣٧) .

ومع أن المعالية وكما يتضح من نشاطهم سكنوا المنطقة الوسطى من الجزء الشرقى من دارفور ، إلا أن الأستاذ نعوم شقير قد ذكرهم ضمن القبائل التي عاشت في جنوبى دارفور (٢٣٨) ، كما ذكرهم الأستاذ الشاطر بصيلى عبد الجليل أيضا وقال أن مجموعات من المعالية تعيش في جنوب دارفور (٢٣٩) . والقول الأخير يدل على أن هناك مجموعات أخرى من المعالية سكنوا مناطق أخرى غير الجنوب ، منهم المعالية الذين تحدثنا عنهم وكانوا يقطنون المناطق الشرقية والذين تصدوا أحيانا للقوافل القادمة إلى دارفور من هذه الجهة ، وسلط عليهم سلطان دارفور عرب الحمر .

وعرب الحمر Hamar هؤلاء كانوا أيضا من القبائل العربية التي هاجرت إلى دارفور وأقامت في الجزء الشرقى منها . أما أصل هذه القبيلة فيقول ماكمايكل أنهم ينتمون إلى الأحمر بن معاوية بن سليم أبو شعبل التميمى ، فهم من بنى تميم (٢٤٠) . ثم يقول في موضع آخر

(٢٣٦) مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ، ص ٢٠١

(٢٣٧) السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية ،

ج ١ ص ٢١

(٢٣٨) التونسي : نفس المصدر ، ص ٣٧١

(٢٣٩) تاريخ وحضارات السودان الشرقى الأوسط ، ص ٣٧٤

(240) Mac Michael : op. cit, Vol 2, p. 185.

ان أوراق النسبة لا تذكر الكثير عن الحمر ، فاحداها تقول انهم عرع
من بنى تميم ، واخرى تذكر انهم خليط من بنى أمية وبنى العباس ،
والعنع والأشراف والفور ، واثنان تقولان انهم ينتمون الى مجموعة
جهنية (٢٤١) .

وقد ذكرهم بعض الباحثين فعلا على انهم من المجموعة الثالثة
من مجموعات جهنية الرئيسية ، وقال ان هذه المجموعة منتشرة في
كردفان ودارفور (٢٤٢) . والقول الشائع بين جزء من الحمر هو انهم
حميريون أتوا من اليمن (٢٤٣) ، وليس هناك تناقض كبير بين كونهم
من جهنية أو من حمير ، لأن جهنية من قضاة (٢٤٤) ، وقضاة من
حمير (٢٤٥) .

وسواء كانوا من جهنية أم من حمير أم من غيرهم من قبائل العرب ،
فانهم يقولون انهم أتوا من اليمن وهاجروا الى السودان ، في عصر
الحجاج بن يوسف الثقفي في النصف الثاني من القرن السابع للميلاد ، بعد
أن عبروا البحر الأحمر الى هذه البلاد ، ويقال انهم استقروا أولا
حول الناقة (كسلا) ، ثم تحركوا الى النيل الأزرق ، وبعد فترة
الى دارفور حيث اتخذوا هناك سكنا دائما لهم (٢٤٦) .

وقد ظلت المعلومات عن تاريخ هؤلاء الحمر في دارفور ضئيلة
حتى بداية القرن الماضي عندما تحولوا الى قوة كبيرة تحت قيادة منعم الذي
قاد مجموعة منهم تسمى العساكرة او فرع العساكرة . وبمجرد أن صار
الحمر اقرباء انقسموا الى قسمين كبيرين ، أولهما هو قسم العساكرة
(الجنود) الذي أشرنا اليه ، والقسم الثاني هو الدكاكيم . وقد تحرك

(241) Ibid : Vol 1, p. 319 & Vol 2, p. 91.

(٢٤٢) مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ، ص ٢٠١

(243) Mac Michael : op. cit, Vol 1, p. 319.

(٢٤٤) القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ٤٣

(٢٤٥) المصدر السابق ، ص ٤١

(246) Mac Michael : op. cit, Vol 1, p. 319.

معظم افراد هذين القسمين من شرقى دارفور واتجها شرقا نتيجة للمعارك التى نشبت بينهم وبين قبائل العرب الأخرى التى تقيم فى شرقى دارفور ، ولعدم كفاية اراضيهم فى تلك المنطقة (٢٤٧) .

اما من بقى منهم فى دار فور فقد استقروا حول ام شنقة وفى الاقاليم المعروفة الآن باسم دم جمده Dam Gamadh وزرناخ zernakh وغيرها من الأماكن ، وظلوا مستقلين تحت حكم دارفور (٢٤٨) .

وقد استمرت هجرات الحمر شرقا الى كردفان واشتبكوا مع الكبابيش فى حروب طاحنة ، واصبح الفريقان فى عداة مستحكم نتيجة للمصراع على المياه والعشب والكلال لازم لرعى ابلهم واغنمهم . وقد ازدادت قوة الحمر بسرعة لدرجة انه فى عام ١٨٧٦ اعتبرهم انسور Ensor اغنى البدو فى هذا الجزء من افريقيا ، وانهم فاقوا الكبابيش فى العدد والثروة ، وهم الآن يشغلون مناطق الغابات والزراعة شمال الاضاية وأبو زياد وأبو حراز وغرب ابر سنون ومزروب التى تقع شمالى دارفور . ولم يبق منهم أحد فى دارفور عدا بعضهم الذى أقام فى مستعمرة صغيرة تسمى سحانيين ، نسبة الى اولاد سحنون الذين يعيشون مع الزغاوة فى الشمال حول مكان يسمى حشابة ، ويقال ان اصلهم من الحمر (٢٤٩) . ونظرا لهجرة معظم الحمر الى كردفان فان معظم النسابين والباحثين لم يذكرهم ضمن قبائل دارفور ، وانما ذكرهم ضمن قبائل كردفان ، مثال ذلك نعوم شقير الذى قال انهم يسكنون غربى كردفان ومن مراكزهم أبو حراز والنهود ، وانه يكثر فى بلادهم شجر التبلىدى أو شجر الحبحاب المجوف الذى كانوا يستخدمونه فى خزن ماء المطر بعد ان يفرغوا ما فى داخله واستعماله كمخزن للمياه ، وهم يبيعونه للمسافرين بين كردفان ودارفور (٢٥٠) .

(247) Ibid : Vol 1, pp. . 319 - 320.

(248) Ibid : Vol , 1, p. 320.

(249) Ibid : Vol 1, pp. 320 - 321.

(٢٥٠) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٦١ ،

Mac Michael : op . cit , Vol 1, pp, 319 - 320.

ونظرا لقربهم من حدود دارفور ، اذ أنهم كما اشرنا كانوا يعيشون أساسا فى غربى كردفان وشرقى دار فور ، فان سلاطين الفور استعانوا بهم فى انقضاء على بعض القبائل التى تمردت عليهم فى هذه المنطقة . ومن هذه القبائل قبيلة المعالية التى أباح سلاطين الفور دماءها وأموالها للحمر بسبب اعتدائها على قافلة كانت قادمة من مصر الى دارفور كما سبق القول (٢٥١) .

وقد تمكن الحمر فعلا من انزال هزيمة قاصمة بالمعالية فى واقعة تعرف بواقعة القرطاس قتلوا فيها المعالية شر قتلة . وقد قيل أن هذه الواقعة سميت بواقعة القرطاس لأن الصحارى امتلأت بقراطيس السكر التى كان المعالية قد نهبوها من تجار القافلة المذكورة (٢٥٢) .

ومن القبائل العربية الأخرى التى توجد فى شرقى دارفور قبيلة بنى عمران . وهذه القبيلة لم يذكرها نعوم شقير فى كتابه الهام عن تاريخ السودان ولكن التونسى ذكرها وأخبرنا بأنها من أهل الابل ومن فزارة . وأنهم كانوا ضمن القبائل الأخرى التى كانت تدفع الضريبة لسلطان دارفور (٢٥٣) ، كما أخبرنا بأنهم وربما بسبب جوارهم للميمية (٢٥٤) كانوا معهم فى نزاع وقتال (٢٥٥) .

(٢٥١) انظر ، ص ١٥٩

(٢٥٢) مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، ص ٢٤٠ ، التونسى :

نفس المصدر ، ص ٣٩٤ - ٣٩٥

(٢٥٣) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٣٩ - ١٤٠

(٢٥٤) الميمة قبيلة عظيمة من القبائل غير العربية فى دار فور

وكانت هذه القبيلة تسكن شرقى جديد كريبو ولها شيخ كان يسمى سلطانا تجوزا ، وله اقطاع يتعيش منه . وقد تقاربت عاداتها وتقاليدها مع عادات العرب بسبب مجاورتها لهم ، وملك هذه القبيلة أو سلطانها كان من المسلمين . ويرى بعض الباحثين أنها هاجرت أساسا من غربى تمبكت =

ويذكر بعض الباحثين أن أسلاف بنى عمران قدموا من دراو بصعيد مصر تجارا منذ سبعة أجيال مضت ، وانتشر بعضهم فى وسط كردفان وسط قبيلة البديرية وغيرها على حين استقر البعض الآخر منهم فى شرقى دارفور عند حدود كردفان (٢٥٦) حيث تسكن بديرية دارفور الذين من المرجح أن بنى عمران سكنوا بينهم ، نظرا لأن البديرية وكما اشرنا ينتسبون الى بنى بدر من فزارة (٢٥٧) ، وهى نفس القبيلة التى ينتمى اليها أيضا بنو عمران هؤلاء .

(د) القبائل العربية المهاجرة الى غربى دارفور :

وإذا كانت المناطق الشمالية والجنوبية والشرقية من دارفور قد عجت بالقبائل العربية التى هاجرت اليها وسكنتها واتخذتها موطنها وسكننا منذ ما قبل القرن الثالث عشر للميلاد ، وفيما تلاه من قرون ، فان الجزء الغربى من دارفور لم يحظ بعدد من القبائل العربية بنفس العدد والكثافة التى حظيت بها المناطق المشار اليها . ولعل السبب فى ذلك يعود الى أن هذه المناطق كانت أقرب الى المنافذ التى تفتحت بالمهاجرين الى دارفور ، مثل مصر وليبيا وتونس فى الشمال ، وبلاد النوبة وعلوة فى الشرق .

أما الغرب اقصد البلدان التى تقع غرب دارفور فلم تكن موطنها أساسيا من مواطنى الهجرة اليها ، لأن غالبية سكانها ليسوا من العرب وإنما هم من الكانميين والبرنويين وغيرهم من عناصر السود وشبهه = ببلاد مالى ، وأنها قبيلة كبيرة فى وادى ، وأن شعبة منها انتقلت ناحية الشرق الى دارفور .

انظر ، التونسى : تشيذ الأذهان ، ص ١٣٧ - ١٣٨ هامش ٤

ص ١٤٤ ، ١٥٢ ، ١٦٥ ، ٣٧٠

(٢٥٥) التونسى : نفس المصدر ، ص ٢٨٢ - ٢٨٣

(٢٥٦) المصدر السابق ، ص ١٤٠ هامش (١) .

(٢٥٧) انظر ، ص ١٥٧

السود الذين كانوا يعيشون فى حوض بحيرة تشاد وما حزلها .
ولذلك فان بلاد الكانم والبرنو رغم ما كان يوجد فيها من بعض العرب ،
الا ان هؤلاء العرب كانوا اقل عددا وثابنا بكثير من عرب البلدان الأخرى
المحيطة بدارفور او المتصلة بها ، مما اثر على الهجرة الى غربى دارفور ،
ولذلك فليس أمامنا من القبائل التى هاجرت الى غربى دارفور وسكنته
الا قبائل قليلة العيدد وصغيرة الشأن .

من هذه القبائل بنو حسين . وينقسم بنو حسين بين اقليم واداي
الذى يقع ضمن بلاد حوض بحيرة تشاد ، وبين دارفور . ويذكر ماكمايكل
انهم قبيلة صغيرة ، وهؤلاء الذين يعيشون معهم فى دارفور يسكنون
المناطق التى تقع فى الجنوب الغربى من الفاشر بين جبل كوسا *Kussa*
وجبل مرة *Marra* . وفى الصيف الجاف ينزلون الى الجنوب من هذه
المناطق طلبا للماء والمرعى ، وهم ينقسمون فى دارفور الى القسمين
كبيرة (٢٥٨) .

واذا كانت المناطق السابقة والتى ذكرها ماكمايكل على انها بلدان
بنى حسين لا تقع فى غربى دارفور ، بل تقع فى وسطها ، فان غيره من
الباحثين ذكروا ان بلاد بنى حسين تقع فى غربى هذا الاقليم . والمثال على
ذلك هو المؤرخ السودانى الشاطر بصيلى عبد الجليل (٢٥٩) ، وكذلك
الاستاذ نعوم شقير الذى ذكر انهم بقارة ومجاورون للمساليط (٢٦٠)
الذين تقع بلادهم غربى دارفور (٢٦١) ، كما ذكرهم الاستاذ عبد الله
حسين فى كتابه ضمن قبائل البقارة فى دارفور ولكنه لم يحدد موقع
بلادهم (٢٦٢) .

(258) *A history of the Arabs in the sudan, Vol 1, p, 296.*

(٢٥٩) تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ٣٧٤

(٢٦٠) تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ، ج١ ص ٦١

(٢٦١) انظر الخريطة رقم ١ ، ٢

(٢٦٢) عبد الله حسين : السودان القديم والجديد ، ص ٤٢

السودان من التاريخ القديم ، ج١ ص ٢٠٢

وهناك أيضا قبيلة بنى خزام الذين يسكنون فى غربى دارفور بجوار المساليط ، ويقولون عن انفسهم انهم على صلة قرابة ببنى حسين (٢٦٣) الذين سبق ان تحدثنا عنهم منذ قليل . والواقع ان بنى خزام يعيشون فى وادى وفى دار سلا التى تعرف ايضا باسم دار صليح (٢٦٤) . ولما كان موقع دار سلا متطرف الى الغرب اكثر ، فان اهل وادى كانوا يحكومتها رغم انها اصلا جزء من دارفور (٢٦٥) .

وإذا كان معظم بنى خزام يعيشون فى اقليم وادى ، فان القليل منهم هو الذى يعيش فى دارفور (٢٦٦) ، والآخر فى الامر ان ماكمايكل يقول انهم يعيشون بين الرزيقات (٢٦٧) . ولا يمكن ان يكون الامر على هذا النحو الا اذا كانت بلاد الرزيقات قد امتدت غربا الى موقع بلاد بنى خزام فى غربى دارفور ، او ان بلاد بنى خزام امتدت شرقا الى بلاد الرزيقات .

ومهما كان الامر فان قليلهم عاش فى دارفور وانقسموا هناك الى بحرية وعلايق . ويتكون البحرية من حمودة وجماعة اخرى ، ويتكون العلايق من عبرات واشداد وسيف (٢٦٨) ، وهم يقولون انهم من سلالة بنى مخروم شبه الجزيرة العربية (٢٦٩) ، وان كان ماكمايكل يشكك فى هذه النسبة ويقول انها ادعاء (٢٧٠) .

(٢٦٣) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٦٣ ،

Mac Michael : op. cit, Vol 1, p. 295.

(٢٦٤) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٤٥ هامش (١) ،

Mac Michael : op. cit, Vol 1, p. 295.

(٢٦٥) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٤٥

(266) Mac Michael : op. cit, Vol 1, p. 295.

(267) Ibid : Vol 1, p. 295.

(268) Ibid : Vol 1, p. 295.

(269) Ibid : Vol 1, p. 295.

(270) Ibid : Vol 1, p. 295.

وينو مخزوم كما هو معروف من قريش (٢٧١) ، وقد رحل بعضهم الى مصر ضمن من رحل من العرب ، وكان بعضهم موجودين فيها ويحملون نفس الاسم عندما قدم اليها اسد الدين شيركوه (٢٧٢) قبيل القضاء على الدولة الفاطمية عام ٥٦٧هـ / ١١٧١م . وكانوا يسكنون الصعيد ضمن القرشيين الأخضرين من بنى طلحة ، وبنى الزبير ، وبنى شيبية ، وبنى زهرة ، وبنى سهم (٢٧٣) .

وعندما وقعت مصر فى قبضة الأتراك منذ أحمد بن طولون ، تكونت ضدهم أحلاف من قبائل العرب كما سبق القول ، وكان ضمن هذه الأحلاف أحلاف قرشية اتخذت أقصى الصعيد مسرحا لثوراتهم ضد الأتراك الذين اشتدوا فى مطاردتهم لأنهم كانوا ينظرون اليهم نظرة ملؤها الشك والريبة ، اعتقادا منهم بأن للقرشيين اطماعا سياسية ، ولأن العرب يعرفون فضلهم قبل الاسلام وبعده ، ويسعون الى نيل شرف الانتماء اليهم والوقوف الى جانبهم (٢٧٤) ، بل ان كثيرا من الأسر الحاكمة فى بلاد السودان على اتساعها كانت كل منها تنسب الى بيت من بيوت قريش كما هو معروف فى تاريخ هذه البلدان .

ولذلك أمعن سلاطين المماليك فى مصر فى مطاردتهم وقضوا على ثوراتهم ، مما أجبرهم على الاتجاه جنوبا كما فعل العرب الآخرون ، واستقروا فى بلاد النوبة ، وكذلك فى كردفان ودارفور . وقد سبق ان تحدثنا عن بعض الأشراف الذين استقروا فى دارفور فى بداية حديثنا عن قبائل العرب التى هاجرت الى هذا الاقليم ، وكان من هؤلاء الأشراف الحسنية وبنو بكر الذين استقروا فى غربى دارفور (٢٧٥) .

(٢٧١) المقرئزى : البيان والاعراب ، ص ٤٢

(٢٧٢) المصدر السابق ، ص ٢٢ - ٢٣

(٢٧٣) المصدر السابق ، ص ٤٠

(٢٧٤) عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة ،

ص ١١٩ - ١٢٠

(٢٧٥) أنظر ، ص ١٢١ ، ١٢٢

وقد شجع هذا الأمر قبائل قرشية أخرى على الهجرة الى هذا الاقليم بعيدا عن مطاردة المماليك ، وكان منهم بنو مخزوم الذين نتحدث عنهم والذين أمعنوا فى النزول جنوبا وغربا حتى وصلوا الى غربى دارفور واقاموا هناك وذكرهم نعوم شقير وقال انهم بقارة «جياورون» للمسايط.(٢٧٦) .

ومن المحتمل ايضا أن يكون يكون قد تسرب الى دارفور بعض من بنى مخزوم الذين كانوا قد هاجروا من شبه الجزيرة العربية الى بلاد الحبشة واستقروا فى اقليم شوا الذى يقع فى جنوبى هضبة الحبشة واقاموا فيه اقدم دولة اسلامية فى تلك المنطقة تعرف بسلطنة شوا الاسلامية ، وذلك فى عام ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م واستمرت حتى تم القضاء عليها فى عام ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م على يد سلطنة اسلامية أخرى تعرف باسم سلطنة أوفات الاسلامية والتي كانت تقع فى المناطق التى تقع فى شرق شوا وتمتد حتى ساحل البحر الاحمر وخليج بربرة (٢٧٧) .

ومن القبائل العربية الأخرى التى سكنت غربى دارفور وكانت لها نفس صفة بنى حسين ، وبنى خزام المنتسبين الى بنى مخزوم ، من حيث كونهما اقلية وبقارة ، عرب السلامات . والحقيقة أن عرب السلامات لم يرد لهم ذكر عند التونسي ولا عند نعوم شقير ، وقد ذكرهم ماكماكل على أنهم من أكبر القبائل فى افريقيا ، وانهم يسكنون بلدانا عديدة هى هى بورنو ، وتشاد ، وباجرمى ، وجنوبى واداي ، وكانوا فى وقت من الأوقات كثيرين فى دارفور ولكنهم ازيدوا غربا ناحية تشاد ، وبقي القليل منهم فى دارفور وصاروا يعرفون هناك بالفرع الشرقى(٢٧٨) .

(٢٧٦) تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ج١ ص ٦٢ ، ١٣

(٢٧٧) زاهر رياض : الاسلام فى اثيوبيا ، دار المعرفة ، القاهرة ،

الطبعة الأولى سنة ١٩٦٤ ، ص ٧٢ ، ٧٣

(278) Mac Michael : op. cit, Vol 1, p. 296.

أما الفرع الغربى الذى اتجه غربا فقد أصبحوا أكثر سوادا من القسم الشرقى ، وصاروا يضمون بصفه عامة الى العرب الموجودين فى بلاد الكانم (تشاد) والذين يعرفون هناك باسم الشوا ربما نسبة الى حرفتهم التى تقوم على رعى الحيوانات ومنها الشاه من الضبان . ولذلك فان جميع السلالات بفرعهم بقارة ويمتلكون عددا من الأغنام(٢٧٩) .

وفيما يتعلق بأصلهم فان قوائم النسبة تقول بانهم نازلون من قضاة(٢٨٠) . وهذا يذكرنا بان هناك قبيلة فى مصر كانت موجودة فى عصر القلقشندى تعرف بالسلطات ، وهم من بنى مهدى من بنى طريف . وبنو طريف هؤلاء بطن من جذام(٢٨١) التى تنتمى الى كهلان(٢٨٢) . وقد سبق أن بينا أن بعضا من قبائل العرب فى دارفور تدعى النسبة الى جذام(٢٨٣) .

ولذلك فمن المحتمل أن السلطات هم من السلطات ، وان كان للسلطات من جذام وليسوا من قضاة . كما أنه من المحتمل أيضا ان يكونوا من سلامان . وسلامان هذا هو والد ثعلبة التى هى بطن من طيبىء ، وكانت تعيش فى مصر أيضا فى عصر القلقشندى(٢٨٤) ، ورحل بعضها الى دارفور وانتمى اليها بعض قبائلها كما سبق القول(٢٨٥) . وهكذا ترى أن القبائل العربية التى هاجرت الى غربى دارفور

(279) Ibid : 1, p. 296.

(279) Ibid : 1, p. 296.

(280) Ibid : Vol 2, p. 198.

(٢٨١) القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ٦٦

(٢٨٢) ابن حزم : نفس المصدر ، ص ٤٢٠

(٢٨٣) انظر ، ص ١٣٧

(٢٨٤) القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ٨٥

(٢٨٥) انظر ، ص ١٤٣

قنيلة ومعدودة ، بعكس ما رأينا من القبائل التي هاجرت واستقرت في الشمال والجنوب والشرق . واذا كانت هذه هي القبائل العربية التي هاجرت الى هذه الأجزاء الأربعة من دارفور ، فيأتري ما هي القبائل العربية التي هاجرت وسكنت وسط هذا الاقليم ؟

(ه) القبائل العربية التي هاجرت الى وسط دارفور :

لعل أشهر القبائل العربية التي سكنت ذلك الجزء من اقليم دارفور : عرب البشير ، والكروبات ، والخوابير ، وبنو فضل ، وهوارة التي يشك في اصل عربيتها ، واخيرا الهاللية .

أما عرب البشير فقد ذكرهم نعوم شقير وغيره ضمن قبائل البقارة في دارفور ، وقال انهم قبيلة جسيمة ومركزهم عريدة (٢٨٦) ، ولم يرد لهم ذكر عند التونسي ، بينما ذكرهم ماكهاكل على انهم قبيلة صغيرة نصف بدوية تعيش مباشرة جنوب الفاشر العاصمة الحالية لدارفور ، وتنتمي الى مجموعة حمد Haymad ، وينقسمون الى خمسة اقسام او خمسة فروع ، ويوجد فرع بين الكبابيش يحمل اسم (بشير) ويعيش في شمال كردفان ، ومن المحتمل انهم فرع من قبيلة بشير دارفور (٢٨٧) . ومن القبائل التي انتشرت أيضا في وسط دارفور ، قبيلة الكروبات . ولما كان الكروبات يعيشون أصلا في شمالي الاقليم ، فقد سبق الحديث عنهم ضمن القبائل العربية التي سكنت الشمال . وغير الكروبات فقد عاش في وسط دارفور عرب الخوابير وبنو فضل . وقد أشار نعوم شقير وغيره الى الخوابير ضمن قبائل البقارة في دارفور وقال ان مركزهم

(٢٨٦) نعوم شقير : تاريخ السودان القديم والحديث جغرافيته ، ج ١ ص ٦٣ ، عبد الله حسين : السودان القديم والجديد ، ص ٤٢ ، السودان من التاريخ القديم ، ج ١ ص ٢٢

ردعة التي تقع شرقي جبل حريز وجنوب الفاشر ، وهم يريون الابل والبقر ، وهم حضر وبادية (٢٨٨) .

اما بنو فضل فقد ذكرهم الباحثون ضمن قبائل البقارة في دارفور وقاوا انهم اهل زراعة وينتسبون للزيادة التي تنسب نفسها الى ابي زيد ابلالى ، وانهم يعيشون في مراكز معينة في وسط دارفور ، منها (ساني كرو) التي تقع على مسيرة يزمين الى الجنوب الشرقي من مدينة الفاشر (٢٨٩) .

نأتي بعد ذلك الى الهوارة أو الهوأوير ، وقد ذكر الباحثون انهم يعيشون في دارفور وكردفان ، غير انهم اكثر عددا في دارفور ، ويعيشون حاليا بالقرب من العاصمة الفاشر ، ويشغل غالبتهم بالتجارة . اما الابلالة منهم فقد حاربوا في ازمة سابقة البدايات والقرعان وسكان جبل مدوب ، وهي بلاد تقع في شمال دارفور . وقد تمكن ابلالة الهوارة من هزيمة هذه القبائل وحلوا محلهم بعيدا الى الشمال في وادي الملك في شهور الشتاء الباردة حيث يراعون مع الكبابيش الذين يسلمونهم (٢٩٠) .

يعنى ذلك ان ابلالة الهوارة ترحل الى الشمال لرعى ابلها في شهور الشتاء ، وفي الصيف تعود الى الجنوب حيث الماء الوفير والمراعي الغزير ، وكان بعضها يتجه ناحية الشرق حيث وصلوا الى صحراء

(٢٨٨) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٦٣ ، عبد الله حسين : السودان القديم والجديد ، ص ٤٢ ، السودان من التاريخ القديم ، ج ١ ص ٢٢

(٢٨٩) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٦٢ ، عبد الله حسين ، السودان من التاريخ القديم ، ج ١ ص ٢٢ ، السودان القديم والجديد ، ص ٤٢

بيوضة ، فقد ذكروا على أنهم من أشهر قبائل العرب في هذه الصحراء-
أثنى بسكنون فيها جزءا يسمى صحراء سبيرة (٢٩١) .

ونظرا لأن هوارة مشكوك في أصلها العربي فلم يذكرها التونسي
ضمن القبائل العربية التي سكنت دارفور ، وإن كان الهواوير يقولون
بأن جدودهم أتوا من صعيد مصر (٢٩٢) ، وأنهم عرب ، ويقول الادريسي
أنهم عرب من حمير نزحوا الى افريقية والمغرب وتسموا باسم هوارة لكلمة
تقولها زعيمهم فسمى بها هوارا وتبربر أبنائه بالمجاورة للبربر ، ويشير
المقريزي الى هذا الموضوع بقوله أن هوارة قوم من عرب اليمن ، جهلوا
انسابهم ، أو أنهم قوم من بربر شمال أفريقية ويرجح أنهم من هؤلاء
البربر (٢٩٣) . غير أن المؤرخ ابن تغرى بردى المعاصر للمقريزي يصف
أمير هوارة ببلاد الصعيد بقوله أنه « أمير عرب هوارة » (٢٩٤) مما يدل
على أن هوارة كانوا أصلا من العرب ، فهم أما عرب أصلاء ، وهذا هو
الأرجح ، أو بربر استعربوا لطول اقامتهم بين العرب في مصر وشمال
افريقيا .

ومهما كان الأمر في أصلهم فقد قدمت منهم طوائف وجماعات الى
مصر في عصر الفاطميين الذين يعد عصرهم مرحلة هامة في تاريخ
الهجرات المغربية الى مصر ، وسكنوا المنطقة التي تقع بين الاسكندرية
وبرقة ، ثم انتقلوا الى صعيد مصر حوالى منتصف القرن الثامن للهجرة
الرابع عشر للميلاد ، وخاصة بعد انقضاء الأحداث العنيفة التي وقعت
بين الماليك وعرب الصعيد ، وانزلهم السلطان الظاهر برقوق في
منطقة الصعيد الأعلى واقطع شيخهم ناحية جرجا وما حولها ، فاشتد

(٢٩١) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٦٠ - ٦١

(٢٩٢) المرجع السابق ، ج ١ ص ٦١ ،

Mac Michael : op. cit , Vol 1, p. 336.

(٢٩٣) نزهة المشتاق ، ج ١ ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، البيان والاعراب ،

ص ٥٦ - ٥٨

(٢٩٤) النجوم الزاهرة ، ج ١٦ ، ٢٠٣

نفوذهم وعلا صوتهم حتى صارت امرة عربان الصعيد كلهم لاحد رؤسا-
هواره فى تلك الفترة من نهاية القرن الثامن للهجرة (٢٩٥) ، واتجهت
جموع البدو منهم الى الجنوب حيث ساجموا أسوان فى المحرم من عام
٨١٥ هـ / ١٤١٢ م ، وحاربوا بنى كرز الذين كانوا يسيطرون على أسوان
وما يليها من بلاد النوبة ، وهزموهم وخربوا مدينة أسوان واسترقوا
من فيها (٢٩٦) ، ثم زحفت جموع هواره الى جنوب الوادى ودخلت
سودان وادى النيل (٢٩٧) ، حيث استقروا فى دارفور وفى غيرها من
انحاء هذه البلاد كما سبق القول .

وفى نهاية الحديث عن القبائل العربية التى هاجرت الى دارفور
وسكنها واتخذتها موطنها نذكر عرب الهلالية او بنى هلال . ويلاحظ اننا
اخرنا الحديث عنهم وجعلناه خاتمة الحديث عن هجرات العرب الى
دارفور ، ولم يكن ذلك الا لانهم كان لهم شأنهم الخاص بالنسبة لهذا
الاقليم . ذلك انهم وكما سنرى كانوا الاصل الذى انتسبت اليه الأسرة
التي حكمت دارفور واقامت فيها السلطنة الاسلامية قبيل منتصف القرن
الخامس عشر للميلاد ، فضلا عن انهم كانوا يسكنون الجزء الأوسط من
هذا الاقليم الذى نحن بصدد الحديث عن القبائل العربية التى هاجرت
اليه وسكنته .

والهلالية الذين اشتهروا فى التاريخ بعد ان خرجوا من مصر الى
تونس فيما يعرف بالتغريبة الهلالية ، هم اصلا من عرب بنى عامر بن
صعصعة ، من هوازن ، من القيسية ، كانوا يعيشون فى بلاد الحجاز ثم
رحلوا الى مصر وسكنوا بلاد الصعيد منذ عهد الفاطميين بل ورحل بعضهم
اليها قبل ذلك العهد . ويبدو ان نفوذ الهلالية شمل بلادا كثيرة فى

(٢٩٥) عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة ،

ص ١٣٢ - ١٣٥

(٢٩٦) المقرئى : البيان والاعراب ، ص ٥٨ ، ٥٩ ، هامش (٩٣) ،

الخطوط المقرئية ، ج ١ ص ٣٥٠

(٢٩٧) عبد المجيد عابدين : نفس المرجع ، ص ١٣٦

صعيد مصر حتى إن القلقشندى والمقريزى قالا عنهم بأنهم « كانوا أهل بلاد الصعيد كلها الى عيذاب » (٢٩٨) .

والمشهور فى كتب التاريخ أن بنى هلال وصلوا الى مصر فى عهد الفاطميين (٣٥٨ - ٥٦٧ هـ / ٩٦٩ - ١١٧١ م) ، ولكن ابن حوقل المتوفى عام ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م ، أى بعد فتح الفاطميين لمصر ببضع سنين ، يشير الى وجود بنى هلال فى الواحات المصرية الغربية ، فيقول « وبالواحات من بنى هلال عدة غزيرة وأمة كثيرة وهى بصيفهم وقت الغلة ويميرتهم منها » (٢٩٩) ، وذلك فى معرض حديثه عن الواحات الداخلة الموجودة فى صحراء مصر الغربية ، مما يدل على أن كثيرا من بنى هلال كانوا قد هاجروا الى مصر قبل قدوم الفاطميين اليها بزمان طويل ، وأنهم انتشروا فيها وخاصة فى الصعيد ووصلوا غربا الى الواحات الداخلة التى كانت كما قلنا معبرا عبر منه التجار والمسافرون والمهاجرون الى دارفور عبر طريق درب الأربعين .

وهذا يدل على أن هجرة بنى هلال الى دارفور تمت عن هذا الطريق ، أو عن طريق النيل حيث يشير المقريزى الى أن بنى هلال نزحوا جنوبا وعاشوا فى « بلاد أسوان وما تحتها » (٣٠١) ، وهاجروا منها بالطبع الى بلاد النوبة مصاحبين كما قلنا من قبل للحملات المملوكية التى شنها سلاطين المماليك على هذه البلاد . وقد توغلوا فيها فى حملة عام ٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م على سبيل المثال مسافة تقدر بمسيرة خمسة عشر يوما وراء دنقلة (٣٠٢) ، أى أنهم وصلوا الى حدود مملكة

(٢٩٨) القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ١١٨ ، المقريزى : البيان

والاعراب ، ص ٢٨

(٢٩٩) كتاب صورة الأرض ، ص ١٤٥

(٣٠٠) الادريسي : نزهة المشتاق ، ج ١ ص ١٢١ ، ١٢٢

(٣٠١) البيان والاعراب ، ص ٢٧

(٣٠٢) ابن خلدون : نفس المصدر ، ج ٥ ص ٤٠٠ - ٤٠١

علوة المسيحية ، وفى الغالب فانهم فضلوا استئناف الرحلة من هناك غربا الى دارفور .

وربما كانت هجرة بعض الهلالية الى دارفور عبر هذا الطريق هى التى جعلت الأمر يشتهر على عرب السودان فقالوا بان الهلالية وفدوا على السودان من طريق الشرق ، أى من بلاد العرب راسا ، ومنها لى كسلا ، ثم عبروا النيل الأبيض واتجهوا الى غرب السودان (٣٠٣) .

والراجح أن كثيرا من الهلالية أتوا فعلا من الشرق ، ولكنه ليس الشرق الذى حكى عنه هذه الروايات ، وإنما هو شرق دارفور وكردفان ، أى المناطق الشرقية التى تقع حول النيل والتى نزح اليها الهلالية من مصر ، والتى تعرف ببلاد النوبة ، والتى انحرفوا منها غربا على امتداد وادى الملك الى كردفان ثم الى دارفور (٣٠٤) .

على أن بعض الروايات تذكر طريقا ثالثا غير طريقى الواحات والنيل جاء منه الهلالية الى دارفور ، وهذا الطريق هو الطريق الليبى الذى يربط ليبيا وتونس بدارفور عبر الصحراء الليبية أو الصحراء الكبرى والذى سبق الحديث عنه (٣٠٥) . وتقول هذه الرواية أن هجرة من الهلالية قادها رجل عربى يسمى أحمد المعقور وصلت الى دارفور وتبكن هذا الرجل أن يصل نفسه بالببيت الحاكم وأن يباهره ، مما أدى الى انتقال الحكم اليه لو الى اولاده واحفاده من بعده (٣٠٦) .

وتستند هذه الرواية الى أن الخليفة الفاطمى المستنصر بالله قد أمر بنى هلال فى عام ٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م بالزحف الى تونس عندما

(٣٠٣) عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة ،

ص ١٥١ - ١٥٢

(٣٠٤) المرجع السابق ، ١٥٢

(٣٠٥) انظر ، ص ١٠٨ - ١١٠

(٣٠٦) توماس ارنولد : نفس المرجع ، ص ٣٥٩ ، مصطفى مسعد :

سلطنة دارفور ص ٢٢٧

تمرد عليه حكام هذه البلاد من بنى زيرى الصنهاجيين ، فنزح اليهما فى عام ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م كثير من بنى هلال وبنى سليم وغيرهم وقامر بغزو طرابلس وتونس واستقروا هناك منذ ذلك الحين (٣٠٧) وكانت مساكنهم فى عصر القلقشندى تمتد فى نواحي قسطنطينة والمسيلة والزاب ، وكذلك فى بعض بلدان المغرب الأقصى (٣٠٨) . ومن هذه البلاد تسرب الهلالية الى دارفور .

اذن فامامنا ثلاث طرق أو مسالك سلكها الهلالية الى دارفور ، اولها طريق درب الأربعين ، وثانيها طريق النيل الى بلاد النوبة ثم الى كردفان ودارفور ، وثالثها هو الطريق الليبى الذى يصل ما بين تونس وطرابلس وبين دارفور .

وتعدد الطرق والمسالك التى سلكها الهلالية للوصول الى دارفور على هذا النحو يوحى بتعدد هجراتهم اليها سواء من مصر أو من ليبيا وتونس . ويبدو أن هذا التعدد حقيقة واقعة ، ذلك لأننا نسمع عن جماعات كثيرة فى بقاع مختلفة فى السودان كلها تنتسب الى بنى هلال ، وان كان من الملاحظ أن معظم الجماعات التى تنتسب الى الهلاليين أو الى أبى زيد الهلالي يعيشون فى غربى السودان ، لأن جماعاتهم التى عاشت فى شرقى السودان كانت قليلة ومتفرقة بحيث لم تستطع أن تحتفظ بكيانها زمتا طويلا ، فاندمج معظمها فى مجموعات قبلية أخرى ، وصار الانتساب الى الهلالية نادرا ومحدود الأثر . أما فى غرب السودان فان التأثير انسلالى أو الأصل العرقى لبنى هلال يظهر بصررة أقوى وأوضح (٣٠٩) .

ذلك أننا نجد فى دارفور بالذات عددا من الجماعات تنتسب الى الهلالية أو الى أبى زيد الهلالي ، منهم التنجور ، والفور ، والرزيقات ،

(٣٠٧) مصطفى سعد : الاسلام والنوبة ، ص ٢٦١ ،

Trimingham : op. cit., p. 100.

(٣٠٨) القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ١١٨ - ١١٩

(٣٠٩) عبد المجيد عابدين : نفس المرجع ، ص ١٥١ - ١٥٢

وهلالية البرقد ، والزيادية . وقد ظهر أمر انتساب هذه الجماعات ونك العباتل الى بنى هلال فى فوائم النسبة التى احتفظوا بها ، وكذلك فى رواياتهم التى كان التأثير الفصوى متمثلا فيها ، مما حدا بماكميدل الى ان يتحكك عنادته فى نسبة هذه العباتل الى بنى هلال ، مع ان وجود الدائر الفصوى فى هذه الروايات لا يعنى باى حال المشك فى صحة انتساب هذه الجماعات او اوصولها الاولى الى الهلاليين جسلة وتخصيلا (٣١٠) .

يسم هذا القول وجود وحدات من الحلف الهلالى القديم تعيش على ارض السودان حتى الآن ، وتحمل كل وحدة منها اسمها الخاص بها ، مثل بنى سليم وبنى فزارة (٣١١) . اما بنو فزارة فقد سنت الحديث عنهم وقلنا انهم كانوا يعيشون فى مصر وانتقلت بعض بطونهم الى كردفان ودارفور (٣١٢) . واما قبيلة بنى سليم فانها موجودة حتى اليوم وتعيش على النيل الابيض من جهة الغرب فى ارض كردفان وتنتمى الى مجموعة البقارة (٣١٣) .

ويبدو من دراسة المجموعة الفزارية فى السودان ان لبعضها - على الاقل - صلة ببنى هلال . وفى روايات دار حامد الفزارية نسمع ان جدهم (حامد) حين قدم الى غرب السودان ، لقي ابا زيد الهلالى ، فاستشاره فى المكان الذى يتخذه مقاما له ، فأشار عليه بسكنى بقعة معينة فى كردفان (٣١٤) . والزيادية الذى سبق ان تحدثنا عنهم ضمن قبائل فزارة التى هاجرت الى دارفور ، قلنا انهم ينتسبون حتى الآن الى ابي زيد الهلالى ومنه أخذوا اسمهم (٣١٥) .

(٣١٠) المرجع السابق ، ص ١٥٢ - ١٥٣

(٣١١) المرجع السابق ، ص ١٥٣

(٣١٢) انظر ، ص ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٥٤ - ١٥٨

(٣١٣) عبد المجيد عابدين : نفس المرجع ، ص ١٥٣

(٣١٤) المرجع السابق ، ص ١٥٣ - ١٥٤

(٣١٥) انظر ، ص ١٢٦

وكذلك ربط رواة السودان بين أحمد سفيان المشهور باسم أحمد المعفور مؤسس أول سلطنة اسلامية فى دارفور وبين أبى زيد الهلالي : فقالوا ان احمدا هذا اخو أبى زيد ، وأن اباهما هو الأمير رزق الذى لعب دورا فى قصة أبى زيد الهلالي ، وأن رزقا هذا فى بعض الروايات هو جد قبائل الرزيقات (٣١٦) الذين سبق أن تحدثنا عنهم ضمن القبائل المهاجرة الى دارفور (٣١٧) .

وهذه الروايات لا شك تفيدنا فى أن الهلاليين هاجروا من مصر ومن غيرها من البلدان المجاورة مثل تونس الى دارفور وأقاموا فيها واتخذوها موطنها ، وكان تأثيرهم الكبير فى تحويل المجرى السياسى لتاريخها حينما ساءهموا مباشرة فى اقامة أول سلطنة اسلامية عربية فيها ، دعمت من شأن العروبة فى دارفور ، وشدت من أزر الاسلام فيها حتى اصطبغت بالصبغة العربية والاسلامية الواضحة . ولم يكن ذلك تله الا نتيجة لهجرات العرب بصفة عامة الى دارفور واقامتهم فيها واستيطانها . فكيف تم ذلك وكيف عاش هؤلاء العرب فى هذا الاقليم الواسع ؟

(و) حياة القبائل العربية فى دارفور :

هذه القبائل العربية التى هاجرت الى دارفور فى العصور الوسطى وخاصة منذ القرن الثانى عشر للميلاد وما بعده من قرون ، هل أقامت، بمجرد أن استقرت فيها حكومات وإمارات كما فعلت القبائل العربية فى بعض البلدان الأخرى مثل ساحل شرقى أفريقيا ومنطقة القرن الافريقى على سبيل المثال ؟

الواقع يقول ان ذلك لم يحدث ، نظرا لطبيعة القبائل المهاجرة

(٣١٦) التونسى : نفس المصدر ، ص ٨٣ - ٨٤ هامش (٥) ،

عبد المجيد عابدين : نفس المرجع ، ص ١٥٤

(٣١٧) انظر ، ص ١٤٥ - ١٤٧

من ناحية ولطبيعة الاقليم الذى هاجروا اليه من ناحية اخرى . فهذه القبائل التى هاجرت الى دارفور بالذات كان معظمها من البدو الرحل الذين لا يميلون الى سكنى الحضر ولا سكنى المدن ، وانما فضلوا الاقامة فى الصحراء والمناطق البعيدة عن موطن الحضر ، بسبب طبيعة هذه القبائل من ناحية ، ولأنها تعشق الحرية والاستقلال من ناحية اخرى ، وحتى تستطيع أن تمارس نشاطها فى رعى الابل كما فعل الأباله ، ورعى البقر كما فعل البقارة ، ولأن الصحراء أصبح هواء من داخلية البلاد التى تكثر فيها المياه والأمطار والرطوبة والعفونة والوخم وتنتشر الأمراض ، ولذلك كان الأعراب الذين سكنوا البادية أقوياء البدن اصحاء الجسم (٣١٨) أكثر من غيرهم من بقية سكان دارفور .

يضاف الى ذلك أن هذه القبائل كانت هاربة من سيطرة حكومة مركزية قوية فى مصر أذاقتهم العذاب والاضطهاد وطاردتهم حتى ألجأتهم فى النهاية الى الهجرة الى السودان ، فاخترتوا الاقامة فى دارفور بالذات ، نظرا لموقع هذا الاقليم وتطرفه وبعده عن مجال سيطرة ونفوذ السلطان المملوكية ، ولأن هذا الاقليم نفسه لم يكن فيه مثل هذه الحكومة القوية المسيطرة (٣١٩) ، ولا مثل تلك السلطات الاستبدادية الطاغية ، والتى يمكن أن تمارس معهم فيما لو وجدت نفس السياسة وتتبع نفس الأسلوب .

فحكومة الدايجو ثم حكومة التنجور التى عاش العرب فى ظلها حتى قامت أسرة كيرا فى الحكم قبيل منتصف القرن الخامس عشر للميلاد ، لم تعمل أى من هاتين الحكومتين على إخضاع العرب لحكمها لسبب بسيد وهو أن هذه الحكومات لم تكن تسيطر على كل بقاع هذا الاقليم (٣٢٠) ،

(٣١٨) التونسى : نفس المصدر ، ص ٢٨١ - ٢٨٢ ،
Mac Michael : The Coming of the Arabs to the Sudan, pp.
58 - 59.

(219) Baddour : op. cit, p. 33.

(٣٢٠) التونسى : نفس المصدر ، المقدمة ، ص ٦ ، ٧

بل ان الداچو الذين يحكمون دارفور قبل ظهور التنجور ، لم يسقط حكمهم بالكلية عندما تمكن هؤلاء التنجور من السيطرة على زمام الحكم ، بل أصبح لهم حكمهم فى بعض نواحي دارفور بجانب حكم التنجور للنواحي الأخرى من هذا الاقليم (٣٢١) . ولذلك فان مملكة التنجور لم تكن حدودها واضحة ولا معروفة (٣٢٢) ، وان كان تمركزهم فى النصف الجنوبى من دارفور . ولما هاجر العرب الى هذا الاقليم استمسك التنجور بالمرتفعات لأن العرب البدو واسلاف البقارة سيطروا وقتذاك على سهول دارفور الجنوبية وحتى اليوم (٣٢٣) .

وهكذا لم تسيطر حكومات الداچو والتنجور على كل بقاع دارفور لهذه الثنائية التى أشرنا اليها والتي أدت الى وجود نفوذ الداچو بجوار نفوذ التنجور . هلم تكن هذه الثنائية وحدها هى السبب فى ذلك ، فقد كان هناك اتساع الاقليم وكثرة عدد قبائله وشعوبه التى كان كل منها له حاكم يحمل لقب ملك . وقد استمرت هذه الالقاب حتى بعد أن قامت أسرة كبراً على يد السلطان سليمان سولون فى حكم دارفور فى عام ١٤٤٥ هـ / ١٤٤٥ م .

وكثيراً ما يحدثنا التونسى عن ملوك وسلاطين فى دارفور كانت لهم بلدانهم وكان لهم استقلالهم وكانت لهم اقطاعاتهم التى ورثوها عن اجدادهم ، مثل سلاطين البرقو والميمة والتنجور والداچو والبيقو والزغاوة ، وغيرهم من ملوك الأقاليم (٣٢٤) ، حتى سلاطين الفور أنفسهم لم يكن لهم الا بلاد خاصة بهم يتعيشون منها كانوا قد ورثوها

(٣٢١) المصدر السابق ، المقدمة ، ص ٧

(٣٢٢) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى

والأوسط ، ص ٤٢٥

(٣٢٣) Arkell : The history of Darfur, S.N. .: IV, p. 273.

(٣٢٤) تشحيد الأذهان ، ص ١٥٢

عن آبائهم وأجدادهم مثل قرلى والريل وتندلتى وغيرها (٣٢٥) ، وذلك بالاضافة الى مقدار من المال كان يرسله لهم كل ملك أو سلطان من سلاطين وملوك دارفور ، علامة على التبعية والخضوع ، وهى هى الواقع تبعية شكلية وخضوع اسمى فقط .

ومعنى ذلك أن دارفور كانت تعيش قبل قيام سلطنة دارفور الاسلامية على يد سليمان سولون الى سلطنات وممالك صغيرة مستقلة ، وكان كل سلطان مستقل بنفسه له بلاده وله اقطاعاته التى يعيش منها ، وكانت الاقاليم الصغيرة يحكمها ملوك يبدو أنهم كانوا تحت سيطرة هؤلاء السلاطين . ولما قامت سلطنة سليمان سولون وفرضت النظام الاسلامى على الجميع دان لها هؤلاء السلاطين والملوك واطاعوها ، وان كانت طاعة اسمية فى الواقع ، ولكن الاقليم أصبح له طابعه الوحيدى اللامركزى منذ ذلك الحين .

وفى كل هذه الأوضاع التى كانت قائمة قبل قيام سلطنة دارفور الاسلامية فى عام ٨٤٨ هـ / ١٤٤٥ م على يد سليمان سولون ، عاشت القبائل العربية التى هاجرت الى الاقليم ومعظمها قبائل من البدو الرحل كما قلنا دون أن تجد مقاومة لا من الحكومة ولا من الأهالى . وقد وجدت هذه القبائل فى هذه الأوضاع نوعا من النظم التى كانت تألفها ، فظهر عندهم وكما هو المعتاد نظام المشيخة العربية (٣٢٦) ، فكل قبيلة كان لها شيخها التى لا ترد له كلمة ، والذى يجب المحافظة على سلطاته وكيانه ، لأن القبيلة تتمثل فيه ، فازدياد قوته قوة لها ، وضعف نفوذه هو ضعف للقبيلة كلها . ولم يكن مطلوبا أن يضعف نفوذ شيخ القبيلة ازاء هذا العدد الكبير المتنافس والمتنوع من القبائل التى سكنت دارفور ، سواء كانت قبائل عربية أم سودانية أم زنجية (٣٢٧) ، تلك القبائل التى لم تجد كما أشرنا حكومة مركزية قوية تفرض عليها سلطاتها ونفوذها .

(٣٢٥) المصدر السابق ، ص ١٥٢

(٣٢٦) Mandour : op. cit, p. 35 & Mac Michael : The Coming of the Arabs to the Sudan, pp. 58 - 49 .

(٣٢٧) Mandour : op. cit, p. 33.

وقد ظلت هذه القبائل العربية تعيش على هذا النحو حتى قامت سلطنة دارفور الاسلامية وعملت على توحيد البلاد ، وتعين على الجميع عربا وغير عرب انخضوع لها . وقد سبقت الاشارة الى ان العرب اندمجوا فى هذه السلطنة وصاروا جزءا من نظامها السياسى ، وأعطوا السلطان الضرائب المقررة عليهم ، وساعده فى حروبه المنطيسية والخارجية (٣٢٨) .

وأحيانا كانت العلاقة تسوء بينهم وبين السلاطين ، وتقوم بينهم الحروب اذا ما اشتط السلطان فى تحصيل الضرائب ، واذا ما كانت القبيلة فى عز ومنعة ، فكانت تخلع طاعة السلطان وترفض دفع الضريبة له ، واذا اعطوها فانهم لا يعطون الا « أقبح اموالهم » ، واذا اعترض عامل السلطان طردوه وربما قتلوه « ولا يقدر السلطان لهم على شىء » (٣٢٩) ، وكثيرا ما حاربوا السلاطين وهزموهم كما فعل عرب الرزيقات مع السلطان تيراب ، واذا هزموا فانهم يفررون الى الصحراء أو الى المناطق النائية بمواشيهم حيث لا يستطيع السلطان ان ينال منهم شيئا (٣٣٠) .

ولذلك كثرت الفتن والحروب فى دارفور سواء بين العرب والقبائل القوروية ، أو بين العرب بعضهم البعض . وقد بين الترنسنى هذا الوضع بقوله أنه كانت « كل قبيلتين منهم بينهما دم مسفوك وثار مطالب به غير متروك ، كما بين البرتى والزيادية ، وبنى عمران والميمة ، والفلاتا والمساليط ، والمسيرية الحمر والرزيقات ، والمجانين وبنى جرار ، والزغاوة ، والمهاميد ، مما لا يكاد يحصى » (٣٣١) ، وكان سببا فى قلة عدد سكان دارفور ،

(٢٣٨) انظر ، ص ١٤٢ ، ١٤٧ ، التونسى : نفس المصدر ، ص ٤٠ :

(٣٢٩) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٤٠

(٣٣٠) المصدر السابق ، ص ١٤٠

(٣٣١) المصدر السابق ، ص ٢٨٢ ، ٢٧٣

رغم أن الأمراض المنتشرة فيها وفى السودان عامة لم تكن أمراضا وبائية قتالة (٣٣٢) ، وإنما هذه الحروب وتلك الفتن هى التى كانت تحصد الناس حصدا .

وربما كان نظام الحياة الاقتصادية فى دارفور من دواعى هذه الحروب ، فمعظم سكان الاقليم سواء كانوا عربا أو غير عرب كانوا يشتغلون بالرعى ، سرء رعى الابل أو الغنم أو البقر ، وقليل منهم من كان يعمل بالزراعة والتجارة ، ولذلك كانوا فى حاجة لاستيراد الحبوب والمواد الغذائية (٣٣٣) .

وقد صرح التومسى بذلك وقال أن « أعراب البادية فى دارفور ممنعون فيما يشتهون ، لا يحتاجون الا الى الدخن والذرة والملبوسات ويمكن أن يشترؤا ما يحتاجونه من ذلك بما زاد عن كفايتهم من السمن والعسل واللواشى وجلود الصيد والبقر والابل ، حتى ، انهم يجلبون امدار الوادى ودار الفور الأجرية والقرب والبطط والحبال المصنوعة من سيور الجلد والسياط وغير ذلك» (٣٣٤) .

والفقرة السابقة تبين لنا ما كان يحتاجه عرب البادية فى دارفور وما كانوا ينتجونهم . وهذا الانتاج كما ترى ما هو الا نتاج لما كانوا يربونه من ماشية وابل ، كما انهم كانوا وكما سبق القول يمارسون حرفة الصيد ، نقصد صيد الزراف والنعام والغزلان والفيلة وغيرها ، جلبا لما تدره هذه الحيوانات من سن فيل وريش نعام وجلود ولحوم كانوا فى حاجة اليها ، وكانوا يربون الخيل ليستخدمونها لهذا الغرض وللقتال ضد أعدائهم وخصوصهم . وقد نشط فى هذا المجال قبائل النجانين والزيادية وبنى جرار والعريقات (٣٣٥) .

(٣٣٢) المصدر السابق ، ص ٢٨٢

(٣٣٣) انظر ، ص ٢٣ - ٢٤

(٣٣٤) تشميذ الأذهان ، ص ٢٩٣

(٣٣٥) المصدر السابق ، ص ٢٨٧ - ٢٨٩ ، ٢٩٢

وبخلاف ذلك فقد كان عرب دارفور يزرعون وقت اقامتهم فى الاراضى التى يوجد فيها المطر ويكثر الساء ، فكان يوجد عندهم « من الأرز والدفرة والكوريب والهجليج والتمر هندی والعسل والكرنو والسرنه مما لا يوجد عند غيرهم » (٣٣٦) .

كما أنهم كانوا يرحلون شمالا مسافة عشرة ايام من دارفور للحصول على الملح والتطرون من منطقة بئر النطرون التى تسمى أيضا بئر الزغوى ، ذلك لأن النطرون والكثر الملح لا يجلب لدارفور الا من هذه المنطقة (٣٣٧) . كما أن عرب دارفور كانوا يقومون بعمل آخر وهو حراسة القوافل الذاهبة من دارفور والآبية اليها ، وبعضهم كان يعمل فى التجارة فينضم لهذه القوافل ويصاحبها الى مصر والى غيرها من البلدان .

ونظرا لذلك كله فقد كان معظم عرب دارفور فى شبه ترحال دائم سواء كانوا ابله ام بقارة ام حراسا للقوافل ام تجارا ، نظرا لطبيعة نشاطهم ، ولطبيعتهم كبدو رحالة . وفى ذلك يقول أحد الباحثين أن السكان الذين سكنوا على النيل من الغرب كانوا غير متنقلين وتحضروا ، أما الذين سكنوا داخلية القطر ما عدا الشمال الأقصى فقد صيغتهم صيغة البداوة ، وكانوا يقيمون ناحية الشمال ومعهم ابلهم من اغسطس الى نوفمبر حيث يطيب المرعى ، وهؤلاء الذين سكنوا الغرب وهم اهل كردفان ودارفور حتى حدود الصحراء الكبرى الجنوبية ، والبقارة الذين سكنوا منطقة الزنوج كانوا يرحلون منها مدة شهرى ابريل ومايو ميممين ناحية الشمال فى المنطقة الوسطى ، لأن المطر عندئذ يهطل عندهم بغزارة (٣٣٨) .

-
- (٣٣٦) المصدر السابق ، ص ٢٩٥ والأشياء المذكورة اعلاه كلها من الأشجار المثمرة عد الأرز والعسل بطبيعة الحال ، وقد سبق التعريف بمعظم هذه الأشجار ، انظر ، ص ١٣٥ - ١٣٦
- (٣٣٧) المصدر السابق ، ص ٥١ - ٥٢
- (٣٣٨) نعوم شقير : نفس المرجع ، ص ٦٦

وهذا التنقل والترحال الذى تميز به العرب فى دارفور كان من الاسباب الرئيسية فى دفع عملية التعريب ونشر الاسلام بين السكان الاصليين مما سببته عما قليل .

واذا كان هذا هو طابع الحياة الاقتصادية لعرب دارفور ، فانهم فى حياتهم الاجتماعية تأثروا الى حد كبير بالتقاليد والنظم التى رأوها فى هذا الاقليم ، وشمل هذا التأثير مسكنهم وملبسهم وعاداتهم فى الأفراج والأتراج والزواج والاعبياد (٣٣٩) ، وحتى اللغة وغير ذلك من مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية . وفى اللغة نجد ان العرب الذين اختلطوا وامتزجوا بالأجناس والقبائل الفوراوية تعلموا لغات هذه القبائل وتكلموا بها بجانب لغتهم العربية على لحن ظاهر فى كلامهم بهذه اللغات المحلية ، تماما كما فعل اهل دارفور الاصليون بعد أن تعلموا العربية وتكلموا بها أيضا على لحن ظاهر فى كلامهم بها (٣٤٠) .

أما المساكن فقد كان البقارة والأباله من العرب فى دارفور يتخذون مساكنهم من الخيام والأخصاص ذات الشكل المخروطى مما يدل على تأثرهم بالبيئة المحلية ، أما الفلاحون منهم فكانوا يبنون بيوتا مربعة الشكل من الحجر أو من الحجر ويجعلون لها سقوفا كسقوف البيوت المصرية (٣٤١) .

كما كانوا يلبسون أقمصة واسعة الأكمام جدا مقفلة الصدر بلا سراويلات ، ويتحزمنون بسيور من جلد ، ويشون حفاة عراة الرأس ، أو يلبسون نعالا فى أرجلهم ، ويجدلون شعور رعوسهم بالشحم والزيت ،

(٣٣٩) عن هذه العادات والتقاليد ، انظر نعوم شقير : تاريخ السوادن القديم والحديث وجغرافيته ، ج١ ص ١٩٨ - ٢٠١ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٣٤ - ٢٤١

(٢٤٠) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج١ ص ١١٩

(٣٤١) مونسينجر : رسالة جغرافية فى بلاد السودان ، مصر ،

سنة ١٨٧٤ ، ص ١٤ ، نعوم شقير : نفس المرجع ، ج١ ص ٢١٥

ولا يخرج الواحد منهم الا وفى يده حربة كبيرة يلقيها على كتفه .
واما الابالة فكانوا يلبسون الثوب سراويل أو بلا سراويل ، ويلبس
مشايخهم القمصان الواسعة ، الا أن قبصانهم أقل اتساعا من قمصان
البقارة وأنظف ، وهم يجدلون شعور رؤوسهم ضفيرتين فقط ، ولا يتركون
لها كشة فى الناصية ، اما مشايخ البادية الذين يخالطون الحضر ،
فانهم يحلقون شعورهم ويلبسون القفاطين والجبب والعمائم ، ويتختمون
بخواتم من الفضة بفصوص من العقيق أو الفيروز أو حجر الدم (٣٤٢) *
وهى أوصاف تدل على مدى تأثر الرجال من العرب فى دارفور بالبيئة
التي عاشوا فيها ، والأهالى الذين خالطوهم .

اما نساء العرب فى دارفور من حضر وبادية ، فقد كن يصفرن
الشعر ضفائر دقيقة تنزل على الصدغين والعنق كسائر نساء السودان ،
وكانت الواحدة ، نهن تلبس ثيابا تستر جسدها ورأسها بحيث لا يظهر
منها الا عيناها كعادة نساء العرب المعروفة . هذا بخلاف العادات
الأخرى ، التي تأثروا فيها بالأهالى المحليين والتي لم يعرفها العرب فى
بلدانهم الأولى او التي هاجروا منها (٣٤٣) .

ورغم ذلك فقد تمسك العرب بمعظم عاداتهم المعروفة فى سائر
نواحي حياتهم الاجتماعية ، وكان نظام حياتهم يقوم أساسا على المحافظة
على الابل والماشية وعلى المزاة وعلى سلطة الشيخ أو الزعيم الغير
محدودة (٣٤٤) ، وعلى الحفاظ على الاستقلال والحرية بعيدا عن تحكم
السلطة المركزية . وكانت قيم الحياة عندهم تدور حول هذه المحاور
الرئيسية بما لا يخرجها عن مبادئ الدين والشريعة .

(٣٤٢) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٢٠٨

(٣٤٣) المرجع السابق ، ص ٢٠٩

وعن هذه العادات ، انظر نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٢٢٨

(٣٤٤) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط

وإذا كنا قد اشرنا الى أن العرب فضلوا سكنى البادية فى دارفور ، فليس معنى ذلك أنهم سكنوا البوادر المحيطة بدارفور كما صورهم بعض الباحثين ، وإنما سكنوا هذه البوادر وسكنوا أيضا المناطق السهلية والوديان والواحات التى تقع فى داخل دارفور (٣٤٥) وقد سبق القول أن قبائل العرب تواجدوا فى نواحي دارفور وجهاتها المختلفة سواء فى الشمال أو فى الجنوب وسواء فى الشرق أو فى الغرب ، كما تواجدوا أيضا فى وسط دارفور وحول العاصمة ، سواء كانت هذه العاصمة هى مدينة أورى فى عهد التنجور أم الفاشر فى عهد أسرة كبرا الاسلامية (٣٤٦) .

وإذا القينا نظرة على خريطة دارفور وعلى توزيع القبائل فيها ، سواء الخريطة التى رسمها بيرون أو التى وضعها محمد بن عمر التونسى ، نجد أن هناك تداخل بين قبائل العرب المهاجرين وقبائل السكان الأصليين . فلا توجد ناحية أو منطقة الا ويسكنها عرب وفوراويون ، أو عرب يحيط بهم فوراويون أو العكس . وليس هناك مكان لم يسكنه العرب فى دارفور الا جبل مرة (٣٤٧) الذى لم يسكنه الا أعجام الفور فقط ، وهم ثلاث قبائل هى الكنجارة والتموركة والكراريت (٣٤٨) .

وهذا التداخل بين العرب، والفور فى «مناطق السكنى والاقامة ، اتاح الفرصة لعملية اجتماعية فى غاية الأهمية أخذت تتفاعل على مدى القرون والأزمان تلك العملية هى الاختلاط والمصاهرة والتزاوج بين العرب وسكان البلاد الأصليين . وقد أتبع لهذه العملية أن تنتج لأسباب عديدة ، منها أن العرب الذين دخلوا اقليم دارفور لم يدخلوه كغزاة ، ولم يدخلوه

(٣٤٥) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٤٥

(٣٤٦) انظر ، ص ١٢١

(٣٤٧) أن جبل مرة سمي بهذا الاسم لانه لم يخلط مثله ، فلا تانى

له ولا نظير . انظر : التونسى : تشحيذ الأذهان ، ص ١٤٤ هامش (١)

(٣٤٨) التونسى : نفس المصدر ص ١٤٤

فى شكل جيوش حربية مسلحة ، وانما دخلوه فى شكل هجرات جماعية أو فردية بطريقة غاية فى السلمية والهدوء ، لم يعلموا فيه الحديد والنار والسيف كما قال بعض الباحثين الأوربيين ، وانما دخلوه كطلاب مأوى ومهاجرين مسالمين (٣٤٩) وهم يختلون فى ذلك عن بعض القبائل العربية الأخرى التى دخلت بلاد النوبة أو بلاد البجة .

فقد عاثت بعض هذه القبائل فسادا فى هذه البلاد واستعمات اساليب العنف والشدة فى معاملة الأهالى كما اشار ابن خلدون وكما سبق القول ، وكانت هذه القبائل تاتى مصاحبة لحملات سلاطين الممالك التى كانت تقصد بلاد النوبة بالغزو ، نظرا لقيام ملوك هذه البلاد بقطع البقط أو الاغارة على البلاد المصرية المجاورة لهم (٣٥٠) .

اما فى دارفور فلم يحدث من ذلك شىء ، فلم يثبت ان أرسل أحد حكام مصر فى القرون السابقة أى حملة غزت دارفور الا فى العصور المتأخرة التى تخرج عن نطاق هذا البحث ، وذلك قرب نهاية القرن التاسع عشر للميلاد وفى عصر الخديوى اسماعيل (٣٥١) . وكذلك لم يثبت أن قبيلة عربية أتت تحمل السلاح واقتحمت هذه البلاد بقوة هذا السلاح . ولذلك فان القبائل العربية التى هاجرت الى دارفور لم تقابل بالصد أو النفور ، ولم يحدث بينها وبين السكان المحليين أى صدام أو خصام وفعل الاتفاق والزواج المختلط أكثر مما فعلته قوة الجيوش (٣٥٢) .

والسبب الثانى الذى أدى الى عملية الدمج والامتزاج بين العرب والسكان المحليين فى دارفور ، هو ما أظهره العرب انفسهم من قدرة فائقة

(349) Trimingham : op. cit, p. 100 & Baddour : op. cit, p. 33.

(٣٥٠) انظر ، ص ٥١

(٣٥١) التونسى : نفس المصدر ، ص ٣٩٥ - ٣٩٦

(349) Trimingham : The Coming of the Arabs to the Sudan, p. 59 .

على الاستيعاب والاندماج مع هؤلاء السكان ، لأن العرب وكما يقول ترمجهم يندمجون بسهولة فى غير بيئتهم ، ويمتزجون بالسكان المحليين ، وفى نفس الوقت يذيعون آدابهم وخصائصهم الدينية والاجتماعية ، وان كانوا بلا شك يكتسبون قدرا متفاوتا فى صفاتهم الطبيعية ، كلون البشرة والتقاطيع والملامح الجسدية نتيجة للاختلاط والمصاهرة (٣٥٣) ، حتى انك اليوم لا تستطيع أن تفرق بين الدارפורى العربى الأصل وبين غيره من الذين لا يحملون أصلا أو نسبا عربيا ، أو لا تجرى فى عروقهم الدماء العربية .

ومعنى ذلك أن الاختلاط والاندماج تم بين الفريقين ونتج عنه ما يعرف بشعب دارفور بخصائصه التى نراها ونعرفها اليوم ، وقد سهل هذا الأمر أن العرب المهاجرين والعرب بصفة عامة ليس لديهم تجبر أو تعصب عرقى ، لأن هذا مما يخالف تقاليد الاسلام وأوامره ، ولذلك فانهم استطاعوا أن يكتسبوا قلوب الناس ورضاهم ، ويهيئوا الطريق لحكمهم فى الأقاليم التى عاشوا فيها ، أو على الأقل يساعدون فى إقامة حكومة عربية اسلامية كما حدث فى دارفور فى عام ١٤٤٥هـ / ١٨٤٨م على يد سليمان سولون الذى ينتمى الى أسرة كيرا التى تقول بأنها تنسب الى بنى العباس (٣٥٤) أو الى أبى زيد الهلالي (٣٥٥) .

ورغم اندماج العرب فى السكان المحليين فى دارفور ، الا أنهم لم ينعزلوا عن اخواتهم فى مصر والأقطار المجاورة ، فقد ثبت أنه كانت لهم علاقات ثقافية قوية وعلاقات تجارية متنامية مع مصر ، حتى أن قوافلهم التجارية التى كانوا يرسلونها اليها كانت تتألف من عشر الى خمسة عشر ألف جمل تحمل السلع العديدة والمتنوعة (٣٥٦) .

(353) Trimingham : op. cit, pp. 99 - 100.

(354) Baddour : op. cit, p. 43.

(٣٥٥) عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى

النيل ص ١٥٢ - ١٥٣

(356) Baddour : op . cit, p. 34.

والسياسى والحضارى فى اقليم دارفور : وان كان هذا التأثير لم يكن لامعا كما هو الحال فى بلاد النوبة او وسط السودان ، وذلك بسبب طبيعة العرب الذين كانوا فى الغالب بدوا كما قلنا ، وبسبب بعد الاقليم وتطرفه عن نهر النيل الذى كانت تجرى على ضفافه الحضارة ومظاهر التقدم منذ آلاف السنين ، وبسبب قلة عدد السكان الذى اشرفنا اليه من قبل .

ومع ذلك فقد صبغ العرب هذا الاقليم بالصبغة العربية الواضحة ، واتحدوا مع السكان المحليين منذ اوائل القرن الثالث عشر للميلاد الى اليوم (٣٥٧) ، وكانوا هم الاساس او العامل الرئيسى فى نشر العروبة والدماء العربية ، وكذلك فى نشر الاسلام والثقافة العربية الاسلامية فى هذا الاقليم الهام .



الفصل الرابع

نتائج هجرة العرب الى دارفور

كان بن نتيجة هجرة العرب الى دارفور فى العصور الوسطى وعبر قرون عديدة حسبها واينما رأينا فى الفصل السابق ، أن انتشرت العروبة وانتشر الاسلام فى هذا الاقليم انتشارا كبيرا ، وقامت فيه دولة عربية اسلامية فى عام ٨٤٨هـ / ١٤٤٥م عمقت تيار العروبة والاسلام ، وأفسحت له المجال كى يزداد نموا وانتشارا عن ذـ قبل ، حتى تم صبغ هذا الاقليم بالصبغة العربية والاسلامية الواضحة ، فكيف تمت هذه الأمور الثلاثة ؟ وما هى المظاهر الاسلامية التى سادت الحياة فى دارفور حتى أصبحت كما قلنا اقليما عربيا اسلاميا له فعالياته فى دنيا العروبة والاسلام ؟

١ - انتشار العروبة فى دارفور

تتمثل العروبة التى نقصدها فى هذا الحديث فى نقطتين ، الأولى هى تسرب الدم العربى الى السكان المحليين عن طريق المصاهرة والتزاوج الذى يؤدى الى الذويان العرقى لكلا الطرفين ، هذا الذويان الذى ينتج عنه جيل جديد يحمل صفات الأب العربى والأم الفورية أو العكس . هذا الجيل الجديد يعتز بنسبة العربى وبأصله الافريقى نى نفس الوقت . وقد أشرنا الى عملية المصاهرة والاختلاط التى تمت بين العرب وسكان دارفور خلال العصور التى سبقت قيام سلطنة دارفور الاسلامية قبيل منتصف القرن الخامس عشر للميلاد ، والتى ازدادت عقب قيام هذه السلطنة بطبيعة الحال .

أما النقطة الثانية فهى انتشار اللسان العربى بين أهل دارفور من غير العرب حتى هارت أغلبيتهم ان لم يكن كلهم يتكلمون العربية ،

واحتفظ القليل بلغة الفور أو بلغاتهم الخاصة كلغة محلية(١) . وقد ساعد على انتشار اللغة العربية بينهم انتشار الدين الاسلامى بين اغلبيية السكان ، وبطبيعة الحال كان الناس فى حاجة الى تعلم الابجدية العربية والخط العربى للتمكن من قراءة القرآن الكريم ، ولعرفة المسائل الفقهية والدينية والامور المتعلقة بالعقيدة الاسلامية .

ولذلك انتشرت العربية بين سكان دارفور انتشارا واسعا ، وكان هذا الانتشار ، صاحباً لعملية الامتزاج والاختلاط والمصاهرة التى اشرفنا اليها ، بمعنى أن عملية الاستعراب كانت مصاحبة لعملية الأسلمة ليس فى افريقيا الحامية فقط كما يقول ترمنجهام(٢) ، بل فى افريقيا الزنجية التى تمثلت فى دارفور التى كان يسكنها عناصر حامية وعناصر زنجية ، مما نتج عنه فى النهاية تحول شعب دارفور الى شعب عربى مسلم .

وعلى ذلك فان اللغة العربية فى دارفور لم تكن لغة مقدسة او لغة القرآن الكريم فقط وذات استعمالات قليلة فى حياة الناس كما يقون ترمنجهام(٣) ، وانما كانت ولا زالت لغة معظم الناس ، واختلفت لغات القبائل التى كانت تتكلمها قبل هجرة العرب الى دارفور(٤) ، مما يدل على نجاح القبائل العربية النجاح كله فى تحويل هذا الاقليم الى اقليم عربى مسلم .

ولا شك أن البيئة الطبيعية كان لها تأثيرها فى احتفاظ القليل جدا من أهل دارفور بلغاتهم المحلية دون أن يعرفوا اللغة العربية ، ففي المناطق الجبلية الوعرة التى لم يستطع العرب الوصول إليها وخاصة فى جبل مرة والتى عاش أهلها فى عزلة عن جيرانهم مكتفين بما فى الجبل من مراعى وزروع وثمار وماشية ترعى وحدها دون راع حتى أن بعضهم لم يروا انسانا غريبا عنهم حتى زارهم التونسي فى بداية القرن الماضى فتعجبوا من

(1) Evans Princhard : Ethnological Survey of the Sudan p. 84.

(2) Trimingham : op. cit, p. 101.

(3) Ibid : p. 101.

(4) Evans Princhard : op. cit, p. 84.

رؤيته لأنهم كانوا ينكرون حتى ذلك الحين أن يكون هناك انسان ذو لون أبيض أو احمر (٥) .

ولذلك لم تنتشر العربية بين هذه الجماعة من الناس الذين أصبحوا لا يعرفون منها الا عبارتى الشهادة ، وقد رأى التونسى ذلك بنفسه عندما زار بعض الأماكن فى جبل مرة (٦) . غير أن هؤلاء الذين لا يعرفون العربية من أهل هذا الجبل كانوا قليلى العدد (٧) ، بينما كانت غالبية أهل الجبل تتكلم العربية بجانب الفورية . وقد روى التونسى أخبارا تدل على هذه الحقيقة (٨) ، وقال ان الاعداد عندهم كانت بلغة الفور حتى رقم ستة ، أما بقية الاعداد فكانوا ينطقون أسماءها باللغة العربية (٩) .

ولا شك أن وجزد بعض العرب بين الفور الأعجام كأهل جبل مرة كالتوركة وغيرهم كان له تأثيره فى نشر اللغة العربية بينهم ، هذا بخلاف تواجدهم بين قبائل دارفور الأخرى التى تحيط بالجبل من جهات جبهاته وتختلط بالعرب اختلاطا كبيرا ، مثل البرتى ، والداجو ، والبيفر ، والزغاوة ، والبرقو ، والميمة ، والمساليط وغيرهم (١٠) ، مما كان له أثره فى نشر اللغة العربية بين هذه القبائل .

ويمكن أن نستشف ذلك من قصة رجل من أكابر البرقد يقال له عثمان ود علو كان قد أصيب بمرض الجدري وشفى منه ، وكان يتلثم قبل أن يشفى تماما حتى لا يؤذيه الذباب ، فمر به ذات يوم اعرابى

(٥) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٥٣ ، ١٥٨

(٦) المصدر السابق ، ص ١٥٨

(٧) المصدر السابق ، المقدمة ، ص ١٠

(٨) المصدر السابق ، ص ٣١٧

(٩) المصدر السابق ، ص ١٦١

(١٠) المصدر السابق ، ص ١٦٥

وسأله عما اذا كان لا يوجد فى البلدة مصاب بالجدري ، فنفى عثمان ذلك ، ولما رفع اللثام عن وجهه ورآه الأعرابى صاح هذا الأعرابى صيحة هائلة وسقط على الأرض مغشيا عليه ، لأن الأعراب كانت تخاف هذا المرض خوفا عظيما لأنه ما دخل حيا من احيائهم الا وافنى أهله . ولما صاح الأعرابى على هذا النحو المفزع جاء اخواته من الأعراب لصيحته وحملوه وذهبوا به الى ديارهم(١١) .

وهذه القصة تدل اولا على ان أسماء رجال البرقد كانت أسماء عربية . فاحد كبار رجالهم كما رأينا كان يسمى عثمان ود علو ، أى عثمان بن على ، وتدلل أيضا على ان رجال البرقد كانوا يتكلمون العربية ، بدليل الحوار الذى جرى بين الأعرابى والبرقوى عثمان ود علو ، كما تدل ثالثا على ان الأعراب كانوا يختلطون بالبرقد ويذهبون الى بلادهم ، أى بلاد البرقد ، وكانوا يختلطون على هذا النحو بغير البرقد من قبائل دارفور الأخرى(١٢) .

وقد نتج عن هذا الاختلاط ان تعربت هذه القبائل مثل المساليط الذين تعربوا وأصبحوا خليطا من الزنوج والعرب(١٣) ، ومثل البرقد الذين تعربوا تماما ونسوا لغتهم الأصلية ، كما تعربت الميمة تماما ونسيت أيضا لغتها ، وكذلك المراريت والزغاوة والبرتى الذين أصبحوا يتكلمون العربية مع احتفاظهم بلغتهم الأصلية(١٤) . والنتيجة ان اللغة العربية أصبحت لغة قبائل دارفور بعد ان تغلبت على لغات هذه القبائل ومحتها

(١١) المصدر السابق ، ص ٢٧٣

(١٢) المصدر السابق ، ص ١٢٦ ، هامش (٤)

(١٣) المصدر السابق ، ص ١٢٦ ، هامش (٤)

(١٤) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٤٨ - ٤٩ ويلاحظ ان علماء الأفرنج بحثوا فى كثير من لغات شبه السود فى دارفور والاف. بعضهم كتبوا فى صرفها ونحوها ومفرداتها . انظر ، نعوم شقير :

تماما ، كما أنها أصبحت أداة التخاطب المشتركة عند القبائل التي احتفظ بلغاتها وورطاناتها الزنجية (١٥) ، بينما بقيت بقية لا تكاد تذكر لا تعرف من العربية شيئا للأسباب التي ذكرناها من قبل .

وهذه العربية التي يتكلمها أهل دارفور والسودانيون عامة يتكلمونها بلهجة حسنة تختلف قليلا عن لهجتى مصر والشام ، ولكنهم يلفظون الحروف كاهل الشام ومصر ، فيلفظون الجيم خفيفة ، والذال زاي ، والناء تاء أو سينا ، والقاف يلفظونها كالجيم المصرية (١٦) ، وهم متأثرون فى ذلك بأهل الصعيد الذى نزحت منه معظم قبائل العرب فى دارفور والسودان كما سبق القول .

وقد نتج عن هذا التأثير أيضا أن حملت اللغة العربية التي انتشرت هذا الانتشار الواسع بين أهالى دارفور كلمات عامية مصرية لازالت موجودة فى دارفور حتى الآن . ويمكن ان تستقى بعض هذه الكلمات من خطاب أرسله عبد الله التعايشى الذى ينتهى الى التعايشة احدى قبائل دارفور الى أحد الأمراء فى عام ١٣٠٤ هـ / ١٨٨٦ م يدعو فيه الى أم درمان أورده نعوم شقير . ومن أمثلة هذه الكلمات : بنعدين - الهدوم - تعال قوام ، يخلى ، مافيش - الستات . الخ (١٧) .

وهكذا تعربت دارفور وأصبحت أقلية عربيا مثل غيره من أقاليم السودان ، فأصبح لسان الناس عربيا ، وأسماءهم أسماء عربية ، حتى الفزير الأعاجم الذين لم تنتشر العربية بينهم انتشارها بين القبائل الأخرى ، كانت أسماء ملوكهم وأسماء ملوك جبال مرة وأسماء حكام قراها ونواحيها أسماء عربية . فشيخ الجبل كان يسمى أبا بكر (١٨) ،

(١٥) عبد الله حسين : السودان من التاريخ القديم ، ج ١ ص ١٢

(١٦) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ، ص ١١١

(١٧) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١١١ ، ١١٣ ، ١١٧

(١٨) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٥٦

ورئيس طائفة من طوائف التموركة ، وهى احدى قبائل الفور
الأعاجم الثلاثة كان يسمى على كرتب ، وكان ابنه الذى صادقه
التونسي يسمى عبد الله كرتب (١٩) ، ورئيس بلدة نمليه كان يسمى
الفقيه نمر ، وولده كان يسمى الفقيه محمد ، وآخر يقال له سليمان (٢٠) ،
مع أن التونسى ذكر أن أهل هذه البلدة لم يقع لهم رؤية عربى قبل
ذلك (٢١) . مما يدل على أن تيار العروبة والتعريب والثقافة
العربية قد انتشر حتى اقتحم على الفور الأعاجم بلدانهم وقراهم مع
التجار أو بسبب ذهاب بعضهم الى أماكن الدراسة أو التجارة ، فتعلموا
وحملوا أسماء عربية ، كما حملوا هم وكافة أهل دارفور الكنى
والألقاب العربية .

فالأب والأم يكتيان باسم ابنتهما البكر كما فى مصر والبلدان الأخرى ،
فاذا لم يكن لهما ابن كنيا باسم بنتها البكر ، كما أنهم يكتنون الأماكن بأب
وأم على السواء فيقولون على سبيل المثال بئر أبو طليح أو بئر أم طليح ،
وعندهم كنى معلومة لأسماء معلومة حملا على كناها القديمة المشهورة
فى التاريخ مثلما هو الحال فى مصر والبلدان الأخرى التى هاجر منها
العرب الى دارفور ، فكنية ابراهيم أبو خليل ، وحسن أبو على ،
واسماعيل أبو السباع ، ومصطفى أبو درويش أو درش ، وداود
أبو سليمان ، كما أنهم مولعون بالألقاب يلقبون بعضهم بعضا ، ومن هذه
الألقاب ما يحمل معنى المدح ومنها ما يحمل معنى الذم (٢٢) ، مما يدل
على مدى تأثير أهل دارفور بالعرب الذين نشروا بينهم اللغة والأسماء
والألقاب العربية .

(١٩) المصدر السابق ، ص ٣٢٩

(٢٠) المصدر السابق ، ص ١٥٤

(٢١) المصدر السابق ، ص ١٥٥

(٢٢) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٢٢٥ ، ٢٢٦

وظاهرة انتشار الأسماء العربية بين قبائل دارفور ظاهرة تستحق الإشارة والدراسة . ذلك ان الأسماء العربية لم تخلع على الناس فقط ، ولكنها خلعت أيضا على أسماء الشهور ، ولذلك فانهم لا يعرفون الشهور الافرنجية والقبطية والأعجمية ، وأهل العلم منهم يسمون الشهور كما سمتها العرب قديما بالأسماء المشهورة الآن كالمحرم وصفر وربيع ، الى غير ذلك من الشهور . أما عوام الناس فانهم يسمون الشهور العربية بأسماء أخرى تحمل معنى عربيا ، فيبدأون حساب السنة بشهر شوال ويسمونه بالفطر ، كما يسمون شهر ذى القعدة فطرين ، وشهر ذى الحجة بالضحية ، ومحرم بالضحيتين ، وصفرا بالوحيد ، وربيعا الأول بالكرامة ، وربيعا الثاني بالتروم ، وجمادى الأولى بالتويمين ، وجمادى الثانية يسابق التيمان ، ولم يسلم من التغيير الا شهر رجب ورمضان . أما شعبان فيسمونه القصير (٢٣) .

حتى فى المحاصيل الزراعية ، فمنها ما عرف، بأنه عربى والمثال على ذلك النبق ، فقد قال عنه التونسى أنه نوعان : عربى وكرنو (٢٤) ، وكذلك القطن ، فقد زرع أهل دارفور القطن بنوعيه : وهما البلدى ويسمى عندهم بالعربى ، والهندي ويسمى عندهم باسم (لوى) (٢٥) . أما الصمغ الذى يستخرجونه من شجر يسمى شجر الحشاب فقد اعطوه اسم الصمغ العربى (٢٦) .

ولعل أهم موضوع يمكن أن يناقش فى هذا المضمار هو موضوع الانتساب الى العرب أو اتخاذ نسبة عربية وأصل عربى ، وهو أمر يدل دلالة قاطعة على مدى حركة التعريب والاستعراب ، وعلى أن هذه

(٢٣) التونسى : نفس المصدر ، ص ٣٢٠

(٢٤) المصدر السابق ، ٣٠٩ وقد سبق تعريف الكرنو، أنظر، ص ١٣٦

(٢٥) المصدر السابق ، ص ٣١١

(٢٦) المصدر السابق ، ص ٣١٢

الحركة وصلت الى قمته وذروتها عندما أخذت العناصر الفورية في دارفور تنتسب الى العرب وتجعل لنفسها نسبا عريبا شأنها في ذلك شأن العناصر السودانية في ممالك السودان الأخرى على امتدادها من المحيط الأطلسي الى نهر النيل .

فالبرقد الذين يعيشون بين جبل حريز ومنطقة الرزيقات شمال وشرق قبيلة الداو ، وكذلك في شمال شرق مدينة الفاشر (٢٧) يضعون على جمالهم علامة الهلال (٢٨) ، ويقولون أن أصلهم من بى هلال (٢٩) . وكذلك أهل جبل ميدوب يقولون أنهم من كنانة ، ويضعون على جمالهم نفس العلامة وهى الهلال (٣٠) ، والداو وهم من اقدم الشعوب التى سكنت دارفور وكانت لهم فيهم دولة قبل دولة التنجور والفور ، ويقولون بأنهم من الهلالية . والميرنجا وهم قسم من الفور يقولون أنهم من الهلالية ايضا (٣١) .

وكذلك دار قمر التى تقع شمال بلاد المساليط وشرق دار تامة في غربى دارفور ، يقول أهلها من القمر أنهم من أصل عربى ، وينكلم معظمهم اللغة العربية (٣٢) . ومما يدعم هذا القول أن قبيلة القمر كانت تسكن في شندى شمالى الخرطوم حيث كانت تكثر القبائل العربية المهاجرة الى هذه المنطقة من السودان ، وكانت تدين بالاسلام وهاجرت مع زعمها الذى يسمى وداعة بن يامى الى مكانها الذى تسكنه حتى الآن في غرب دارفور وفي وادى ، وأن كان تاريخ هذه الهجرة على وجه التحديد وكذلك الطريق الذى سلكته فى ترحالها نحو الغرب غير معلوم ،

(٢٧) المصدر السابق ، ص ٧٦ هامش (٢) ، ص ١٣٨

(28) Arkell : The history of Darfur S. N. R., 11, p. 221.

(29) Ibid : 11, p. 224.

(30) Ibid : 11, p. 221 .

(31) Ibid : 11, pp. 221 - 235.

(٣٢) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٣٦ هامش (٢)

ولكنها وصلت الى منطقة فى غرب دارفور تسمى مابا ، وانتزعت الحكم من التنجور واستقرت فى مابا واطلقت على موطنها اسم دار وداعة بدلا من دار مابا ، وتصحف لفظ وداعة وصار واداي ، اى أن العين صارت ياء(٣٣) .

ولعل ما ذكره الشاطر بصيلى عن زعيم قبيلة قمر يدل على الزمن الذى وصل فيه الى غربى دارفور ، حيث يقول أن هذا الزعيم استطاع ان يكسب نفوذاً فى زعامة التنجور ، وعين فى منصب ادارى لاحدى الولايات ، كما تولى حفيد هذا الزعيم ولاية من ولايات الدار ، وكان ذلك فى عهد السلطان داود الذى كان يتولى سلطنة التنجور ، وكان معاصره من دارفور السلطان سليمان فى بلاد الفور ، وكان السلطان داود يشعر بقوة سلطان الفور ويخشى بغزوه نحو الغرب ، اى نحو بلادهم(٣٤) .

ويمكن أن نستنتج من هذا الكلام أن التنجور لم تندثر دولتهم بقيام سلطنة دارفور الاسلامية على يد سليمان سولون فى عام ١٤٤٥ م ، وانهم كانوا يحكمون فى المنطقة الغربية التى تمتد الى واداي ، وأن زعيم قبيلة القمر اتى الى بلاد التنجور هؤلاء غالبا فى نهاية القرن الرابع عشر للميلاد ، اذا أن حفيده كان معاصرا للسلطان داود والسلطان سليمان فى بلاد الفور ، مما يدل على أن هجرة القمر الى مواطنهم فى غربى دارفور تعود الى هذا التاريخ والى انهم من العرب المهاجرين من وادى النيل .

يؤيد ذلك ما ذكره بعض الباحثين من أن سلطنة واداي تأسست على يد أسرة من قبيلة الجوامعة العرب تعرف بالجمهر (بفتح الجيم

(٣٣) الشاطر بصيلى : معالم تاريخ وحضارات السودان الشرقى

والأوسط ، ص ٤٢٥

(٣٤) المرجع السابق ، ص ٤٢٥

وكسر الميم) بقيادة زعيمهم (وودا) الذي دخل مكة في خدمة ملك التججور، واستطاع حفيده عبد الكريم أن يقضى على حكم التججور سنة ١٠٢٠ هـ / ١٦١١م ويؤسس دولة اشتهرت باسم واداي، نسبة الى جده (وودا) (٢٥). ولعل (وودا) هذا هو نفسه وداعه الذي ذكره الشاطر بصيلى . مما يدل على صحة هذه الرواية وان كان زمن قدوم هذه اسرة او هذه القبيلة العربية من بلاد النوبة الى واداي فيه اختلاف بين الروايين . وهناك شعب آخر يصل نفسه بالعرب اتصالا قويا ، ذلك هو شعب التججور الذى كان ولا يزال يعيش فى وسط دارفور (٣٦) والذى خلف شعب الداو فى حكم دارفور فى القرن الثالث عشر للميلاد . وقد اختلف الباحثون فى اصل التججور ونسبهم اختلافا كبيرا ، فمن قائل بانهم من النوبيين والهلالية الذين هاجروا من دنقلة الى دارفور ومدوا نفوذهم على واداي وارغموا الكانم احيانا على دفع الجزية (٣٧) .

ومن قائل بان التججور بن التيو Tibus الذين كانوا يعيشون فى هضبة تيبستى Tibesti (٣٨) التى تقع فى شمال بحيرة تشاد ، ثم هاجروا منها الى دارفور ، ولكن ليس تحت ضغط بنى هلال فى شمال افريقيا كما ذكر الدكتور مصطفى مسعد ، وانما كان ذلك بسبب حرب شنتها دولة الكانم ضد التيو فى القرن الثالث عشر للميلاد (٣٩) . ولان هجرة بنى هلال الى شمال افريقيا حدثت قبل ذلك بقرون ، اى فى القرن الحادى عشر للميلاد ، بينما هاجر التججور فى الغالب الى دارفور فى القرن الثالث عشر للميلاد حيث اقاموا دولتهم هناك .

(٣٥) التونسى : نفس المصدر ، ص ٧٤ هامش (١) .

(٣٦) المصدر السابق ، ص ١٣٧ - ١٣٨

(٣٧) مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، ص ٢٢٥ ، التونسى :

نفس المصدر ، ص ١٣٧ هامش (٣) ، Mandour : op. cit, p. 33.

& Arkell : A history of the Sudan, p 201 .

(38) Arkell : The history of Darfur , S. N. R., 11, p. 213, IV,

p. 272

(39) Ibid : S. R., IV, p. 272.

ولكن يبدو أن هذه الهجرة كانت قليلة الأهمية ولم تلفت الأنظار ،
ولذلك لم يرد ذكرها عند الكتاب العرب سواء كانوا مؤرخين أم رحالة (٤٠)
وقد استدل صاحب هذا الرأي وهو الأستاذ آركل على أن تأثير التيبو
والذين يسمون أيضا باسم التدا على دارفور كان واضحا ، بأن هناك
صلة بين التنجور والتوماجيرا وهم الفرع الملكي من التدا ، وأن أسمهم
يمكن أن يكون قد صحف من توجا جيراوى الى تونجيراوى التى تعنى
جمع كلمة تنجور (٤١) .

ويرد صاحب هذا الرأي على من قالوا بأن التنجور من بنى هلال
قائلا أن الغزوة الهلالية لشمال أفريقيا كتب عنها ابن خلدون ، وان بنى
هلال كانوا مثالا سيئا ومدمرين ومخربين لدرجة ان قبائل بربرية كثيرة هجرت
بلادها الى مناطق داخلية فى الصحراء الكبرى . وليس هناك - والكلام
ما زال له - فى التاريخ ما يشير الى أن بنى هلال أقاموا دولة صغيرة
واحدة ، وأنها استمرت حتى ولو لفترة قصيرة من الزمان (٤٢) .

كما انه ليس من المحتمل أن يهاجر قسم صغير من بنى هلال ويقيم
حكومة منظمة بشكل جيد فى دارفور ، كما أنه من غير المتوقع أيضا
وينفخ الدرجة أن تتمكن هذه الجماعة الهلالية من أن تتخذ طريقها
عبر أكثر من ألف وثلاثمائة ميل عبر أقاليم صحراوية يسكنها البربر الذين
كانوا متأثرين بالمعاملة القاسية التى عاملهم بها العرب من الهلالية (٤٣) .

ويعلق صاحب هذا الرأي على ذلك قائلا أن العرف عند التنجور
متفق على أنهم أتوا من الشمال ، من تونس ، وليس من الشرق . وحتى
لا يجعل القادمين من تونس من الهلالية يقول أنه يبدو أن قليلا من بنى هلال
كانوا موجودين فعلا بين الشوا العرب الساكنين فى بحيرة تشاد ،

(40) Ibid : S. N. R., IV, p. 272.

(41) Ibid : S. N. R. 11, p. 213.

(42) Ibid : S. N. R. 11, p. 215.

(43) Ibid : S. N. R. 11, p. 215.

ولكنهم فى نظرة اتوا من الشرق من وادى النيل وان رفاقهم من (سليم)
يتمثلون فى البقارة (٤٤) .

ويستدل على رأيه أيضا بأن المؤسسات والنظم التى أقامها التنجور
فى دارفور تحمل طابع البربر الوثنيين ، ولما دخل الاسلام بلاط التنجور
اراد رجال النسبة ان يثبتوا الأصل العربى للأسرة الحاكمة ، فبحثوا
عن اسم شائع الاستعمال وعلى صلة بالأسرة الحاكمة وفى نفس الوقت
على صلة باسم قبيلة عربية مشهورة . ولما كان التنجور - حسب
افتراضه - من نبلاء البربر من قوم يسمون ايلالا *Ilala* فان رجال
النسبة حملوا هذا الاسم على انه بنى هلال (٤٥) .

ويقول انه من الطبيعى أن التوماجيرا الذين عرفوا باسم التنجور
فى دارفور والآتون من الشمال (تبستى) ، حيث وصلتهم الأساطير
الشائعة عن البطل الهلالى أبو زيد ومغامراته فى إقليم تونس الخضراء ،
من الطبيعى انهم يخترون قصة الأجداد الذين اتوا من تونس الى دارفور
مدعين نسبتهم الى بنى هلال مستغلين هذه الأساطير (٤٦) التى وصلتهم
عبر طريق الحج الذى يجرى من بحيرة تشاد - حيث كان الناس هناك
مسلمين - عبر وادى والفاشر ، مما سهل على التنجور ان يدعوا النسبة
الى بنى هلال التونسين (٤٧) .

وهذا يتناقض مع كونهم وثنيين عندما قدموا الى دارفور حسب
قوله ، ولكن انتشار الاسلام ووجود الهيبة والنفوذ الأدبى للاسلام الذى
تبع ذلك فى هذه المناطق ذات السلف العربى ، يعتبر - فى نظره -
سببا كافيا فى تبنى التنجور لقصة ائسابهم الى بنى هلال ، والتى
وجدت قبولا فى بلاطهم (٤٨) .

(44) Ibid : S. N. R. 11, p. 215.

(45) Ibid : S. N. R. 11, p. 215.

(46) Ibid : S. N. R. 11, p. 215.

(47) Ibid : S. N. R. 11, p. 216.

(48) Ibid : S. N. R. 11, pp. 216-217.

ويدلل على رأيه أيضا بأن اللغة العربية ليس فيها كلمة ، تحتوى على الحروف الأربعة T,M,G,R ، ولكن اسم المفعول (معقور) والتي تنطق مجور Magur في السودان يمكن أن تكون - فى رأيه - هى التى أمدت النمايين بهذه القصة (٤٩) التى يفندها ويرفضها تماما ، وهو هنا يشير الى ما يقوله التنجور من أنهم ينتسبون الى أحمد المعقور الهلالى الذى قاد قومه من بنى هلال من تونس وهاجر الى دارفور (٥٠) . ويحاول أركل أن يجد لفظا بربريا يمكن أن تشتق منه كلمة هلالى ، أى من بنى هلال ، ويستدل على ذلك بالأغاني الشعبية الموروثة عند شعب البولالا الذى كان يعيش فى شرقى بلاد الكانم ، والتي تسرب منها هذا اللفظ الى غرب السودان (٥١) ، ويرد على ما قاله بارت وكارو من أن التنجور من دنقلة ، أو أنهم عاشوا يوما ما على ضفاف النيل على اعتبار أن هذه الصلة التى أيدها أيضا ماكمايكل هى صلة قديمة كانت قائمة بين دارفور والنوبة وتعود الى الف عام ، وكانت موجودة فى القرن الرابع للميلاد (٥٢) .

ويتبنى أستاذنا الدكتور حسن محمود هذا الراى الذى نادى به أركل ويقول أن التنجور أو الطنجور كما سماهم شعب من البربر الذين هاجروا من الشمال الى دارفور فى القرن الثانى عشر أو الثالث عشر ، أى على أثر الغارات الهلالية على تونس ، ثم اختلطوا بالداجو السابقين لهم فى حكم دارفور ، وكان من نتيجة هذه المصاهرة أحمد المعقور (٥٣) . والرد على هذه الأدلة التى جمعها أركل ليثبت أن التنجور ليسوا من عرب بنى هلال ، يمكن أن نوجزه فى النقاط الآتية :

(49) Ibid : S. N. R. 11, p. 216.

(٥٠) الرنولد : نفس المرجع ، ص ٣٥٩ ، دائرة المعارف الاسلامية ،

ج ٩ ص ٨٤

(51) Arkell : op . cit, S. N. R. 11, p. 216,

(52) Ibid : S. N. R. 11, p. 216.

(٥٣) الاسلام والثقافة العربية: فى افريقية ، ص ٣٢٤ - ٣٢٥

١ - قوله أن الهلاليين كانوا مخربين مدمرين ، هو قول أطلقه ابن خلدون الذى ألمه ما حدث لوطنه تونس على يد الهلاليين الذين اريد منهم أن يقرموا بما قاموا به تأديبا لبني زيرى الصنهاجيين الذين كانوا قد تمردوا على حكم الخلافة الفاطمية فى مصر . وكان هذا التخريب فى بداية الصدام الذى حدث بين الهلاليين والزيريين ، ولم يلبث أن استقر بنو هلال فى تونس وما يحيط بها من بلدان وانتشروا بين البربر وقاموا بأهم عملية حضارية فى تاريخ هذه البلاد ، وهى تعريب البربر بأكثر مما قام به غيرهم من العرب عبر تاريخ تونس والجزائر وسائر دول شمال المغرب العربى ، حتى يصعب علينا اليوم أن نميز القبائل العربية من القبائل البربرية (٥٤) .

وانتشار الهلالية فى هذه البلدان على هذا النحو كان فى الواقع ناتجا عن الضغط الذى لاقاه الهلاليون على يد الدول التى قامت فى شمال أفريقيا على أنقاض دولة بنى زيرى من مرابطين ووحدين ثم حفصيين وزيانيين ومرينيين (٥٥) ، بسبب أن بنى هلال كانوا من العناصر المشاغبة ، وكثيرا ما كانوا يتدخلون بين الحكام فيساعدون واحد ضد الآخر ، بخلافه الحروب التى نشبت بين الدول المشار اليها وتدخل عرب بنى هلال وغيرهم فيها ، مما أدى الى مطاردة بنى هلال وغيرهم من الأعراب الذين كانوا يتبعون نفس هذه السياسة (٥٦) . ولذلك رحل الهلالية الى البوداي والصحراوات وتبدوا وسموا بالعرب المستعجمة ، وأصبحوا خطرا على التجار الذين كانوا يمرون بهذه النواحي (٥٧) .

(٥٤) دائرة المعارف الاسلامية ، ج ١٠ ص ٢٣١

(٥٥) المرجع السابق ونفس الصفحة .

(٥٦) الحسن الوزان : نفس المصدر ، ج ١ ص ٤٦ - ٤٨ ، دائرة

المعارف الاسلامية مادة تونس ، ج ١٠ ص ١٩٧ - ١٩٩ ، ٢٣١ ، ج ١١

ص ٣١٦ - ٣١٧ ، مادة الجزائر .

(٥٧) الحسن الوزان : نفس المصدر ، ج ١ ص ٤٧ - ٤٩

وهكذا لم يتمكن الهلاليون من إقامة دولة لهم فى أى بقعة من شمال افريقيا للأسباب التى أشرنا إليها ، ولسبب آخر وهم أنهم مهما كان عددهم فإنه لا يقاس بعدد قبائل البربر التى سكنت شمال افريقيا من بربر البرانس أو البتر ، ولذلك فإنهم سكنوا البوادر والصحراء حتى لم يعد أحد يسمع عنهم شيئاً (٥٨) . وطبيعى أن البوادر التى سكنوها كانت تقع فى طرق التجارة التى كانت تمر بين الشرق الى الغرب ، ومن الشمال الى الجنوب ، مما أدى الى شغبتهم على هؤلاء التجار ومطالبتهم بالأموال للسماح لهم بالذهاب كما أشار الى ذلك الحسن الوزان (٥٩) .

وليس بعيد أن يسلك بعض الهلالية هذه الطرق التجارية المتجهة من تونس وطرابلس جنوباً الى بحيرة تشاد ودارفور فراراً من ضغط الدول الحاكمة فى شمال افريقيا ، وتخلصاً من حياة البادية القاسية . ولم يكن الطريق الواصل بين هذه البادية وبين تشاد ودارفور من الطول بحيث يتعذر على الهلاليين سلوكه ، فقد سلكه التجار من قبلهم ومن بعدهم ، وليس غريباً أن يذهب الهلالية مع بعض قوافل التجار كحراس لها الى تشاد والى دارفور ، وقد سبقت الإشارة الى وجود طريق يربط طرابلس وتونس بتشاد ودارفور (٦٠) .

ولذلك كان من الطبيعى وجود بعض بنى هلال بين العرب الذين كانوا يعيشون فى بلاد الكانم (تشاد) فى تلك العصور ، كما اعترف أركل نفسه فى كلامه الذى سبقت الإشارة اليه ، وان كان قد جعل مجيء هؤلاء الهلالية من الشرق أى من وادى النيل وليس من الشمال ، وذلك حتى يثبت صحة نظريته التى تقول بأن التجار جاءوا من الشمال من عناصر التيبو ، وليسوا من الهلالية .

وقد سبقت الإشارة الى وجود بعض بنى هلال فى الواحات المصرية

(٥٨) المصدر السابق ، ج ١ ص ٤٨

(٥٩) المصدر السابق ، ج ١ ص ٤٨

(٦٠) انظر ، ص ١٠٨ - ١٠٩

فى عصر ابن حوقل (٦١) ، أى قبل هجرة الهلالية المشهورة الى مصر فى عصر الفاطميين . ومعنى ذلك أن بنى هلال هاجروا الى مصر على شكل موجات ، قد تكرر أعتهاها هى الموجة الأخيرة التى وصلت اليها فى عهد الفاطميين ، ولكن من المؤكد أن بعضهم كان موجودا فى مصر قبل ذلك بدليل ما أشار اليه حوقل فى هذا الصدد (٦٢) .

كما سبق القول أيضا أن بعض الهلالية كانوا مصاحبين لحمالات المماليك على دنقلة وبلاد النوبة ، وبالذات حملة السلطان قلاون فى عام ٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م ، وأن كثيرا منهم ومن غيرهم من العرب المصاحبين لهذه الحملة كانوا يفضلون البقاء فى هذه البلاد بدلا من العودة الى مصر حتى يتخلصوا من ضغط المماليك واضطهادهم لهم .

اذن كان لبنى هلال وجود فى الواحات المصرية وفى صعيد مصر ، وكان لهم وجود فى بلاد النوبة حتى قبل أن تسقط فيها الملكة المسيحية وتتحول الى ديار اسلامية فى عام ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م ، هذا بالإضافة الى وجودهم فى شمال افريقيا وخاصة فى تونس .

وعلى ذلك فإن الهلاليين اما أنهم اتوا الى دارفور من تونس ، أو أنهم أتوا اليها من الشرق أى من وادى النيل ، سواء من الواحات المصرية عبر درب الأربعين ، أم من بلاد النوبة عبر وادى الملك الى شمال كردفان ومنها الى دارفور ، أو أنهم أتوا الى دارفور من كلا الجهتين معا .

وإذا كان بعض المؤرخين قد قالوا بمجيئهم من تونس ، فإن البعض الآخر مثل ماكمايكل قال بقدمهم من الشرق من بلاد النوبة ولكنه لم ينفى صلة التنجور ببنى هلال كما فعل آركل ، فقد أشار فى كتابه الى احدى

(٦١) انظر ، ص ١٧٤ ، ابن خلدون ، ج ٥ ص ٤٠٠ - ٤٠١

(٦٢) انظر ، ص ١٧٣ - ١٧٥

الوثائق التي تقول بأن التنجور الذين حكموا دارفور من هلاله ، أى من بنى هلال ، وأن البيت الملكى للفور هم أيضا من بنى هلال ، وأن الفور أنفسهم نوبة أى نوبيين (٦٣) .

٢ - أما كون التنجور حين هاجروا الى دارفور كانوا وثنيين مما يعتبر دليلا على أنهم كانوا من التيبو الذين يعيشون فى هضبة تيبستى ، فليس دليلا على نفي صلة التنجور ببنى هلال المسلمين ، أولا ، لأن التيبو أنفسهم كانوا قد انتشر بينهم الاسلام بعد أن أحاط بهم من الشمال والجنوب . وفى الشمال حيث ليبيا وتونس كانت الديار ديار اسلام ، وفى الجنوب كانت بلاد الكانم أيضا ديار اسلام منذ القرن الحادى عشر للميلاد على الأقل (٦٤) . وكان لبلاد الكانم سيطرتها على المناطق التى تقع فى شمالها حتى جنوب ليبيا ، وفى هذه المناطق تقع بلاد التيبو وغيرها من قبائل البربر الأخرى (٦٥) .

ولماذا يكون التيبو أو هؤلاء البربر الذين هاجروا الى دارفور هم الوثنيون الوحيدون على فرض صحة القول بهذه الهجرة وعلى فرض أن التنجور من هؤلاء البربر ، فى حين أن غيرهم من البربر الذين أقاموا بيوتهم حاكمة فى الكانم وغيرها من دول السودان كانوا مسلمين ؟

وما كتبه أستاذنا الدكتور حسن محمود ربما يكون فيه الاجابة عن هذا التساؤل . فقد ذكر بعد أن افترض أن التنجور من البربر وليسوا من العرب ، أن الاسلام دخل معهم الى دارفور كما دخل الى غرب افريقيا مع البربر الذين وفدوا اليها ، غير أن هذا التيار الاسلامى لم يترك أثرا يذكر فى حياة الناس فى دارفور لأن هذه الهجرة لم تكن كبيرة العدد ، فنيت بمرضى الزمن فى العناصر الأصلية ، ونتج عن هذا الاختلاط أو هذا

(63) Mac Michael : A history of the Arabs in the Sudan, Vol 2, p . 195.

(٦٤) . انظر ، ص ٧٦

(٦٥) انظر ، ص ٧٨ - ٧٩

الفناء أو هذا الذوبان عنصر جديد جامع بين دماء البربر ودماء الداجي وهو شعب الفور(٦٦) .

كما أن آركل نفسه ذكر ما يفيد باسلام التنجور فى دارفور .
فقد قال بأن الكانم - وكانت دولة اسلامية - كان لها نفوذها على شمالي دارفور فى القرن الثالث عشر للميلاد ، وأن هناك آثارا كثيرة لتأثيرات الكانم والبورنو على ثقافة دارفور التى كان يحكمها التنجور فى تلك الفترة(٦٧) ، كما أن الزغاوة الذين كانوا يسكنون شمالي دارفور وهى بلاد الكانم أيضا كانوا مسلمين(٦٨) .

فإذا لم يكن التنجور قد هاجروا وهم على دين الاسلام كما قال آركل ، فلا بد أنهم تأثروا بالنفوذ الكانمي وبالزغاوة المجاورين لهم فاعتنقوا الاسلام . ويعترف آركل نفسه بهذه الحقيقة وأن كان يقول أن حكام أورى الأواخر أي التنجور الذين اتخذوا هذه المدينة عاصمة لهم كانوا مسلمين اسميا(٦٩) ، وأنهم استخدموا العرب فى البلاط(٧٠) ، وأن الاسلام كان دين البلاط فقط فى دارفور(٧١) ، وأنه كان يوجد مسجد فى أورى عاصمة الدولة(٧٢) . وكلها اشارات اوردها آركل نفسه وتدل على الأقل على أن التنجور لم يكونوا كلهم وثنيين ، والحقيقة أن التنجور كان يمثلون الطبقة الحاكمة ، وكانوا مسلمين وافدين الى هذه البلاد التى حكموها(٧٣) والتي كان غالبية أهلها من غير التنجور هم

(٦٦) الاسلام والثقافة العربية فى افريقية ، ص ٣٢٥

(67) Arkell : The history of Darfur, S. N. R., IV , pp. 270—271.

(68) Ibid : S. N. R., IV, p. 270.

(69) Ibid : S. N. R., IV, p. 272 & Trimming ham : op. cit, p 22,

(70) Arkell , op. cit, S. N. R., IV, p. 274

(71) Ibid : S. N. R, 11, p. 213.

(72) Ibid : S.N.R. IV , pp. 249, 273,

(٧٣) أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية ،

ج ٦ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٥ ،

المؤثنيون ، مما يدل على أن التنجور قَوْم من العرب ، أو على الأقل يدل على وجود صلة بين التنجور وبين العرب أيا كان هؤلاء العرب ، سواء من بنى هلال أم من غيرهم .

٣ - أما تلك الصلة وذلك التفسير الذى حاول آركل أن يربط به بين هائل وإيلالا التى تعنى فى رأيه نبلاء البربر ، فليس من الأدلة التى تقف لقطع صلة التنجور ببنى هلال ، أولا ، لأن التبادل اللغوى ظاهرة مألوفة فى الميدان الثقافى والناس يتبادلون الألفاظ والأفكار دون أن يتصلوا اتصالا بشريا (٧٤) . فليس لأن لفظ (هائل) قريب من لفظ (إيلالا) يكون ذلك دليلا على أن الأول مشتق من الثانى . وثانيا ، لأن تشابه الألفاظ أو الأسماء لا يمكن أن يكون أيضا دليلا على نفي الصلة بين هلال وإيلالا إن اثباتها ، فهو مجرد تشابه فى الأسماء ، والا كان البولولا الذين تمكنوا من القضاء على حكم البيت الحاكم فى الكانم وإجبار آخر ملوك هذا البيت الى اللجوء الى البرنو فى الناحية الغربية من بحيرة تشاد ، من باب أولى أن يدعوا النسبة الى بنى هلال ، اعتمادا على التشابه اللفظى بين البولولا وبين هائلة أو بنى هلال . ولكن ذلك لم يحدث لأن البولولا وحسب قوائم النسبة التى أوردها ماكمايكل ينتسبون الى بلال من قبيلة الأزدي المعروفة التى كانت تعيش فى جنوب شبه الجزيرة العربية (٣٥) ، ولم يكن لهم أدنى علاقة ببنى هلال ، تماما كما هو الحال بين إيلالا وهلال .

كما أن عدم وجود لفظ فى اللغة العربية يحتوى على الحروف الأربعة

T, M, G, R فإفاه آركل بنفسه عندما ذكر أن الحل يمكن قد أتى

مؤلفى النسبة من كلمة « المعقور » التى يكتبها أهل السودان **Magur**

ويقصد بذلك أحد المعقور الذى يقول التنجور أنه جدهم أو زعيمهم الذى

(٧٤) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣١٥

(75) Mac Michael : A history of the Arabs in the Sudan Vol

2, p , 185.

(١٤ - ٣)

ينتسبون اليه(٧٦)٠ فكلمة معقور يمكن ان تكون قد صحفت الى كلمة **Magur** ثم أبدال حرف الميم نونا ، واضيف فى اولها حرف التاء فصارت تنجور

وعلى ذلك فاما أن التنجور من اهل البلاد الأصليين وليسوا وافدين من خارج دارفور ، مثلهم فى ذلك مثل غيرهم من شعوب السودان فى بلاد علوة وفى بلاد النوبة ، او انهم كانوا فعلا من العرب وهو ما نرجحه .

يؤيد ذلك ما ذكره بعض الباحثين من أن التنجور هم من العرب الذين حملوا الاسلام الى دارفور قادمين من تونس الى الجنوب واخترقوا بورنو وواداي حتى وصلوا الى دارفور وكان أول سلاطينهم فيها هو أحمد المعقور(٧٧)٠ ويفسر باحثون آخرون لفظ التنجور تفسيرا طريفا يدل على أصلهم العربى ، اذ يقولون أن لفظ التنجور أو التنجر كما ورد عند بعض المؤرخين(٧٨) لعله مشتق من لفظ (تجار) ، اشارة الى التجار العرب الذين وفدوا على اقليم دارفور واختلطت دماؤهم بدماء غير العرب فيه ، مستندين فى ذلك على ما ذكره نختيجال من أن التاجو أو الدايجو الذين حكموا دارفور قبل التنجور سلموا سلطانهم وحكمهم بلا قتال لهؤلاء التجار من العرب النازحين ، وكان أول سلاطينهم هو أحمد المعقور(٧٩) الذى هاجر مع قومه من شمال أفريقيا الى هذا الاقليم ولا يزال لسانهم عربيا(٨٠) .

يؤيد هذا القول ان هناك قبائل عربية لازالت تعيش فى كل من

(٧٦) أحمد شلبى : نفس المرجع ، ج ٦ ص ١٤١ ، ١٤٢

(٧٧) توماس أرنولد : نفس المرجع ، ص ٣٥٩ ، الموسوعة العربية

الميسرة ، ج ١ ص ٧٧٣ مادة دارفور .

(٧٨) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٤٨

(٧٩) دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٩ ص ٨٤ مادة دارفور .

(٨٠) المرجع السابق ، ج ٩ ص ٨٤

دارفور ونونس وتحمل نفس الاسم ، مثل المحاميد وبنى هلال والحمارنة الذين يسمون الحمر. فى دارفور (٨١) . ويؤيده أيضا ابن حوفل ذكر قبائل من البربر الموجودة فى زمانه والتي كانت تعيش فى المناطق التى يظن هجرتهم منها الى تشاد والى دارفور فلم يكن من بينها التنجور (٨٢) . وكذلك لم نعثر على اسم التنجور فى المصادر التاريخية التى اعتمدت بذكر انساب البربر كابن حزم وابن خلدون وغيرهما .

وكيفما كان الطريق الذى سلكه التنجور الى اقليم دارفور ، او درجة الصحة فى انتمائهم الى العرب أو النوبيين أو النيبو ، فالمعروف ان أولئك التنجور لم يكن لهم فى المائتى سنة الأخيرة من حكم دولتهم لغة سوى اللغة العربية ، ومهما قيل فى سن اللغة التى كانوا يتحدثون بها من قبل على فرض أنهم ليسوا من العرب ، فان هذا لا ينفى - على الأقل - صلهم بالعناصر العربية التى كانت فيما يبدو تمثل طبقة حاكمة تعتمد على قاعدة من العناصر الغير عربية والتي يمكن أن تكون من النوبة أو البديات أو التيبه أو السودانين الدارفوريين . يدل على ذلك أن الاسلام امتد الى دارفور على عهد التنجور حيث عثر على بقايا اثار المساجد والفصور الملاحية المبنية بالطوب الأحمر والتي ترجع الى عصرهم ، وخاصة فى مدينة عين فرح ، ومدينة أورى العاصمة (٨٣) .

(٨١) المرجع السابق ، ج ١٠ ، ص ٢٣٢

(٨٢) كتاب صورة الأرض ، ص ١٠١ - ١٠٣

(٨٣) مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، ص ٢٢٦ ،

Arkell : A history of the Sudan, pp. 211 - 212 & The history of Darfur, S. N. R., IV, pp . 257 - 260

ويلاحظ أن آركل يحاول أن يشكك فى نسبة هذه المساجد الى سلاطين التنجور ويرجعها الى نشاط ملوك الكانم والبرتو فى دارفور . انظر

Arkell : The history of Darfur, S.N,R. IV, pp. 247 - 260

وعلى الرغم من أن الاسلام أخذ يشق طريقه الى هذه البلاد منذ حوالي القرن الثالث عشر للميلاد على الأقل حيث أخذت تنهال عليها الهجرات العربية من الشمال والشرق والشمال الغربي ، فان الاسلام لم يصبح الدين الرسمي فيها إلا حين انتقل الحكم الى أسرة كيرا الفورية على يد سليمان سولون . وهذا يقودنا الى البحث عن أصل الشعب الثالث الذى حكم دارفور بعد الداجو والتنجور ، وهو شعب الفور الذى تنتمى اليه هذه الأسرة وزعيمها سليمان سولون .

ومن البداية تشير بعض الروايات التاريخية الى أن اسم هذا الزعيم يدل على أنه من العرب ، ذلك أن لقب سولونج الذى يخفف الى سولون والذى عرف به سليمان معناه فى لغة الفور « العربى » أو من يتكلم العربية ، أو من يدين بالاسلام دين العرب ، وفى هذا دليل على اتصال سليمان بالنسب العربى (٨٤) .

وهناك من الروايات ما يؤكد هذا القول . فبعضها تقول بأنه وفد الى دارفور قبل القرن السابع عشر للميلاد جماعة من عرب بنى هلال بقيادة احمد المعقور من نسل أبى زيد الهلالى وصاهروا الكنجارية ، وهى احدى الجماعات الثلاث التى انقسم اليها أعجام الفور من سكان جبل مرة الأصليين والتى كانت تمتاز على غيرها من الفور بوجود الدماء العربية فى عروقها . ونتيجة لهذه المصاهرة نشأ فى الكنجارية أسرة تسمى أسرة كيرا استطاعت بقيادة زعيمها سليمان سولونج أن تؤسس سلطنة دارفور الاسلامية (٨٥) .

وهناك رواية ثانية تقول أن سليمان سولونج نفسه عربى من

(٨٤) مصطفى مسعد : نفس المرجع ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ ،

Arkell : The history of Darfur , S. N. R., IV, p. 268

(٨٥) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٤٤ ، مصطفى مسعد :

نفس المرجع ، ص ٢٢٧ ، Arkell : op . cit, S. N. R., IV, p. 267

قبيلة بنى هلال وتزوج اميرة من الفور (٨٦) ، فانتقل الحكم اليه والى ذريته من بعده عن طريق هذه المصاهرة ، حيث أن العرف فى هذه البلاد يقضى بتوريث ابن البنت (٨٧) ، ورواية ثالثة تقول أن سليمان سؤلونج هو ابن أحمد المعقور من بنى هلال أو من سلالته ، ويعرض السيرتوماس أرنولد تفاصيل للرواية الأخيرة فيقول أن هجرة حدثت وقادها أحمد المعقور من تونس الى دارفور عبر بلاد الكاتم والبرنو ، ولقى أحمد هذا حفاوة عظيمة من ملك دارفور الموثنى الذى تعلق به فجعله مشرفا على شئون بيته واستشاره فى كل أموره نظرا لرجاحة عقله وحسن تدبيره (٨٩) .

ولما كانت خبرة أحمد بأساليب الحكم أكثر رقيما من تلك التى كانت فى دارفور ، فقد تمكن من أن يدخل اصلاحات عديدة فى البلاط وفى حكومة البلاد وفى شئرن الملك الاقتصادية ، وأتبع سياسة حكيمه فى معالته للزعماء المتمردين فخضعوا له ، كما أحبه فقراء البلاد بعد أن قسم عليهم الاراضى ليضع حدا للمتعاب والقلقل الداخلى ونتج عن ذلك أن أحس الناس فى دارفور بشعور من الطمأنينة والرضا والهدوء لم يألوه من قبل ، فأحبه الناس وأحبه الملك (٩٠) .

وللما لم يكن لهذا الملك وريث من الذكور ، فقد زوج ابنته من أحمد وبعينه خليفة له . وقد ايد الناس هذا الاختيار واستحسنوه مما أدى الى انتقال الحكم الى أحمد والى ذريته من بعده ، وتحولت البلاد

(٨٦) مصطفى مسعد : نفس المرجع ، ص ٢٢٧

(٨٧) ابن خلدون : نفس المصدر ، ج ٥ ص ٤٢٩ ،

Mac Michael : The Coming of the Arabs, p . 32

(٨٨) مصطفى مسعد نفس المرجع ، ص ٢٢٧

(٨٩) توماس أرنولد : نفس المرجع ، ص ٣٥٩

(٩٠) المرجع السابق ، ص ٣٥٩

الى دولة اسلامية ، واقتربت اسباب الحضارة التي احدثها هذا الزعيم وذريته من بعده من غير شك ببعض نشاط في نشر تعاليم الدعوة الى الاسلام ، ولكن يظهر ان هؤلاء العرب المهاجرين لم يبذلوا الا جهدا يسيرا جدا في سبيل نشر دينهم بين اخوانهم الوثنيين ، ذلك انه من المؤكد ان دارفور لم تدخل في الاسلام الا بجهود احد ملوكها ويدعى سليمان الذي بدأ حكمه - حسب رأى ارنولد - سنة ١٥٩٦م (٩١) ، والذي يجعله نعوم شقير ابناً لأحمد المعقور ، ويجعل بداية حكمه في عام ٨٤٨هـ / ١٤٤٥م حسبما ورد في روايات أهل السودان أنفسهم (٩٢) .

ومن الملاحظ ان هذه الرواية تفيد بأن الفور ينسبون الى بنى هلال والى أحمد المعقور الهلالي بالذات ، كما انتسب اليه التنجور من قبل (٩٣) ، ولا يعنى ذلك ان هناك اضطراباً في هذه الروايات اذا ما علمنا ان أسرة كيرا تحمل دماء تنجورية لأنها وكما تقول نازلة من نفس أجداد التنجور (٩٤) ، أي انها نازلة من التنجور القدامى (٩٥) ، وأن كورو والد سليمان الثانى كان سليلاً للحكام التنجوريين الذين فقدوا سلطانهم على أورى عاصمة الاقليم حوالى عام ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م (٩٦) نتيجة لاغتصاب أسرة كيرا للحكم من التنجور ، اذ أنه بعد ذلك وفى العصور التالية كان سلطان التنجور الذين يقيمون فى جبل حريز على بعد مسيرة يومين الى الشرق من جبل مرة يلبس اللثام الأسود أو العمامة السوداء حزناً وحدادا على فقدان السيادة من أسرته التي اغتصبتها

(٩١) المرجع السابق ، ص ٣٥٩

(٩٢) تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ، ج ٢

ص ١١١ ، ١١٢

(٩٣) أحمد شلبي : نفس المرجع ، ج ٦ ص ١٤١ ، ١٤٢

(94) Arkell : A history of the Sudan, p. 213.

(95) Arkell : The history of Darfur , S. N. R., IV, p. 275

(96) Ibid : S. N. R., IV, p. 267

أسرة كيرا الفوراوية (٩٧) ، وذلك خلافا لسلطان دارفور الذى يتعمم ويتلثم بلثام أبيض وعمامة بيضاء (٩٨) .

وعلى ذلك يمكن القول بأن الفور ينتمون أصلا الى التنجور ، أو أنهم كانوا ثمرة اختلاط التنجور بشعب الدايجو (٩٩) السابق على التنجور فى حكم دارفور ، وأن الفريقين ، أى الفور والتنجور ينتسبان الى أحمد المعقور والى بنى هلال كما هو الملاحظ من الروايات السابقة .

فليس من الخطأ اذن أن الأصل وهم التنجور والفرع وهم الفور يمكنهم أن ينتسبوا الى القبيلة أو الشخص الذى تناسلوا منه أو يرجعون نسبهم اليه ، خاصة وأن هناك رواية رابعة تقول أنه سبق حكم سليمان سولونج أربعة عشر سلطانا يحملون أسماء عربية (١٠٠) ، وأن كان أركل يشكك فى صحته هذه الرواية (١٠١) .

ومما يدل على عروبة أو استعراب الفور أيضا معنى كلمة الفور نفسها ، فهى كلمة تعنى (السود) مثل كلمة (السودان) ، أى الذين يحملون اللون الأسود ، وهذا الاسم أى اسم الفور أعطاه سلاطين الفور الأوائل الذين يمتازون ببشرة فاتحة اللون لسكان الاقليم الزنجيو الأصل والذين كانوا يتصفون باللون الأسود مثل البنجا *Binga* والباندا *Banda* وغيرهما والذين تسببت البلاد باسمهم ، أو أخذت اسمها من صفتهم وهى السواد والتي كانت تعنى عندهم كلمة (الفور) ، حيث أنهم كانوا أسبق الناس الى سكنى هذا الاقليم من طبقة الحكام أو السلاطين الذين فرضوا طاعتهم على هؤلاء الفور (١٠٢) .

(97) Ibid : S. N. R., IV. p. 267

(٩٨) القونسى : نفس المصدر ، ص ٢١٠

(٩٩) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٢٢٥

(١٠٠) مصطفى مسعد : نفس المرجع ، ص ٢٢٧

(101) Arkell : op cit, S. N. R., IV , p. 26

(١٠٢) عبد الله حسين : السودان من التاريخ القديم ، ص ٢٦٣ ،
Arkell : A history of the Sudan, p 214.

ولم يلبث الفور أن وافقوا هؤلاء السلاطين فى التحول الى الاسلام والخضوع لحكمهم والا هوجموا فاما ان يقتلوا او يستبعدوا ويبياعوا بيع الرقيق . ولم يلبث السلاطين انفسهم ان تحول لونهم الى اللون الاسود ومالوا الى الزنوجة بالتدريج ، نتيجة للزواج المختلط من زوجات سوداوات ومحظيات زنجيات ، فاسودت بشرة السلاطين تدريجيا واصبحوا معروفين عند اتباعهم السودان باسم « الفور » (١٠٣) .

فهؤلاء السلاطين كما هو مرجح من العرب من بنى هلال حسب الروايات السابقة ، او من سلالة العباسيين الذين كان اولهم احمد المعقور واخرهم السلطان على دينار الذى انتهى حكمه فى عام ١٩١٦م كما تقون روايات اخرى (١٠٤) ، او على الاقل كان هؤلاء السلاطين من اصل سودانى ثم اختلطوا بالعرب واستعربوا واسس العرب معهم سلطة دارفور الاسلامية التى دامت من عام ٨٤٨هـ / ١٤٤٥م الى عام ١٢٩١هـ/١٨٧٤م (١٠٥) ، وتحدث الجميع باللغة العربية ، وكانت لغتهم انقى لغة (١٠٦) ، وكانت افصح مما يتكلم به غيرهم من الشعوب العربية الاخرى ، بل انهم كانوا يعتزلون بلسانهم العربى اعتزازا كبيرا (١٠٧) .

وهكذا انتشرت العروبة فى دارفور ، واصبحت غالبية سكانها تتكلم العربية وتكتب اوراقها بالخط العربى ، وكان البيت المالك سواء فى عصر التنجور ام فى عصر الفور يرعى هذه الحركة بصفته فى الاغلب من اصل عربى ، يساعده فى ذلك القبائل العربية التى انتشرت فى طول

(103) Arkell : op. cit, p. 214.

(١٠٤) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج١ ص ٤٨ ، ج٢ ص ١١١ ،

عبد الله حسين : نفس المرجع ، ج٢ ص ٢٦٣

(١٠٥) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج١ ، ص ٤٨

(١٠٦) عبد الله حسين : السوردان القديم والجديد ، ص ٢٢٢

(١٠٧) بوزكهارت : نفس المرجع ، ص ٢٧٤ ، ٢٧٥

البلاد وعرضها ، واختلطت بقبائل دارفور حتى استعربت هذه القبائل ،
ونتج عن ذلك فى النهاية شعب عربى لا يقل فى عرقيته عن أى بلد
عربى آخر ، سواء فى السودان أم فى خارج السودان .

ولم يكن ذلك كله الا بفضل هجرات هؤلاء العرب الذين تدفقوا على
هذا الاقليم منذ القرن الثانى عشر للميلاد على الأقل ، ونشروا فيه
العروبة والدم العربى ، كما نشروا الاسلام أيضا . ذلك ان انتشار
الاسلام سار جنبا الى جنب مع انتشار لغة القرآن (١٠٨) .

٢ - انتشار الاسلام فى دارفور

يعتبر انتشار الاسلام فى دارفور هو النتيجة الطبيعية الثانية
لهجرة العرب الى هذا الاقليم وللنشاط التجارى الذى مارسه أهلها من
عرب وغير عرب مع الاقطار الاسلامية المجاورة والذى سبق ان تعرضنا
له فى مكانه من هذا الكتاب . والحقيقة ان انتشار الاسلام فى دارفور
لا يعود الى هذين العاملين زهى الهجرة والتجارة فقط ، وإنما يعود الى
عوامل أخرى أدت الى هذه النتيجة . ويمكن تلخيص هذه العوامل
فى النقاط الآتية :

- ١ - هجرة غير العرب من المسلمين الى دارفور واشتراكهم مع العرب
فى تحويل هذا الاقليم الى الاسلام .
 - ٢ - احاطة الاسلام بدارفور من معظم نواحيها .
 - ٣ - الحج والحجاج الذين كانوا يمرون بهذا الاقليم وتأثيرهم فى
تحويله الى الاسلام .
 - ٤ - طبيعة حياة العرب وطبيعة الاقليم وأثرها فى نشر الاسلام .
- وهكذا تعددت العوامل التى أدت الى انتشار الاسلام فى دارفور

وذلك قبل قيام سلطنة دارفور الاسلامية قبيل منتصف القرن الخامس عشر للميلاد بزمان طويل ، لان هذه العوامل كانت تؤتى ثمارها منذ ان انتشر الاسلام فى بلدان غربى ووسط افريقيا المعروفة باسم بلاد السودان الغربى والاطوسط منذ القرن العاشر والحادى عشر للميلاد ، ووفد من هذه البلاد حجاجها وتجارها وهجراتها الى دارفور منذ ذلك الحين . وحتى نبين ذلك لابد من الحديث عن هذه العزائل فى شىء من التفصيل .

١ - هجرة غير العرب من المسلمين الى دارفور :

هاجر الى دارفور بجانب العرب قبائل او جماعات اخرى ليست عربية الاصل وكان لها اثرها فى نشر الاسلام فى هذا الاقليم . من هذه الجماعات ، جماعات الزغاوة ، والفلان (الفلاتا) ، والنكارنة . اما الزغاوة فهم خليط من الزنوج والتيو والليبيين ، وكانوا يضمون ايضا بعض بنى تميم العرب ، وبعض الميمة وبعض التكرور (١٠٩) وقد جاء ذكر الزغاوة منذ وقت مبكر فى القرن الثالث للهجرة / التاسع للميلاد عند اليعقوبى اثناء حديثه عن الكانم (١١٠) ، كما وصفهم المهلبى فى القرن الرابع للهجرة / العاشر للميلاد كمملكة واسعة تمتد بين بحيرة تشاد وحدود النوبة ، وكان «ملكتهم كانت تشمل اصلا على كل من كانم ودارفور ، اذ يقول انها مملكة عظيمة من ممالك السودان تشمل امما كثيرة وتحدها من الشرق مملكة النوبة وتمتد غربا مسيرة عشر ايام ، بطول خمس عشرة مرحلة فى مثلها فى عمارة متصلة (١١١) .

ويشير الادريس الذى عاش بعد ذلك فى القرن السادس للهجرة /

(109) Mac Michael : A history of the Arabs, Vol, 2, p. 195

(١١٠) تاريخ اليعقوبى ، مطبعة العزى بالنجف ، العراق ، سنة

١٩٣٩م ، ج ١ ، ص ١٥٦ ،

Arkell : A history of the Sudan, p. 200.

(١١١) ياقوت : معجم البلدان ، ج٤ ص ١٤٢ .

الثانى عشر للميلاد الى امتداد بلادهم فى الشمال حتى فزان الليبية ، وفى الجنوب الى حدود بلاد الكانم بحيث لم يكن بين انجيمى عاصمة بلاد الكانم وبين مدينة زغاوة الا مسافة مسيرة ستة ايام ، كما يشير الى كثرة كور وأقاليم هذه المملكة الواسعة والى كثرة سكانها وكثرة ابلها التى كانت تحمل المتاجر وتنقلها بين مختلف البلدان التى تحيط بها (١١٢) .

وعلى ذلك فان الزغاوة انتشروا منذ القرن التاسع للميلاد على مساحة رحبة تمتد فى الجنوب من دارفور حتى بحيرة تشاد ، وتمتد فى الشمال حتى تصل الى المنطقة الممتدة بين الواحات المصرية والنوبة من ناحية الشرق ، وتنساح غربا الى الخط الذى يصل ما بين فزان فى الشمال وبحيرة تشاد فى الجنوب ، وكانوا يعيشون فى الجزء الجنوبى من هذه المنطقة الواسعة ، بينما كان يعيش اخوانهم من التاجو فى الجزء الشمالى الذى يمتد الى بلاد النوبة ، كما قال بذلك الاديسى الذى يسميهم التاجوين (١١٣) ، والذين كانوا يخضعون للزغاوة ولبن جاورهم من الشعوب الأخرى (١١٤) .

وبسبب وقوع بلاد الزغاوة فى ملتقى الطرق التجارية التى تربط بين الشمال الافريقى وبلاد تشاد ودارفور ، وبسبب كثرة ابلهم التى كانت تحمل التجارة ، فقد تعرضوا للمؤثرات الثقافية الواردة مع التجار العرب وغير العرب ، وبمضى الزمن أخذ الزغاوة باللغة العربية كلغة للتخاطب والمعاملات اليومية ، كما دخلت فى بلادهم تقاليد وعادات عربية ، واعتنق القوم الاسلام بعد عصر لهلبى مع احتفاظهم ببعض التقاليد الموروثة (١١٥) ، ولذلك فان ابن سعيد المغربى الذى عاش فى

(١١٢) نزهة المشتاق ، ج ١ ص ٢٩ ، ٣٠ ، ١١٢

(١١٣) المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٠

(١١٤) المصدر السابق ، ج ١ ص ١١٩

(١١٥) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى

القرن السابع للهجرة / الثالث عشر للميلاد يصفهم بأنهم مسلمون (١١٦) ،
وكذلك فان ابن خلدون الذى عاش فى القرن التالى يصفهم ايضا بنفس
الصفة (١١٧) .

ويبدو أن كثيرا من الزغاوة اضطروا المنزوح والتركز جنوبا فى الجزء
الشمالى بن دارفور فى بداية القرن الثانى عشر للميلاد وهم الذين اشرنا
اليهم عند حديثنا عن القبائل والجماعات التى سكنت دارفور قبل هجرة
العرب اليها ، وكان نزوح الزغاوة الى دارفور نتيجة لتعرضهم لهجرة من
الطوارق سواء كان هؤلاء الطوارق من التيبو والتدا أم من اللثمين .
وقد تمكنت هذه الهجرة أن تفرض سلطاتها على الزغاوة وأن يمتد هذا
السلطان جنوبا ليشمل بلاد الكانم حيث كرنوا فيها طبقة أرسنقراطية
تولت الحكم وأسست سلطنة كانم الاسلامية فى بداية ذلك القرن واطلقت على
نفسها اسم الأسرة السيفية نسبة الى سيف بن ذى يزن الذى انتسبت
اليه (١١٨) .

ولما رحل هؤلاء الزغاوة الى دارفور سكنوا فى الجزء الشمالى
الغربى منها ، ورحل بعضهم الى كردفان وسكنوا أقليم كامجارا (١١٩) ،
وكونوا فى دارفور مملكة تسمى مملكة الزغاوة كان لها سلطانها الذى
يحكمها ، وكانت تشتمل على خلق لا يحصون كثرة حسب تعبير
التونسى (١٢٠) ، كما أنها كانت من أعصر الممالك فى دارفور ، وكانت
أصحها من الناحية الصحية ، ولذلك تجد الزغاوة فى غاية من القوة وسلامة

(١١٦) بسط الأرض فى الطول والعرض ، ص ٢٨ ، ٢٩

(١١٧) تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٩٩

(١١٨) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٢٣٤

(١١٩) التونسى : نفس المصدر ، ص ٥٤ هامش (٥) ، ص ١٤٤

(١٢٠) تشحيد الأذهان ، ص ١٣٦

الأعضاء(١٢١) حتى كان يخشاهم سلاطين الفور ، نظرا لكثرتهم
وشدة بأسهم(١٢٢) .

ونظرا لموقع بلادهم فى الجزء الشمالى من دارفور ، فاتهم كانوا
أول من يستقبلون انتجار القادمين من مصر وغيرها من البلاد التى تفتح
شمال دارفور ، وكان قائدهم هو الذى يستقبل هؤلاء التجار على رأس
فرسانه (١١٣) . وبالنظر الى الخرائط يتبين أن بلاد الزغاوة كان يمر
بها طريق درب الأربعين القادم من مصر ، كما كان يمر بها الطريق
التجارى القادم من الشرق من وادى النيل الى بلاد الكانم والى غرب
افريقيا(١٢٤) .

ولذلك فان الزغاوة كان لهم دور كبير فى استعمال المؤثرات الاسلامية
القادمة عبر هذه الطرق ، كما أن امتداد بلادهم الى الشمال والغرب حتى
تصل الى تشاد جعلهم على صلة ببلاد الكانم التى كانت قد تحولت
الى الاسلام عند نهاية القرن الحادى عشر وأوائل الثانى عشر للميلاد ،
وهذه الصلة بالاضافة الى وقوع الطرق التجارية عبر بلادهم جعلهم
من أهم الجماعات التى كان لها دور فى نشر الاسلام فى دارفور .

وقد سبق القول أن المؤرخين والرحالة العرب القدامى كابن سعيد
وغيره أشاروا الى أن هذه القبائل والجماعات كانت على الاسلام فى
عصرهم الذى يعود الى القرن السابع للهجرة / الثالث عشر للميلاد .
ومعنى ذلك أنهم كانوا من الدعاة الى الاسلام فى هذه البلاد .

أما الفلّان أو الفولانى الذين يسميهم أهل دارفور الفلاتة أو فلاتا وهى

(١٢١) المصدر السابق ، ص ٢٨١

(١٢٢) المصدر السابق ، ص ١٠٩ ، ١١٠

(١٢٣) المصدر السابق ، ص ٥٤

(١٢٤) انظر ، الخرائط الموجودة فى نهاية الكتاب .

اصح عند التونسي ، فهم من الحاميين الذين امتزجت دماؤهم بالدماء العربية وعاشوا أصلا فى شمال نيجيريا وغرب افريقيا ، وتعددت قبائلهم واعتنقوا الاسلام وتكلموا اللغة العربية بجانب لغاتهم الأصلية ، وكانوا من اكثر الناس دعوة لنشر الاسلام بجانب السونك فى غرب افريقيا ، وهاجر بعضهم الى تشاد حيث اختلطوا بالعرب الموجودين بها ثم هاجروا الى دارفور(١٢٥) وسكنوا فى السهول الواقعة جنوبى جبل مرة حتى صارت مساكنهم تقرب من ديار المساليط من جهة الغرب ، وكان العرب من بنى هلبة والمسيرية الزرق يلونهم من جهة الشرق(١٢٦) ، وبلاد الكراكريت من الشمال والتمزركة من الجنوب(١٢٧) .

وعلى ذلك فان بلادهم تقع فى الجزء الجنوبي من دارفور الذى يسمى دار اباديما(١٢٨) . أما بيرون فقد جعلهم حسب خريطته يعيشون فى غرب دارفور فى المناطق الواقعة جنوب دار المساليط وغرب جبل مرة الذى يفصل بينهم وبين بنى هلبة والمسيرية الزرق (١٢٩) . وهذا يجعلنا نميل الى القول بأن بلاد الفلان امتدت من الجنوب الى الغرب حتى اتصلت ببلاد باقرمى (باجرمى) التى كان فيها قوم من الفلان يسمون الفلبة(١٣٠) أو الفولة(١٣١) .

ونظرا لاتساع بلادهم على هذا النحو ، فقد كان الفلان فى

-
- (١٢٥) التونسي : نفس المصدر ، ص ٦٣ هامش (٢) ، كولين
ماكيفيدى : نفس المرجع ، ص ١٢٠ ، محمد بلو : اتفاق الميسور ، ص ٢٠
(١٢٦) المصدر السابق ، ص ١٤٥
(١٢٧) انظر خريطة التونسي رقم (١) .
(١٢٨) التونسي : نفس المصدر ، ص ١٤٢ هامش (٢) .
(١٢٩) انظر ، خريطة بيرون ، رقم ٢
(١٣٠) التونسي : نفس المصدر ، ص ١٢٣ هامش (٤)
(١٣١) أحمد شلبي : نفس المرجع ، ص ٦٣ ص ٣٠٠

دارفور من القبائل الكثيرة العدد ، ومن قبائل البقارة الثرية التي لا تألف معيشة الحواضر والمدن كانوا يتبعون الكلا أيما كان(١٣٢) ، وربما كان هذا هو السر في امتداد بلادهم الى الغرب والى تشاد .

وطبيعي أن هذا التنقل والترحال وراء الكلا والعشب يجعلهم من القبائل المفيدة في نشر الاسلام في دارفور ، ، فهم بطبيعة الحال وفدوا على هذا الاقليم وهم مسلمون ، ذلك أن انتشار الاسلام في بلادهم الاصلية في غرب افريقيا كان أسبق منه في دارفور ، إذ ظهرت هناك ممالك اسلامية توالت وراء بعضها منذ القرن الحادى عشر للميلاد مثل مملكة التكرور وغانة ومالى وسنقى ، وعاش الفلان في رحاب هذه الممالك الاسلامية ، ولما هاجروا الى دار فور حملوا معهم اسلامهم ونشروه بين الوثنيين في هذا الاقليم ، وصارت لهم مكانة كبيرة عند السلاطين حتى استوزر احدهم فقيها فولانيا يدعى مالك الفوتاوى ، نسبة الى فوتا في غرب افريقيا . وقد تسبب هذا الفقيه في علو شأن الفلان في دارفور بعد أن دخلوا تحت أمره ، وصار يذب عنهم ويرفع من شأنهم في مجلس السلطان حتى أعفوا من دفع ما كانوا يدفعونه للسلاطين من مال وصاروا من اقوى القبائل والجماعات وأغناها(١٣٣) ، حتى اتهم أغاروا على قبيلة المساليط المجاورة لهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا ونهبوا منهم أموالا جزيلة من بقر وخيل ورقيق(١٣٤) ، واشتغل بعضهم بالسحر حتى صاروا أكثر من غيرهم شهرة في هذه الناحية(١٣٥) ، وكان لهم تأثيرهم في نشر الاسلام بين القبائل القريبة منهم والمتصلة بهم .

أما الجماعة الثالثة التي هاجرت الى دارفور وساهمت في نشر

(١٣٢) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٣٩

(١٣٣) المصدر السابق ، ص ١٢٥ - ١٢٦

(١٣٤) المصدر السابق ، ص ١٢٦

(١٣٥) المصدر السابق ، ص ٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٣٢٥

الاسلام فيها هي جماعة التكرور . والتكرور شعب يمكن اصلا فوتا السنغالية وتنتشر منازلهم ايضا فى انحاء من افريقيا الغربية على نهر السنغال الأعلى ونهر النيجر وفوتا جالون ، ويعيشون كذلك فيما بين نهر النيجر وبحيرة تشاد وخاصة فى سكوتو (١٣٦) .

وكان التكرور او التكارنة من اسبق الشعوب السودانية فى اعتنائهم الاسلام الذى كان قد تغلغل فى فوتا السنغالية حوالى منتصف القرن الحادى عشر للميلاد عند بداية حركة المرابطين . وقد اخلص التكارنة للاسلام وقاموا على نشره حتى أصبح لفظ تكرور مرادفا لكلمة مسلم (١٣٧) ، مما أعلى من شأنهم حتى جرى العرف عند العرب على اطلاق اسم تكرور على جميع بلاد السودان التى دخلها الاسلام ، التى كانت تمتد من المحيط الأطلس الى حدود وادى النيل ، واصبحت كلمة تكرورى فى نظرهم مرادفة لكلمة سودانى ، وتبعهم فى هذا المؤرخون السودانيون الذين كتبوا بالعربية (١٣٨) واصبح السكان فى هذه البلدان وحتى عصر التونسي اذا سألت ايا منهم عن بلاده قال من التكرور ، سواء كان من بورنو أم من باجرمي أو واداي أو غيرها (١٣٩) ، أو حتى من دار الزغاوة الذين يسمون فيما بينهم بعض التكرور (١٤٠) .

ولذلك صار لفظ التكرور يدل على جميع المهاجرين من هذه البلدان الى السودان الشرقى حيث تفرقوا فى جهاته ولا سيما فى دارفور وكردفان وسنار وكسلا ، واتخذوا اللغة العربية لغة لهم ونسوا لغتهم الأولى ، وتخلقوا بأخلاق العرب وعاداتهم (١٤١) ، وكانت لهم مساهماتهم

(١٣٦) دائرة المعارف الاسلامية ، ج ١٠ ص ١١

(١٣٧) المرجع السابق ، ج ١٠ ص ١٣ ، ١٤

(١٣٨) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٢

(١٣٩) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٣٥

(140) Mac Michael : A history of the Arabs in the Sudan, Vol 2, p. 195.

(١٤١) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٦٤

فى مجال نشر الاسلام بين الرثيين فى دارفور ، بل وفى كل مكان
نزلوا فيه .

٢ - احاطة الاسلام بمعظم جهات دارفور :

معروف أن البلاد التى تحيط بدارفور هى بلاد النوبة من الشرق ،
والصحراء المصرية والليبية وليبيا وتونس من الشمال ، والممالك الكائنة
فى حوض تشاد من ناحية الغرب . وفى هذه الأماكن والبلدان كان
الاسلام قد انتشر قبل أن ينتشر فى دارفور بعصور وقرون .

وقد سبق القول أن بلاد النوبة بشقيها (مقرة وعلوة) والتى
تقع فى شرق دارفور كان العرب قد هاجروا إليها زرافات ووحدانا منذ
أن وصل الإسلام الى مصر . ونتج عن ذلك أن انتشر الإسلام فى
هذه البلاد بالتدريج حتى إذا كان عام ١٣٢٣ م تحولت مملكة مقرة
المسيحية الى دولة اسلامية ، وانتشر الإسلام فى مملكة علوة المسيحية
حتى تحولت هى الأخرى الى مملكة اسلامية فى بداية القرن السادس
عشر للميلاد عندما انتقل الحكم الى أسرة الفونج ، فتسمت المملكة الاسلامية
الوليدة بهذا الاسم وصارت تعرف باسم مملكة الفونج الاسلامية .

والملفت للنظر فى أمر هذه المملكة أن البيت الحاكم فيها انحدر
إليها إما من الشرق أو من الغرب ، وكلاهما له دلالة فيما نذهب إليه من
تأثير الإسلام فيها على دارفور . والرأى الذى يقول أن الفونج أتوا من
الشرق هو رأى الأستاذ الشاطر بصيلى الذى يرى أن دولة اسلامية
قامت فى الجزء الغربى من أريتريا فى القرن الخامس عشر للميلاد وأنها
ترجع فى أصولها الى البيت الذى كان يحكم إقليم الدجن منذ القرن
الثانى للهجرة / التاسع للميلاد على وجه التقريب ، وأن سلطان بيت
الدجن وبيت فنج امتد الى عيذاب شمالاً فيما تحكيه المخطوطات المحيية
وتشير إليه نقوش نقارة السلطان عمارة دونقس وهو أول سلاطين مملكة
الفونج الاسلامية والتى نقول أيضاً بأن جددهم الكبير كان يعيش فى (مولا)
(١٥ - ٣)

أو (لامول) التي تقع في جنوب غرب ايتريا ، وتتاسل منه ملوك حكموا هذه المنطقة حتى كان حكم السلطان عدلان والد السلطان عمارة دونقس (١٤٢) ، وأن هذا السلطان وهو السلطان عمارة تولى الحكم حوالى عام ١٤٩٧ م ، وصار يتنقل بين الآونة والأخرى فى أرجاء مملكته التي امتدت الى حوض النيل الأوسط واحتفظ بكرسى الملك فى (لامول) حتى نهاية الربع الأول من القرن السادس عشر للميلاد على وجه التقريب حيث انتقل الى عاصمته الجديدة فى (سنار) فى حوض النيل الأزرق وانقطعت صلته بعاصمته الأولى لامول (١٤٣) .

وهذا الكلام يدل على أن الاسلام كان قد انتشر فى شرقى السودان قبل وصول الفونج الى سنار بكثير ، وعلى أن وصولهم الى السلطة فيها كان بمساعدة العرب الذين تواجدوا فيها منذ قرون عديدة والذين اثرننا اليهم من قبل (١٤٤) وكونوا عدة ممالك ومشيخات اسلامية فى حوض النيل الأوسط (١٤٥) ، ثم تحالف زعيمهم عبد الله جماع شيخ عرب القواسية من جهينة وأصحابه الآخرون مع آل فنج وتمكنوا من القضاء على مملكة علوة المسيحية واقامة مملكة الفنج الاسلامية مكانها فى عام ٩١٠ هـ / ١٥٠٥ م (١٤٦) . واتصلت هذه المملكه الاسلامية الوليدة بالقوى الاسلامية المجاورة ، ومنها سلطنة دارفور التي كانت على اتصال بها قبل ذلك بكثير ، فكانت دارفور تستعين بفقهاء سنار ، وشجع سلطان دارفور سليمان سولون هؤلاء الفقهاء على النزوح الى بلاده مما أدى إلى انتشار الاسلام فيها (١٤٧) .

(١٤٢) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرفى

والأوسط ، ص ٢١٥ ، ٢٣١

(١٤٣) المرجع السابق ، ص ٢١٥

(١٤٤) انظر ، ص ٧٤

(١٤٥) مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ، ص ٢٠٤

(١٤٦) المرجع السابق ، ص ٢٠٦

(١٤٧) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣٢٢

أما الرأي الثانى الذى يقول بان الفونج أتوا من الغرب من حوض بحيرة تشاد وهو رأى بالمر وأركل اللذين يقولان بان سنار لم ينقطع اتصالها بدارفور وبرنو ، وان تاريخ برنو الذى كتبه الامام أحمد فرتوا ، وهو احد العلماء البرنويين فى عهد المساي ادريس الوها ملك برنو (٩٧٩ - ١٠١٢ هـ) (١٥٧١ - ١٦٠٣ م) ، يشير الى امتداد نفوذ برنو شرقا الى وادى النيل ، وان الروايات المحلية فى هذه البلاد تشير الى أن سلطنة سنار أسسها المساي عثمان الذى طرد من برنو عام ٨٩١ هـ - ١٤٨٦ م ، وأن عمارة درنقس أول سلاطين سنار من سلالة المساي عثمان ، لا سيما اذا عرفنا أن لفظ عمارة يتردد فى جدول أسماء ملوك بورنو (١٤٨) .

والدلالة التى يمكن أن نستخلصها من هذه الآراء على افتراض صحتها ان الفونج اقبلوا من الغرب من حوض بحيرة تشاد ، واذا كان هذا الأمر صحيحا ، فلا بد انهم حين اقبلوا الى سنار مروا بدارفور واستقروا فيها زمنا أو فترة من الوقت ، وأنهم كانوا فى تلك الفترة مسلمين لأنهم اتوا بن دولة اسلامية ، مما يجعل تأثيرهم فى نشر الاسلام فى دارفور امرا محتملا اثناء اقامتهم بها ، ومن المحتمل ايضا انهم عندما غادروها الى سنار خلفوا فيها بعضا من قومهم المهاجرين معهم ، وكان لهؤلاء المستقرين الجدد اثرهم فى نشر الاسلام فى دارفور .

وسواء جاء الفونج من الشرق أم من الغرب فانهم فى النهاية احاطوا بدارفور من ناحيتها الشرقية وكانوا قوة اسلامية لابد انه كان لها تأثيرها فى نشر الاسلام فى دارفور التى لم تنقطع الصلات بينها وبين وادى النيل الأوسط سواء قبل ظهور الاسلام فى هذا الوادى أم بعد ظهوره .

واذا كان الاسلام قد احاط بدارفور من ناحية الشرق على هذا النحو ، فانه احاط بها أيضا من ناحية الشمال . وفى هذا الشمال

تقع الواحات المصرية والصحارى الواسعة الممتدة منها غربا الى فزان وكاوار . وفى هذه الواحات وتلك الصحراء انتشر الاسلام ووفد منهما الى دارفور :

ففى الواحات المصرية التى تقع فى الصحراء الغربية وخصاصه الواحات الداخلة والخارجة انتشر الاسلام فى نواحيها الخمس التى انقسمت اليها ، وأشار ابن حوقل الى ذلك كما أشار الى من نزلها من العرب فقال « ان فيها من بنى هلال عدة غزيرة وامة كثيرة » (١٤٩) ، كما قال ان هذه الواحات كانت فى يد آل عبدون الذين كانوا يرحبون بالتجار ، وبلغت كثرة المسلمين فى هذه الواحات أن اتخذوا فيها « نحو خمسة عشر منبرا ، ولكل قرية من قرى هذه الخمس نواحى مساجد معمورة بالصلوات الخمس » (١٥٠) .

وقد أشار المسعودى المعاصر لابن حوقل الى هذه الحقيقة ، اى الى انتشار الاسلام فى هذه الواحات وقال ان حاكمها كان رجلا مسلما وكان يسمى عبد الملك بن مروان ، وهو رجل من لواتة (١٥١) ، ولعل ابن مروان تحريف لكلمة ابن عبدون التى ذكرها ابن حوقل ، اولعله كان أحد الحكام الذين لم تصل أسماؤهم الى ابن حوقل . وبعد ذلك بعدة قرون أشار الادريسي الى عمران الواحات الداخلة والتى تقع فى صحرائها مدينة سنترية التى يسافر التجار منها الى ارض كاوار وسائر بلاد السودان وأوجله (١٥٢) .

وقد اشتد ساعد الاسلام فى هذه الواحات كثيرا حتى نسب اليها

(١٤٩) كتاب صورة الأرض لابن حوقل ، ص ١٤٥

(١٥٠) المصدر السابق ، ص ١٤٥ ، ١٤٦

(١٥١) مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودى ، ج ٢ ص ٢٦

(١٥٢) نزهة المشتاق ، ج ١ ص ١٢٢ - ١٢٤

قوم من أهل العلم والفقه والأدب ، منهم الشيخ عبد الغنى بن بازل بن يحيى الواحى المصرى أبو محمد ، الذى روى عن أبى الصلت الطبرى ، وأبى الحسن الماوردى وآخرين ، وكان يعيش فى القرن الخامس للهجرة . ومنهم الشاعر أبو عبد الله الطباخ الواحى الذى أورد ياقوت الحموى شيئاً من شعره (١٥٣) .

والجدير بالذكر أن هذه الواحات كانت تتصل بصعيد مصر بعدة طرق ، كما أنها كانت تتصل ببلاد النوبة بيرية تنتهى الى السودان (١٥٤) عامة ودارفور خاصة عن طريق ما يعرف بدرب الأربعين الذى سبى الحديث عنه بالتفصيل . كما أنها كانت تتصل ببلاد كاوار التى تقع شمال بحيرة تشاد وما وراءها من بلاد السودان ، ولذلك فإن هذه الواحات وخاصة الداخلة والخارجة أصبحت واسطة العقد أو مركز اتصال يصل الشرق بالغرب والشمال بالجنوب (١٥٥) ، وذلك بواسطة الطرق التجارية التى ربطتها بهذه الجهات . وقد أفاد هذا الموقع الهام غنى أهل الواحات وراثتهم (١٥٦) ، كما أفاد فى عملية التعريب وكذلك فى عملية نشر الاسلام بين الزغاوة الذين أشرنا اليهم والى انتشار الاسلام بينهم منذ عصر ابن سعيد المغربى من ناحية ، وبين اهالى دارفور من ناحية أخرى .

وفى ناحية الغرب من دارفور كانت هناك ممالك اعتنقت الاسلام قبل ظهوره فى دارفور بقرون عديدة ، وكان لها تأثيرها فى نشره فى

(١٥٣) ياقوت : نفس المصدر ، ج ٥ ص ٣٤٢

(١٥٤) الادريسى : نفس المصدر ، ج ١ ص ١٢٣ - ١٢٤

(١٥٥) ابن حوقل : نفس المصدر ، ص ١٤٣ - ١٤٥ ، الاضطخرى :

مسالك الممالك تحقيق محمد جابر ، مصر سنة ١٩٦١ ، ص ٤١ ، ياقوت :

نفس المصدر ، ج ٥ ص ٣٤٢

(١٥٦) الحسن الوزان : نفس المصدر ، ج ٢ ص ١٥٦

هذا الاقليم . ومن أهم هذه الممالك مملكة الكانم التي تحولت الى دولة اسلامية بتحول الأسرة الحاكمة فيها الى الاسلام فى عام ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م (١٥٧) . وقد أشارت المصادر التاريخية الى انتشار الاسلام فى هذه المملكة ، فقال ابن سعيد المغربى الذى عاش فى القرن السابع للهجرة / الثالث عشر للميلاد أن أهل كانم مسلمون (١٥٨) ، وأن سلطانها مشهور بالجهاد والفعال الخير ، وهو من ولد سيف بن ذى يزن وعنده الفقهاء والدلماء (١٥٩) . وقال ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) أن الكانم خلق عظيم والاسلام غالب عليهم « (١٦٠) ، وقال القلقشندى (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) أن سلطان الكانم من بيت قديم فى الاسلام (١٦١) .

وعلى ذلك فان الاسلام تغلب على بلاد الكانم فى أواخر القرن الحادى عشر للميلاد ووصل اليها قبل ذلك بكثير عن طريق مصر والنوبة وفزان بليبيا (١٦٢) ، مما كان له أثره فى زحف الاسلام من الكانم والممالك التى تدور فى فلكها الى دارفور شرقا وإلى البلاد التى تقع جنوب فزان شمالا . فقد دخلت بلاد البربر التى تقع فى الشمال الغربى للكانم فى طاعة سلطان الكانم وانتشر بيتهم الاسلام على يد ابن جيل (الماى أوم بن عبد الجليل) سلطان هذه البلاد (١٦٣) ،

(١٥٧) أحمد شلبى : نفس المرجع ، ج ٦ ص ١٣٨ ،

(١٥٨) بسط الأرض ، ص ٢٦

(١٥٩) المصدر السابق ، ص ٢٧ ، ٢٨

(١٦٠) تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٩٩

(١٦١) صبح الأعشى ، ج ٥ ص ٢٨١

(١٦٢) نعيم قدآح : أفريقيا فى ظل الاسلام ، دمشق ، بدون

تاريخ ، ص ٨٤ ، توماس أرنولد : نفس المرجع ، ص ٣٥٧ ، الشاطى

بصلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ٤١٥ ،

حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٢٣٥

(١٦٣) ابن سعيد : نفس المصدر ، ص ٢٩

كما أن الزغاويين الذين تقع بلادهم فى الشمال والشمال الشرقى لبلاد الكانم انتشر بينهم الاسلام ودخلوا أيضا فى طاعة سلطان الكانم (١٦٤) ، وكذلك كان الحال فى مملكة كاوار التى تقع شمالى الكانم فقد تحولوا الى الاسلام ودخلوا « تحت طاعة الكانمى » (١٦٥) .

وفى شرقى كاوار وشمالى الكانم تقع مدينة (جاجه) ، وكانت هذه المدينة عاصمة لمملكة واسعة (١٦٦) ، سماها الحسن الوزان باسم (جاوجا) وقال انها تتاخم اقليم بورنو (غرب بحيرة تشاد) من ناحية الغرب ، وتمتد شرقا الى حدود مملكة النوبة ، وتمتد شمالا الى صحراء سرت فى ليبيا وتخوم مصر ، ويبلغ طولها من الغرب الى الشرق نحو خمسمائة ميل ، وقال عن أهلها أنهم اغنياء وأنهم قوم أحرار حتى تكن منهم عبد زنجى منذ مائة سنة فى عام ٨٢٣ هـ / ١٤٢٠ م حيث قام بقتل سيده التاجر واستولى على أمواله وثيابه وأسلحته ووزعها على أصدقائه ، واشترى الخيل وأخذ يشن الغارات على أعدائه (١٦٧) .

وقد تضاعف جنود هذا المغتصب واشتد ساعده وزاد بطشه حتى تم تنصيبه رئيسا وأميرا على هذه البلاد ، وخلفه ابنة بعد موته ، ثم جاء بعده أحد أخوته واسمه موسى ، ثم خلفه أحد أحفاده المدعو عمر وهو الأمير الحالى الذى كان معاصرا للحسن الوزان الذى قال عنه أنه وسع كثيرا من رقعة املاكه ، ونال صداقة سلطان مصر ورعايته بفضل هداياه ومجاملاته الكثيرة ، وحصل منه على الأسلحة والأقمشة والخيل التى كان يدفع فيها ضعف ثمنها متظاهرا بالسفاهة ، مما جعل تجار

(١٦٤) المصدر السابق ، ص ٢٨ ، ٢٩

(١٦٥) المصدر السابق ، ص ٢٩ ، ٤٨

(١٦٦) المصدر السابق ، ص ٢٧

(١٦٧) الحسن الوزان : نفس المصدر ، ج ٢ ص ١٧٧ - ١٧٨

مصر لا يقصدون غير بلاطه ، وفقراء القاهرة يفدون اليه حاملين بعض الهدايا الجميلة النادرة ، فيدفع اليهم ضعف ثمنها (١٦٨) . وقصة هذا العبد وأسماء أولاده واحفاده الذين حكموا من بعده تدل على أنهم كانوا مسلمين وحكموا بلادا اسلامية .

وقد انتشر الاسلام أيضا في البلاد التي تقع شرقى هذا الجزء من الصحراء اللبية والذي كان يسمى (تاجوه) التي كانت تبعد عن النيل بحوالى مائة ميل ، ودخل أهلها أيضا فى طاعة ملك الكانم (١٦٩) . ويشير ابن سعيد الى أن تاجوه كانت قاعدة للزغاويين (١٧٠) الذين انتشروا جنوبا حتى وصلوا الى شمالى دارفور كما سبق القول ، كما انتشروا أساسا فى الصحراء الواقعة شمال شرقى بحيرة تشاد .

وهذا يدل على أن مملكة الكانم سيطرت على البلاد التي تقع فى شمالها حتى فزان بما فيها كاوار ، والتيبو أو التدا الذين يسكنون هضبة تبستى (١٧١) ، وكذلك على الشعوب والقبائل التي تسكن بين جنوب هذه الهضبة حتى شمالى دارفور ، وفى شرقها حتى بلاد النوبة ، مما يؤكد ما ذهب اليه آركل وغيره من أن سلطان الكانم وخاصة فى عهد ملكها العظيم المسبى دوناما دباليمى (٦١٨ - ٦٤٨ هـ / ١٢٢١ - ١٢٥٠ م) أتت الى جزيرة ساي Sai فى نهر النيل فى عام ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م ، وكذلك على كل الطرق التجارية التي تمر فى هذه البلاد ومنها طريق درب الأربعين الذى يصل دارفور بالبلاد المصرية ، وكذلك سيطر هذا الملك على بلاد التيبو وفزان فى الشمال ، وجنوبا استولى على شمالى دارفور (١٧٢) .

(١٦٨) المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٧٨ - ١٧٩

(١٦٩) ابن سعيد : نفس المصدر ، ص ٣٠

(١٧٠) المصدر السابق ، ص ٣٠

(١٧١) ابن خلدون : نفس المصدر ، ج ٦ ص ١٩٩

(172) Arkell : A history of the Sudan, p. 194 & The history of Darfur, S. N. R., IV, pp. 264, 270 , 274.

وهكذا اتسع نفوذ الأسرة الحاكمة فى الكانم حتى بلغ حدود مصر شرقا وفزان شمالا ونيجيريا غربا ، وعار لها علاقات تجارية مع طرابلس ومصر ، وبهذا اتسعت حدودها فى كل اتجاه وذلك فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر للميلاد (١٧٣) ، مما جعل تأثيراتها الاسلامية تندلع فى الأماكن والبلدان المجاورة لها وخاصة دارفور التى ترتبط معها بروابط عديدة سبقت الاشارة اليها . ولذلك فان آركل يقول ان ثقافة دارفور يبدو انها اشتقت او نبتت كثيرا من بلاد الكانم والبورنو اكثر من غيرها من البلدان الأخرى (١٧٤) ، ويبالغ آركل فىقول ان الكانم كانت هى القوة الافريقية الوحيدة الكبيرة التى من المحتمل ان تكون قد مارست تأثيرا مباشرا على تاريخ دارفور خلال النصف الاول من القرن الثالث عشر للميلاد (١٧٥) ، وأن هذا التأثير لم يضعف الا بعد دخول العرب الى دارفور فى القرن الرابع عشر للميلاد (١٧٦) .

وهكذا أحاط الاسلام بمعظم الجهات التى تحيط بدارفور ، وأصبح سائدا فى الأقطار المجاورة (١٧٧) مما جعل امر انتشار الاسلام فيها شيئا لا مفر منه ، ولم يكن من المعقول أن ينتشر الاسلام على هذا النحو فى البلدان التى أحاطت بدارفور من الشرق والشمال والغرب ويقف عند حدود هذا الاقليم ، خاصة وان الاسلام كان قديما فى بعض هذه البلاد مثل مصر التى كانت لها علاقات تجارية كبيرة مع دارفور . وكما كان للتجارة شأنها فى انتقال بعض العرب الى دارفور ، كذلك كان لها شأنها الكبير فى انتقال الاسلام مع التجار ايا كانوا الى هذا الاقليم الذى أحاطت به دول عربية واسلامية عديدة من جميع جهاته عدا الجنوب ،

(١٧٣) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٢٣٦ ، احمد شلبي

نفس المرجع ، ج ٦ ص ٢٩١

(174) Arkell : The history of Dafur , S. N. R., IV, p. 270.

(175) Idib : S. N. R., IV, p. 265 .

(176) Ibid : S. N. R., IV, p. 271.

(177) Ibid : S. N. R., IV, p. 268.

ما كان له اثره الكبير فى تدفق الاسلام اليه ، لا سيما وأن هذا الاقليم لم تقم فيه مملكة مسيحية ، ولا كنيسة مسيحية يمكن ان تقف عائقا امام انتشار الاسلام فيه كما حدث فى مملكتى مقرة وعلوة المسحيتين ، فقد كانت دارفور على الوثنية ولم يثبت انتشار المسيحية بها (١٧٨) مما سهل على الاسلام اقتحام هذا الاقليم دون صعوبة بعد ان أحاط به من معظم نواحيه ، خاصة وأن هناك عاملا آخر ساعد على هذا الاقتحام وقوى من شأنه . هذا العامل هو الحج .

٣ - تأثير الحج والحجاج فى نشر الاسلام فى دارفور :

ذلك أن انتشار الاسلام فى بلاد السودان الممتدة من المحيط الأطلسى الى وادى النيل ادى الى وفود قوافل ضخمة وعديدة بغرض الوصول الى بيت الله الحرام فى مكة لاداء فريضة الحج . وقد سلكت هذه القوافل طريقين ، اولهما طريق شمالى عبر ساحل شمال افريقيا الى مصر ومنها الى بلاد الحجاز ، والثانى طريق يأتى من غربى افريقيا الى بلاد الكانم ومنها الى دارفور ، ثم يتجه الى ساحل البحر الأحمر عبر السودان وادى النيل ، ومنه عبر البحر الأحمر الى بلاد الحجاز (١٧٩) .

وبدو أن قوافل الحجاج عند وصولها الى دارفور كانت تسلك طريقين ، اولاهما يتجه شرقا من دارفور الى ميناء مصوع أو سواكن على ساحل البحر الأحمر مخترقا النيل الابيض والازرق . والثانى يتجه شمالا بشرق ويبدأ من دارفور ويتبع طريق درب الأربعين الى اسيوط ، ومن هناك الى القاهرة ، أو يتبع درب الأربعين حتى يصل الى الواحات

(١٧٨) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٢٧٩ ، ٣٢٥

(١٧٩) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والوسط ، ص ٤٢٢ ، ابراهيم طرخان : دولة مالى الاسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٣ ، ص ٨٠ ،

Arkel : The history of Darfur, S. N. R., II, p. 216.

الداخلة والخارجة ، ومنها لا يتجه الى اسيوط فى الشمال ، وانما يتجه شرقا الى أسوان ومنها الى ميناء عيذاب الذى يقع على ساحل البحر الأحمر زمنه الى بلاد الحجاز (١٨٠) .

وقد تحول الحجاج القادمون من غرب افريقيا ووسطها الى هذا الطريق الأخير الذى يمر بدارفور وينتهى الى ميناء عيذاب ابتداء من القرن الثانى عشر للميلاد ، وذلك بسبب الحروب الصليبية التى كانت قائمة فى بلاد الشام وفلسطين وكانت تهدد الجزء الشمالى من البحر الأحمر فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر للميلاد (١٨١) .

وقد وافتنا الروايات التاريخية بأخبار طيبة عن رحلات ملوك غرب افريقيا مثل ملوك مالى وصنعى ، وملوك وسط افريقيا مثل ملوك الكانم والبرنه الى بلاد الحجاز عبر مصر (١٨٢) ، وكانت قوافلهم يصحبها كثير من التجار وكثير من الحجاج من رعاياهم الذين كان بعضهم يفضل البقاء فى المدن والمراكز التجارية الواقعة على طول الطريق من بلادهم الى بلاد الحجاز سواء فى مصر أو فى دارفور ، حيث كان بعضهم يصابر اهالى دارفور ومشايخ قبائلها الذين كانوا يحملون القاب الملوك والساطين . والمثال على ذلك ان زغاوة دارفور وغيرهم من الزغاوة الاخرين يدعون انهم من اصل برنوى ، لكونهم نتيجة لزواج الحاج على البرنوى المتعام الذى كان فى طريقه الى الحج وتوقف فى دار الزغاوة بدارفور وصاهر سلطانها (١٨٣) .

(١٨٠) انظر الخريطة رقم ٣ ، ٤ ، ٥

(١٨١) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٥٦

(١٨٢) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرفى

والأوسط ، ص ٤٢٢ - ٤٢٣ ، حسن محمزد : نفس المرجع ، ص ٢٣٧ ،

ابراهيم طرخان : نفس المرجع ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٩

(183) Arkell : The history of Darfur, S. N. R., 11, p. 218.

وبجانب وجود بعض الحجاج الكانبيين والبرنويين فى دارفور ، فقد سبقت الإشارة الى وجود بعض التكرارة أو التكرور ، وكذلك الفولانى فى دارفور ، ولم يكن وجود هؤلاء الناس فيها الا نتيجة لهجرات قاموا بها من بلادهم ، أو نتيجة للتخلف فى دارفور عند عودتهم من بلاد الحجاز .

وعلى أية حال فقد كان لموقع دارفور كمعبر للحجاج اثر كبير فى نشر الاسلام بين اهله الذين أقبلوا على أداء هذه الفريضة ، حتى صار أكثر من حجاجا (١٨٤) ، خاصة وأن الحج كان يهب صاحبه مركزا اجتماعيا وأدبيا مرمقا بين أهله وعشيرته وفى محيط قرينته ، وكان العرب فى دارفور واهاليها الذين اعتنقوا الاسلام يحرصون على أداء هذه الفريضة بما يصاحب ذلك من مظاهر البهجة والفرحة ، ومن حفلات كانت تنشد فيها الاغانى والأناشيد الدينية المؤثرة ، سواء قبل قيام الحجاج برحلتهم أو بعد عودتهم منها ، وكل ذلك كان يلفت نظرا الوثنيين فى دارفور ، وكانوا فى الغالب يشاركون فى هذه الاحتفالات مما كان يترك اثرا فى نفوسهم ويدفعهم - بجانب عوامل أخرى - لاعتناق هذا الدين الذى يرفع صاحبه الى هذه المكانة الاجتماعية المرموقة .

وهكذا تعددت وسائل اتصال دارفور بالبلاد الاسلامية المحيطة بها ، وكان الحجاج والتجار هم أهم وسائل هذا الاتصال ، مما ترك اثرا كبيرا فى عملية نشر الاسلام والثقافة العربية فى هذا الاقليم ، وأفسحت الوثنية الطريق بسرعة أمام الاسلام ، وأصبح النظام القبلى العربى نظاما عاما مألوفاً (١٨٥) ، وأصبح اتصال دارفور بالدول الاسلامية قويا سواء فى بلاد النوبة أم فى مصر التى كان يذهب اليها الطلاب لتلقى العلم فى الأزهر ، ولهم فيه رواق معروف باسم رواق دارفور ، كما اتصل أهل

(١٨٤) محمد بلو : اتفاق الميسر فى تاريخ بلاد التكرور ، القاهرة

سنة ١٩٦٤ ، ص ٢٩

دارفور بترنس ، وذهب كثير منهم الى كانه وتبكت طلبا للعلم (١٨٦) ، كما اتصلوا ببلاد الكانم التي كان لها اثرها القوي في أهل دارفور وثقافتهم وفي تحولهم الى الاسلام كما سبق القول ، نظرا لعدم وجود فواصل جغرافية كالجبال او البحار تحول دون الاتصال بين البلدين ، بل ان الاتصال بينهما كان اتصالا دائما ومستمرًا ، وسبقت الاشارة الى وجود كثير من القبائل العربية وغير العربية التي كانت تنقسم بينهما فيسكن بعض القبيلة في دارفور ، ويسكن بعضها الآخر في بلاد الكانم وما يجاورها من ممالك صغيرة مثل واداي وباجرمي وغيرها .

وإذا كان للعوامل السابقة التي تحدثنا عنها هذا الأثر في ربط دارفور بما يقع حوالها من بلاد ، مما ساعد على نشر الاسلام فيها ، فان طبيعة الأرض وطبيعة هذا الاقليم الجغرافية وطبيعة حياة العرب فيه كان لها اثرها في نشر الاسلام بين سكانه أيضا .

٤ - طبيعة حياة العرب وطبيعة دارفور الجغرافية واثرها في نشر الاسلام :

سبق القول ان القبائل التي نشرت الاسلام في دارفور هي قبائل عربية في الأساس . وهذه القبائل كانت اصلا قبائل تسكن البوادي واطراف المدن والقرى في صعيد مصر وبلاد النوبة وغيرها من البلدان التي هاجرت منها الى دارفور ، فهي اصلا قبائل بدوية رعوية أو شبه رعوية . والبدو عادة لا يستقرون في مكان ، وانما هم في انتقال دائم وراء مصادر الماء والعشب والكأ اللزوم لرعى ابلهم ومواشيهم . وقد عبر التونسي عن هذه الحقيقة في حديثه عن قبائل العرب في دارفور فقال ان البقارة منهم « أكثرهم أهل ثروة لا يالفون الحاضرة ، بل يتبعون الكأ أينما كان » (١٨٧) .

(١٨٦) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ٢ ص ١٤٦ ، عبده بدوي : مع حركة الاسلام في افريقية ، القاهرة سنة ١٩٧٠ ، ص ١٣١ ، حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣٣٨

(١٨٧) .تشحيذ الأذهان ، ص ١٣٩

والمعروف ان القبائل العربية فى دارفور انقسمت الى بقارة وأبالنة كما سبق القول ، وكان الفريقان من البدو الرعاة ، وكان البقارة يعتمدون فى معاشهم على رعى البقر ، ومن ثم سُموا بالبقارة ، وسبق القول انهم سكنوا الجزء الجنوبي من دارفور ، وكانوا يأخذون مواشيهم فى فصل الجفاف الى المناطق الجنوبية والى مشارف اقليم الزنوج وحول الاراضى النهرية الجنوبية التى تقع شمال بحر العرب وبحر الغزال ثم يتجهون فى فصل الأمطار وخاصة فى شهرى ابريل ومايو شمالا الى الاراضى التى كانت تنبت فيها الأعشاب الموسمية نتيجة لسقوط الأمطار . وهم على ذلك كانوا فى رحلتهم الى الجنوب وفى رحلتهم الى الشمال بين خطى عرض ٩ و ١٣ شمال خط الاستواء ، وهى منطقة تشمل النصف الجنوبي من دارفور وكذلك الاراضى التى تقع جنوبا حتى بحر العرب الذى يعتبر الحد الجنوبي للبدو البقارة العرب ، والذي سُمى باسمهم حيث تغلب الأسماء العربية على المسمايات الجغرافية فى هذه المنطقة (١٨٨) .

وطببعى ان هذه القبائل كانت فى انتقالها ورحلاتها تنشر عاداتها وتقاليدها وأهم من ذلك كانت تنشر ما تحمله من دين ولغة خلال عمليات الزواج والمصاهرة والاختلاط التى كانت تتم بينهم وبين الأهالى المحليين بكثرة ، حتى انهم صاروا فى النهاية يحملون الوان هؤلاء الأهالى وأشكالهم الجسمانية بمرور العصور والأيام ، نتيجة لهذا التداخل الذى تم بين الفريقين (١٨٩) ، كما انهم بزواجهم من الدارفوريات خلفوا جيلا من المولدين اعتنق دين الأباء من العرب ، مما زاد من شدة تيار التحول الى الاسلام الذى أخذت رقعته تتسع نتيجة لتوالى الزواج والاصهار

(١٨٨) دائرة المعارف الاسلامية ج ٦ ص ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ج ٧

ص ٤٥٦ مادة « البقارة » ،

(١٨٩) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٤٤ - ١٤٥ ، عبد الله

حسين : السودان القديم والجديد ص ٢٢٢ ، حسن محمود : نفس

المرجع ، ص ٣٠٩ ، دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٧ ص ٤٥٧

الى شعب الفور(١٩٠) ، مما حدا ببعض المؤرخين الأجانب الى القول بأن العرب انتصروا عن طريق الزواج المختلط أكثر من انتصارهم بقوة الجيوش(١٩١) .

على أن هذه القبائل تحولت الى تربية الماشية من أبقار وغيرها وتركت رعى الابل الذى كانت تعتاده فى بلادها الأصلية ، لأن الأراضى التى هاجرت اليها فى جنوبى دارفور لم تكن تصلح لرعى الابل ، واصبح اسم البقارة لصيقا بها ولا يطلق الا عليها وعلى القبائل العربية التى ترعى الماشية أيضا فى وادى وكردفان ، أما اخوانهم من العرب فى الكانم والبرنو فقد اطلق عليهم لفظ (, الشوا) (١٩٢) ، وربما كان هذا الاسم مشتقا من كلمة الشاه .

أما الأباله فى دارفور فقد كانوا يسكنون النصف الشمالى منها وينطلقون فى تجوالهم الى الصحراء المترامية فى الشمال والشرق والغرب ، وكانوا يحرسون القوافل المتجهة الى دارفور من هذه الجهات ، ويقدمون لها قرب الماء واللبن قبيل وصولها الى دارفور فى مكان يقع على مسيرة عشرة أيام من حدودها الشمالية يسمى بئر الزغاوى أو بئر النطرون كانت تستريح فيه القوافل وتنال حظها من الطعام والشراب والماء(١٩٣) . وتتكرر عملية تقديم هؤلاء العرب لهذه القوافل ما تحتاجه عند مكان آخر يسمى بئر المزروب الذى يعتبر أول أعمال دارفور ، ويقع فى وادى مسروق المعروف الآن بوادى زروق الواقع عند خط عرضي ١٥ وخط طول ٢٥ درجة(١٩٤) .

وبطبيعة الحال فان الأباله كانوا أكثر من البقارة انتقالا ورحلة ،

(١٩٠) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣٠٩

(191) Mac Michael : The Coming of the Arabs to the Sudan

p. 59.

(١٩٢) دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٧ ص ٤٥٥ ، ٤٥٧

(١٩٣) التونسى : نفس المصدر ، ص ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤

(١٩٤) المصدر السابق ، ص ٥٤ ، هامش (٢) نفس الصفحة .

لطبيعة الابل التي كانت تساعدهم على ذلك ، ولطبيعة المنطقة التي كانوا يتنقلون في أرجائها ، فهي سهول مكشوفة ذات أعشاب وحشائش قصيرة لا تعوق تقدم ابلهم . وقد سبق القول أن دارفور عبارة عن اراضى سهلية منبسطة تشقها من الشمال الى الجنوب سلسلة من الجبال تسمى جبال مرة ، وتبسط السهول الرملية حول هذه الجبال من جميع الجهات مما أعطى فرصة واسعة للحركة لقبائل البدو من العرب ، ولذلك فإن هذه القوافل لم تعش الا في هذه السهول وعلى أطرافها حيث انها ملائمة لرعى ابلهم ان كانوا أبالة ، أو بقرهم ان كانوا بقارة .

وقد ساهم الأبالة ربما أكثر من البقارة في نشر اللسان العربى والدم العربى والاسلام والثقافة العربية الاسلامية فى الجزء الشمالى من دارفور ، وحيثما كانوا يرتحلون وينتقلون . وهكذا أنتشر الاسلام فى معظم نواحي دارفور نظرا لطبيعة القبائل التي نشرته فيها ، ونظرا لطبيعة ارض دارفور ذاتها ، ولم يستطع الاسلام التقدم جنوب هذا الاقليم بسبب عدم ملاءمة الأرض لزحف البدو حيث توجد المستنقعات والأمراض الفدناكة (١٩٥) التي كانت متوطنة حول روافد بحر الغزال وفى الأرض التي تمتد فى الجنوب بما لا يلائم أهل الابل أو المشاشية التي كانت تفتك بها ذبابة تسمى تسي .

وهو نفس ما حدث فى بلاد النوبة وفى بلاد الحبشة ، اذ وقفت الشلالات والجنادل عقبة كأداء أمام زحف الاسلام حتى القرن الرابع عشر للميلاد فى بلاد النوبة ، واستطاعت هضبة الحبشة المرتفعة أن ترد الاسلام عنها أكثر من مرة ، ولم يستطع الاسلام أن يتوغل فى بلاد الحبشة الا من ناحية الشرق والجنوب الشرقى حيث لم يستطع أن ينفذ اليها من الشمال عبر الصحراء المصرية أو عبر بلاد البجة الا فى وقت متأخر نوعا ما (١٩٦) .

(١٩٥) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٦٧

(١٩٦) المرجع السابق ، ص ٦٧

وإذا كانت طبيعة حياة العرب فى التنقل والترحال فى دارفور قد أدت الى انتشار الاسلام فى معظم جهات هذا الاقليم فى العصور الوسطى ، فان هذه الطبيعة ذاتها هى التى جعلت هذا الانتشار وان كان غامرا الا أنه كان بطيئا ، بمعنى أنه استغرق عددا كبيرا من السنين قد تصل الى قرون ، اذ لم تكتمل حركة انتشار الاسلام ويصبح الاسلام دين الدولة الرسمى الا على يد سليمان سولون الذى اقام سلطنة دارفور الاسلامية فى عام ٨٤٨هـ / ١٤٤٥م ، وكان أول سلطان لها (١٩٧)

ذلك أن العرب وكما قلنا اتوا الى دارفور فى شكل قبائل بدوية اشتهت بالرعى واكثرت من الترحال ، فلم تساعدها ظروف البيئـة الطبيعية على الاستقرار والتأثير السريع فى نشر الاسلام ، ذلك أن اهتمامهم الرئيسى كان منصبا فى البحث عن المراعى التى لا تقوم حياتهم الا بها (١٩٨) ، ولذلك لم يقوموا بحملات تبشيرية اسلامية واسعة ، بل اكتفوا فى الغالب بمساكنة السكان الأصليين والتقرب اليهم ومصاهرتهم ، وترك الاسلام ينتشر تدريجيا بين هؤلاء السكان بفعل المخالطة والمصاهرة (١٩٩) دون تبشير ودون دعوة مباشرة ، ولعب الايحاء والتأثر التلقائى بالعرب والمسلمين المقيمين فى دارفور دوره فى تحول الناس فيها الى الاسلام (٢٠٠) .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان الهجرات العربية التى اتجهت الى دارفور لم تكن فتحا عسكريا يمكن أن يقارن بما قامت به بعض هذه الهجرات فى البلدان الأخرى وانما كانت هجرات سلمية تتسرب الى

(١٩٧) المرجع السابق ، ص ٣٢٣

(١٩٨) توماس أرنولد : نفس المرجع ، ص ٣٥٩ ،

(١٩٩) مكي شبيكه : مملكة الفونج الاسلامية ، معهد الدراسات

العربية ، القاهرة ، سنة ١٩٦٤ ، ص ١٩

(٢٠٠) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرعى

والأوسط ، ص ١٦

الحياة فى هدوء، وتحتاج الى عنصر الوقت لتحقيق غاياتها واهدافها(٢٠١)،
سواء فى نشر الاسلام ام فى غير ذلك، من الأمر . وترتب على ذلك نتيجان :
اولاهما هى انتشار الاسلام فى بطن وهو ما اشرنا اليه ، وثانيهما
هى وجود بعض الوثنيين فى دارفور حتى اليوم .

والدليل على ذلك أنه فى عصر التونسى أى فى بداية القرن
التاسع عشر للميلاد كان يوجد سبعة ملوك أو بمعنى أصح سبعة حكام
اقليم وثنيين من بين سبعة وعشرين ملكا فى دارفور(٢٠٢) ، كما اشار
سلاطين باشا فى أوائل القرن الحالى أن قبيلة البدايات التى تشكن على
الشمال الغربى من دارفور لا تزال على الفتشية ، وأن اهلها يعبدون
الشجر ولهم عاداتهم الوثنية فى ارث الابن لأموال ابية وزوجاته(٢٠٣) .

وقد أشار التونسى أيضا الى بعض العادات ذات الطابع الوثنى
والتي ظلت ملازمة لكثير من عامة الناس(٢٠٤) ، كما اشار لظاهرة
انتشار السحر والشعوذة(٢٠٥) . وأشار نعوم شقير الى غير ذلك
من المعتقدات الباطلة كالتكهن والتطير والعزائم السحرية والطلاسم
وغير ذلك مما يبابه الشرع ولا يأمر به الكتاب والسنة ، ولا يسلم
به المسلمون(٢٠٦) .

ويخبرنا المؤرخ السودانى الشاطر بصلى عبد الجليل بأن هذه
المعتقدات والأباطيل لم تكن وليدة الهجرات العربية ، بل هى عريقة
فى القدم وتوارثها القوم من آباءهم وأجدادهم عن أقدم القصور الوثنية ،

(٢٠١) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٢٩٦

(٢٠٢) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ٢ ص ١١٣ - ١١٤

(٢٠٣) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ١٩٤

(٢٠٤) تشحيد الأذهان ، ص ١٥٩

(٢٠٥) المصدر السابق ، ص ١٦١ - ١٦٤

(٢٠٦) تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ، ج ١ ص ١٤٠

وأخذت تتطور مع انتقالها من عصر الى عصر ، حتى جاء العهد الاسلامى فتمسك بها بعض الناس الذين رأوا فيها فائدة لهم (٢٠٧) ، مما يدل على اثر البيئة المحلية فى المجتمع الاسلامى الذى نشأ فى دارفور فى تلك العصور الغائبة ، وطبيعى انه لا يمكن لآى مجتمع أن يتخلص تماما من تأثيرات العصور السابقة عليه بسهولة وفى سرعة ، سواء فى الحياة الدينية أو غيرها من مظاهر الحياة الأخرى .

وان دل هذا الأمر على شىء فانها يدل على أن الاسلام انتشر فى دارفور دن قهر أو اجبار ، ودون سيء، أو تعنت أو اكراه ، فانتشاره فى بطة فى دارفور على هذا النحو ووجود بعض الوثنيين حتى اليوم ، لا يقلل من الجهد الكبير الذى تم بذله فى سبيل نشر الاسلام فى هذا الاقليم، ويكفى أن الصورة العامة لهذا المجتمع هى الصورة الاسلامية ، والصبغة الغالبة هى الصبغة العربية . فهو مجتمع عربى مسلم لا يقل فى ذلك شأننا عن غيره من المجتمعات الاسلامية فى البلدان العربية والاسلامية الأخرى ، ويعود الفضل فى ذلك الى القبائل العربية التى هاجرت اليه على مدى عصور متتالية وقرون عديدة ، والى تلك الدولة الاسلامية التى قامت فيه نتيجة لتطور الحركة الاسلامية وازدهارها فيه الى درجة جعلت من قيام هذه الدولة أمرا محتوماً لا مفر منه . ذلك أن ظهور هذه الدولة كان يتوقف تماما على عمق التيار الاسلامى وعلى صبغ البلاد بالصبغة الاسلامية الواضحة (٢٠٨) .

وقد تم هذا الأمر فى القرن الخامس عشر للميلاد ، مما أدى الى قيام هذه الدولة قبيل منتصف ذلك القرن وليس فى القرن السادس عشر أو السابع عشر للميلاد كما قال بذلك بعض المؤرخين ، وتمكنت هذه الدولة التى تلقب أول سلاطينها بلقب سولون (سولونج) أى العربى المسلم من تعميق الحركة الاسلامية وتكريس العروبة والاسلام فى هذا

(٢٠٧) معالم تاريخ السودان وادى النيل ، ص ٥٣ - ٥٤

(٢٠٨) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٢٢٣ ، ٢٢٥

الاقليم الهام من اقاليم السودان الشقيق ، مما جعل الحديث عن قيامها
أمرا لا بد منه لتوضيح أثرها في تحقيق هذه النتيجة .

٣ - قيام سلطنة دارفور الاسلامية

يعتبر قيام هذه السلطنة في الواقع ابلغ دليل على نجاح القبائل
العربية التي هاجرت الى دارفور في نشر العروبة والاسلام بها ، وعلى
بلوغ الحركة الاسلامية فيها قمة النضج والازدهار ، وهو في نفس الوقت
تعبير عن نفس التطور الذي شهدته هذه الحركة في البلدان الافريقية
الأخرى التي تقع جنوب الصحراء وتمتد من المحيط الأطلسي الى البحر
الأحمر وبحر الزنج .

وفي هذه البلدان بما فيها دارفور كان الاسلام يتسرب اليها تسربا
سلميا وفي هدوء مع التجار وقوافل التجارة ، ومع المهاجرين والمرتحلين ،
ومع الحجاج فيما يمكن أن يعرف بمرحلة التهيؤ ، ثم تنتهي هذه المرحلة
بعد أن تستمر سنوات قد تبلغ القرون الى مرحلة جديدة هي مرحلة
النضج والازدهار .

وقد شهدت دارفور المرحلة الأولى فيما حكيناها عن قدوم القبائل
انعربية مهاجرة الى دارفور في بضع قرون لأسباب وعوامل سبق
التعرض لها بالتفصيل ، وقامت هذه القبائل بما قامت به من نشر
العروبة والاسلام والثقافة العربية الاسلامية في دارفور ، وتعرزز هذا
الدور الذي قامت به هذه القبائل في هذا المجال بما قام به التجار
الذين اتصلوا بهذا الاقليم أو تجار هذا الاقليم الذين اتصلوا ببلدان
العالم الاسلامي القريبة ، كما تعرزز بعوامل أخرى سبق الحديث عنها
بتفصيل ، ومن ثم أتى دور النضج والازدهار الذي تمثل في قيام سلطنة
دارفور الاسلامية في اخريات العصور الوسطى .

وقد تفاوتت الآراء حول الزمن الذي قامت فيه هذه السلطنة .
وفي هذا الصدد هناك أربع روايات ، الرواية الأولى تقول بأن سلطنة
دارفور الاسلامية قامت في عام ٨٤٨هـ / ١٤٤٥م على يد سليمان سولونج

الذى حكم لفترة تمتد من ذلك العام الى عام ٨٨٠ هـ / ١٤٧٦ م . وقد قال بهذا الراى الأستاذ نعوم شقير وتبناه عدد من المؤرخين (٢٠٩) .

والرواية الثانية تجعل قيام هذه السلطنة على يد سليمان سولونج فى عام ١٠٠٥ هـ / ١٥٩٦ م ، وصاحب هذا الراى هو ترمنجهام (٢١٠) ، وهلمنت Helmont اللذان جعللا سليمان يحكم من ذلك العام الى عام ١٠٤٧ هـ / ١٦٣٧ م (٢١١) .

اما الرواية الثالثة فقد انفرد بها الدكتور مصطفى مسعد الذى قال بأن سليمان سولونج اقام سلطنته فى عام ١٠١٩ هـ / ١٦١٠ م ، واستمر فى الحكم حتى عام ١٠٨١ هـ / ١٦٧٠ م (٢١٢) .

وتخبرنا الرواية الرابعة بأن سليمان سولونج حكم فى الفترة ما بين سنتى ١٠٥٥ هـ / ١٦٤٥ م و ١٠٧٦ هـ / ١٦٦٥ م كما قال بذلك نختيجال (٢١٣) او ما بين سنتى ١٠٥٠ هـ / ١٦٤٠ م و ١٠٨١ هـ / ١٦٧٠ م حسبما يعتقد آركل (٢١٤) وغيره من الكتاب والمؤرخين الذين تابعوه (٢١٥) ، وان كان آركل يقول فى موضع آخر انه يميل الى راي براون الذى يقول بان سليمان حكم قرب نهاية القرن الخامس عشر للميلاد (٢١٦) .

(٢٠٩) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ٢ ص ٢١٣ ، حسن محمود ص ٣٢٦ ، أحمد شلبى : ج ٦ ص ١٤٢ ، عبد الله حسين : السودانيين من التاريخ القديم ج ١ ص ٢٧٧ ، السودان القديم والجديد ص ٦١ ، الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والاوسط ، ص ٣٨٤

(٢١٠) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣٢٦

(٢١١) دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٩ ص ٨٦

(٢١٢) مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، ص ٢٢٧ ، ٢٢٨

(213) Arkell : The history of Darfur, S. N. R., IV, p. 266.

(214) Ibid : S. N. R., IV, p. 275 & A history of the sudan, p. 213

(215) Mandour : op . cit, pp 55, 46.

(216) Arkell : The history of Darfur , S. N. R., IV, p. 266.

هذه هي مجمل الروايات التي تفاوتت كما ترى تفاوتاً كبيراً في تعيين أو تحديد الزمن الذي قامت فيه سلطنة سليمان سولونج . وهذا التفاوت الكبير يدل على أنه ليست هناك نصوص قاطعة في هذا الشأن كما يدل على أن معظم الروايات التي جعلت قيام هذه السلطنة في وقت متأخر يعود إلى حوالي منتصف القرن السابع عشر هي روايات وردت عند الكتّاب الأوربيين ، وهي روايات لا دليل عليها أو هي ضعيفة الدليل ، وقيامها على هذا النحو لا يتمشى مع طبيعة التطور في المنطقة على اتساعها حيث كان العرب والمسلمون قد أخذوا بزمام التجارة وازدادت قياهم التجارية (٢١٧) التي كانت تمر بدارفور من الغرب إلى الشرق ومن الشمال إلى الجنوب منذ قرون عديدة سبقت هذا القرن الذي قالوا أنه كان ميقاتاً لظهور هذه السلطنة . وأدت هذه التجارة بجانب عوامل أخرى تعرضنا لها من قبل إلى نشر الإسلام بين جميع القبائل والشعوب التي كانت تعيش في الساحل العشبي الممتد جنوبي الصحراء الكبرى ابتداء من قبيلة الفولاني التي تستوطن نهر السنغال من ناحية الغرب إلى العرب الذين كانوا يستوطنون النيل الأعلى من ناحية الشرق (٢١٨) .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن المنطقة التي تمثلها دارفور كانت مدانا تقابلت فيه الهجرات العربية (٢١٩) وغير العربية التي وفدت من الشرق والغرب والشمال قبل القرن السابع عشر بقرون عديدة حسبما ذكرنا حين حديثنا عن هذه الهجرات إلى هذا الاقليم . ذلك أن العرب في القرن السابع كانوا قد استقروا في وادي النيل منذ

(٢١٧) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى

والأوسط ، ص ٣٧٣

(٢١٨) كولين ماكيفيدى : نفس المرجع ، ص ١٠٥

(٢١٩) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى

والأوسط ، ص ٣٧٣

قرون ، وليس هناك دليل على قيام دليل هجرات واسعة اتجهت الى دارفور أو بلاد السودان فى القرن السابع عشر ، لان ذروة تدفق هذه الهجرات كان القرن الخامس عشر وما سبقه من قرون (٢٢٠) .

وربما كان الهدف من هؤلاء الكتساب الأوربيين الذين قالوا بقيام السلطنة الاسلامية فى دارفور فى اواخر القرن السابع عشر هو الايحاء بان قيام دولة اسلامية فى هذا الجزء الهام من السودان امر تم فى العصر الحديث ، وان هذه السلطنة ليس لها جذور ضاربة فى التاريخ مثل غيرها من السلطنات التى قامت قريبا منها فى بلاد السودان الأوسط والغربى ، وايضا فى بلاد النوبة . والهدف من وراء هذا القول واضح ولا يحتاج الى بيان ، اذ ان الفرق فى الزمن لا يمكن ان يكون قرونا ، ولكن ذلك ليس بالامر الغريب اذا جاء من مثل هؤلاء القوم ، وخاصة اذا ما تذكرنا محاولات التشكيك العديدة التى جاءت فى كتاباتهم عن عروبة هذا الاقليم . فعروبتهم عندهم مشكوك فيها ، واسلامه فى نظرهم اسلام قشرى وهو عندهم امر حديث لا يتعدى قرنين او ثلاثة قرون على احسن الأحوال .

ولكى يحققوا هذا الهدف فانهم ينكرون وجود سلطانين فى دارفور تسمى كل منهما باسم سليمان . فهناك السلطان سليمان الأول الذى يسمى سليمان سولونج أى العربى الذى حكم فى الفترة (٨٤٨ - ٨٨٠هـ / ١٤٤٥ - ١٤٧٦م) ، وهناك السلطان سليمان الثانى الذى حكم فى الفترة (١١٠٦ - ١١٢٦هـ / ١٦٩٥ - ١٧١٥م) (٢٢١) ، وبين هذين السلطانين أربعة عشر سلطانا يحملون أسماء عربية (٢٢٢) ، وينكرهم هؤلاء

(٢٢٠) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣٢٦

(٢٢١) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ٢ ص ١١٣ ، ١١٤

(٢٢٢) المرجع السابق ، ج ٢ ص ١١٤ ، مصطفى مرعد ، سلطنة

الباحثون الأوربيون ويجعلون من سليمان الثاني هو سليمان الأول (٢٢٣) ،
وينسبون اليه كل ما نسب الى السلطان سليمان الأول المعروف باسم سليمان
سولونج ، وبذلك يلغون فترة من حكم سلاطين الفور المسلمين تبلغ
قرنين ونصف قرن من الزمان .

ولذلك كله فاننا نؤيد الرواية الأولى التي أرجعت قيام سلطنة
دارفور الاسلامية الى ما قبل منتصف القرن الخامس عشر للميلاد بقليل ،
لان هذه الرواية جاءت عند مؤرخين نظروا الى هذا الأمر نظرة مبينة
على الوقائع التاريخية الخاصة بهجرات العرب الى دارفور ، والى البلدان
المجاورة لها والمحيطة بها ، والى انتشار الاسلام فى هذه البلدان ،
اذ لا يمكن أن يؤخذ تاريخ دارفور على حدة او يفصل عن مجرى التاريخ
الذى تشكل فى هذه البلدان .

اما هجرات العرب الى دارفور فقد سبق الحديث عنها بتفصيل ،
ورائنا ان هجرات عديدة وصلت الى دارفور وخاصة فى القرون
الثلاثة الأخيرة السابقة على قيام سلطنة سليمان سولونج فى عام
٨٤٨هـ / ١٤٤٥م (٢٢٤) . وكانت هجرة التنجور الذين يرجح أنهم عرب
من بنى هلال قد وفدت على البلاد من تونس فى القرن الثالث عشر
او بداية القرن الرابع عشر للميلاد وصاهرت شعب الداو ، ونتج عن
ذلك قيام هؤلاء التنجور فى حكم البلاد ، خاصة بعد ان كان الداو
قد تعرضوا لهجوم من بلاد النوبة فى منتصف القرن الثانى عشر للميلاد ،
وتمكن النوبيون وقتها من اضعافهم وتحطيم مملكتهم فى دارفور (٢٢٥) ،

(٢٢٣) نعم شقير : نفس المرجع ، ج٢ ص ١١٤ ،

Arkell : The history of Darfur , S. N. R., IV, p. 266

(٢٢٤) انظر ، ص ٥٩ - ٦٠ ، الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات

السودان الشرقى والأوسط ، ص ٣٨٣

(٢٢٥) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى

والأوسط ص ٣٧٣ ، Arkell : The history of Darfur : S. N. R., IV, p. 273

فتها الأمر لقيام حكم التنجور ، واستطاعت الهجرة العربية التي كانت تتكون من الهلالية واتخذت اسم التنجور الذي جعله البعض تحريفاً لكلمة التجار كما سبق القول أن تسيطر على البلاد وتقيم فيها أسرة جديدة .

وكانت هذه الهجرة فيما يبدو هجرة قليلة العدد ، فقد تشربتها البلاد وبذلك لم تستطع أن تغير من تركيبة السكان الاجتماعية ، ولا من أحوالهم الدينية والثقافية الا قليلا(٢٢٦) ، حتى تم القضاء على مملكة دنقلة المسيحية فى عام ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م وانفتح الباب على مصراعيه امام الهجرات العربية القادمة من مصر الى هذه البلاد ، وتوجه منها الكثير الى دارفور واستطاعوا ان يتغلبوا على مملكة التنجور(٢٢٧) التي كانت قد تعرضت لضغط من سلاطين الكانم الذين فرضوا نفوذهم على شمال دارفور والمناطق التي تقع شمالا وتمتد من تشاد وحتى بلاد النوبة(٢٢٨) .

انتهم هؤلاء العرب المهاجرون الى دارفور الفرصة وصاهروا فرعا من فروع الفور وهم الكنجارة الذين كانوا قد اختلطوا بالعرب كثيرا ونجرت فى عروقهم الدماء العربية واعتنقوا الاسلام(٢٢٩) ، ونتاج عن هذه المصاهرة جيل من المولدين كان على رأسه سليمان سولونج الذى تولى الحكم قبيل منتصف القرن الخامس عشر للميلاد نتيجة لتطبيق التقاليد السودانية فى انتقال الحكم الى ابن البنت أو ابن الأخت ، وبذلك ظهرت سلطنة دارفور الاسلامية التى قال سلاطينها انهم من سلالة

(٢٢٦) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣٢٥

mandour : op. cit, p. 55.

(227) Arkell op. cit, S. N. R, IV, p. 273

(228) Ibid : S. N. R., IV, 1, 270.

(٢٢٩) مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ ،

بنى العباس ، زيادة فى ربط انفسهم بالنسب العربى وبالعالم العروبة والاسلام (٢٣٠) .

وقد رأينا فيما سبق كيف احاط العرب بدارفور وكيف انتشر الاسلام فى البلدان المحيطة بها . فقد تحولت مملكة مقرة الى الاسلام فى عام ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م وصارت تعرف بدولة الكنوز الاسلامية ، وانتشر الاسلام فى مملكة علوة المسيحية التى تقع فى جنوبيها وتمكن العرب من اقامة كثير من المدن والمشايخ العربية داخل هذه المملكة ، وزحفوا منها ومن دولة الكنوز الى دارفور حيث اقاموا فيها نفس النظام وكونوا زعامات ومشايخات عربية تمكنت احداها من تسلم زمام الحكم فى الاقليم كله قبيل منتصف القرن الخامس عشر للميلاد (٢٣١) .

ولم تستطع هذه المشايخات ان تفعل ذلك قبل هذا التاريخ ربما بسبب تنافر زعماء القبائل العربية حين استقرارهم فى البلاد ، ربما بسبب تنازعهم على اراضى المراعى فى مختلف احاء دارفور . وكان هذا هو حال من سبقهم من العرب النازحين الى بلاد النوبة أيضا ، « مما جعلهم رحالة بادية يتبعون مواقع القطر شأن بواى الاغراب » ، ولم يبق فى بلادهم الجديدة التى هاجروا اليها رسم للملك (٢٣٢) .

واذا كان هذا هو شأن العرب فى دارفور وفى البلدان المحيطة بها والذى يجعلنا نأخذ بالرواية الأولى التى تقول بقيام سلطنة دارفور الاسلامية فى عام ٨٤٨هـ / ١٤٤٥م ، فان تاريخ الاسلام فى البلدان

-
- (٢٣٠) عبد الله حسين : السودان من التاريخ القديم ، ج١ ص ٧٧ :
السودان القديم والجديد ، ص ٦١ ، أحمد شلبى : نفس المرجع ،
ج ٦ ص ١٤١ ، ١٤٢ ، عبده بدوى : نفس المرجع ، ص ١٣٠
(٢٣١) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى
والأوسط ، ص ٣٧٣
(٢٣٢) ابن خلدون : نفس المرجع ، ج ٥ ص ٤٢٩ ، حسن
محمود : نفس المرجع ، ص ٢٩٥

المحيطة بدارفور يجعل هذه الرواية مقبولة . ذلك أن الاسلام وكفصا هو معروف كان أسبق فى الرصول والانتشار فى البلاد التى تقع غرب دارفور حيث تحولت بلاد الكانم والبرنو الى الاسلام منذ القرن الحادى عشر للميلاد كما سبق القول ، أما فى الشمال فان سكان الواحات التى تقع فى طريق درب الأربعين الذى يصل دارفور بمصر والذى يمر بشعب الزغاوة والتاجو ، كانوا قد تحولوا الى الاسلام منذ القرون الأولى لظهور الاسلام ، وتحول كذلك التاجو الى الاسلام فى عصر ابن سعيد المغربى كما سبق القول ، وكذلك الزغاوة الذين امتدت بلادهم الى شمال بلاد الكانم الذين نشروا بينهم الاسلام حسبما بينا من قبل .

ومعنى ذلك كله ان الاسلام كان قد احاط بدارفور من معظم جهاتها تقريبا ولم يبق الا الجنوب . زفى الجنوب نسمع ان مملكة اسلامية قامت هناك حوالى منتصف القرن السادس عشر للميلاد ، وهى مملكة تغلى الاسلامية التى قامت فى جبال النوبا التى تقع جنوب كردفان ودارفور . وقد قامت هذه المملكة نتيجة وصول الفقيه محمد الجعلى الى هذه المنطقة حوالى عام ١٥٣٠ م مع مجموعة من الفقهاء للدعوة الى الاسلام فى أوائل القرن السادس عشر للميلاد ، واستطاع أن يتزوج من أميرة من البيت الحاكم فانتقل الحكم الى ابنه المسمى قىلى أبو جريدة . وقد أسس هذا الابن أول أسرة اسلامية حاكمة فى تغلى وجبال النوبا وكان هو أول سلاطينها (٢٣٣) .

فكيف تعتنق مملكة تغلى التى تقع فى الجنوب الشرقى من دارفور الاسلام وتظهر فيها سلطنة اسلامية فى ذلك التاريخ ، بينما تظهر السلطنة الاسلامية فى دارفور بعد ذلك فى منتصف القرن السابع عشر للميلاد ، مع أن العرب انتشروا فيها وأحاط بها الاسلام الذى كان قد انتشر من قبل فى البلدان المحيطة بها ، وتقبله معظم أهل دارفور أنفسهم

(٢٣٣) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان اليرقى

على يد العرب المهاجرين إليها . كل ذلك ربما شك يجعل الرواية الأولى التي تقوم بقيام سلطنة دارفور الإسلامية قبيل منتصف القرن الخامس عشر للميلاد هي الرواية الجديرة بالقبول والترجيح .

اذن تحولت دارفور الى دولة عربية اسلامية فى منتصف القرن الأخير من العصور الوسطى ، ولا نريد أن نخوض فى تاريخ سلاطين هذه الدولة من الفور ، لأنه امر مطروق فى بحوث قليلة تناولت تاريخ سلطنة دارفور السياسى منذ سليمان سزلون ، ولأننا لو فعلنا سوف يخرجنا ذلك عن الفترة الزمنية التى حددناها لهذا الكتاب وهى العصور الوسطى بمفهومها العربى الذى يأخذ به معظم المؤرخين ، والتى تنتهى بنهاية القرن الخامس عشر للميلاد وان كانت العصور الوسطى فى نظرنا بالنسبة لدارفور والسودان بصفة عامة تهتد حتى تصل الى الفتح المصرى لهذه البلاد فى القرن التاسع عشر للميلاد .

ولذلك فائنا سنكتفى بالحديث عن مؤسس هذه السلطنة وعن الظروف التى استطاع فيها أن يقيم هذه الدولة الاسلامية التى استكملت عقد الدول الاسلامية المنتشرة جنوب الصحراء والذى يمتد من المحيط الأطلسى الى البحر الأحمر .

ومؤسس سلطنة دارفور الاسلامية هو سليمان الأول الملقب بسولونيه والذى تخفف الى سولون ، وهذا اللقب الذى عرف به سليمان معناه فى لغة الفور « العربى » أو من يتكلم العربية أو من يدين بالاسلام دين العرب ، ذلك ان سليمان وكما سبق القول فى الغالب من أب عربى وأم فوراوية من أسرة تعرف باسم أسرة كيرا (٢٣٤) ، ولذلك عرفت الأسرة الحاكمة التى تولت حكم دارفور منذ سليمان سولونيه باسم أسرة كيرا .

(٢٣٤) مصطفى ، سعد : سلطنة دارفور ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨

ويقول آركل أن الاسم (كيرا) يحتمل أنه مشتق من الكلمة المروية

gere التى تعنى الملك king انظر ، The history of the Sudan , p. 213.

وقد نشأت هذه الأسرة فى مكان يسمى طرة (٢٣٥) Turra عند النهاية الشمالية لجبل مرة باه اسط دارفور . وقد عثر فى هذه المنطقة على بقايا قصور حصينة مبنية من الحجارة ترجع الى عهد أولئك السلاطين الثلاثة الذين بدأ بهم بيت كيرا كما يوجد الى الشرق من طرة بقايا قصر آخر ينسب الى زعيم يسمى تونسام تجعله روايات الفور لخوا لسليمان ويبدو انه نازح اخاه سليمان فى الزعامة (٢٣٦) ، فاتفقا على ان يقتسما اقليمى دارفور وكردفان ، فأخذ السلطان سليمان اقليم دارفور وأخذ تونسام كردفان ورحل اليها حيث اقام لنفسه هناك سلطنة سميت باسم سلطنة المسبعات ، نسبة الى اسمه الذى كان يعرف به وهو المسبوع (٢٣٧) ، لأن هذه الكلمة تعنى فى لغة الفور « الناس الذين ذهبوا الى الشرق » تحقيقا لهم (٢٣٨) .

استقل سليمان سولون الأول بدارفور (١٤٤٨ - ١٤٨٠ هـ / ١٤٤٥ - ١٤٧٦ م) واتخذ من بلدة (نامى) التى تقع فى اقليم طرة عاصمة

(٢٣٥) طرة مكان يدفن فيه سلاطين الفور اذا ماتوا ميتة طبيعية ، اما اذا مات أحدهم ميتة غير طبيعية كان يموت قتيلا فانه يدفن فى المكار الذى قتل فيه .

انظر التونسى : تشحيذ الأذهان ، ص ١١٣ هامش (٢) ، ص ٨٣ - ٨٤ - هامش (٥) ،

Arkell : The history of Darfur, S. N. R., IV , p. 268.

(٢٣٦) مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، ص ٢٢٨ ،

Arkell : A history of the sudan, p . 213 & The history of Darfur,

(٢٣٧) التونسى : نفس المصدر ، ص ٨٣ - ٨٤ . S. N. R., IV, p. 245.

(٢٣٨) مصطفى مسعد : نفس المرجع ، ص ٢٢٨ ،

Arkell : A history of the Sudan, p. 213 & The history of Darfur,

S. N. R., IV, p. 255

لدولته الوليدة (٢٣٩) ، ونظرا لعرويته او لأصله العربى فقد حبيب اليه العرب الوافدين ، واستعان بالقبائل العربية التى كانت تضرب فى الصحراء من حوله فى اخضاع الخارجين عليه من سلاطين وملوك الفور فى جبال مرة والمناطق المحيطة بها ، وعلمهم دين الاسلام ، وبذلك حقق وحدة البلاد كلها ربما لأول مرة ، وخاض فى سبيل ذلك غمار ثلاث وثلاثين معركة أخضع فيها جماعات البرتى والبيقو وبعض جماعات المساليط ، كما فضى على حركة قام بها انتيجور لاسترداد ملكهم (٢٤٠) .

بعد ذلك تفرغ سليمان لبناء سلطنته ودولته على اسس سليمة ، فبنى المساجد واستأنف حركة نشر الاسلام التى يحتفل أن يكون قد أصابها شىء من الركود خلال الحروب الداخلية ، ونجح فى ذلك نجاحا كبيرا ، وبذلك استكمل سليمان حركة التعريب ونشر الاسلام فى بلاد دارفور ، وتم صبغ هذه البلاد بالصبغة الاسلامية الواضحة ، وأتم توحيد عناصر السكان تحت لوائه ، وعمد الى تثبيت دعائم الحركة الاسلامية

(٢٣٩) تعرف عاصمة دارفور الآن باسم الفاشر . وكان هذا اللفظ يدل اصلا على أى مكان يسكنه السلطان او ينزل فيه او يتخذ فيه مجلسه ، ثم أصبح يطلق على المكان الذى يحمل هذا الاسم اليوم والذى اتخذهُ السلطان عبد الرحمن الرشيد بن أحمد بكر (١٧٨٧ - ١٨٠٢ م) مقراً وعاصمة لدارفور .

انظر التونسى : تشييد الأذهان ، ص ٦٤ ،

Mandour, op, cit, p. 57 & Arkell : A history of the Sudan, p. 214.

(٢٤٠) التونسى : نفس المصدر ، ص ٨٣ - ٨٤ هامش (٥) ، نعوم شقير : نفس المرجع ، ج٢ ، ص ١١٣ ، مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، ص ٢٢٨ ، حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣٢٦ ، عبده بدوى : نفس المرجع ، ص ١٣٠ ،

باستقدام الفقهاء من الشرق لتعليم الناس أصول دينهم ، وبدأ العرب يلعبون دورا بارزا فى تاريخ البلاد ، مما صبغها بالصبغة العربية والاسلامية الواضحة والرسى قواعد الحياة الاسلاميه فى مختلف نواحيها ومجالاتها(٢٤١) . وكان لذاك مظاهره العديده والواضحة .

٤ - مظاهر الحياة الاسلاميه فى دارفور

اتسعت دائرة الحياة الاسلاميه ووضحت مظاهرها فى سلطنة دارفور الاسلاميه اشد الوضوح منذ عهد سليمان سولون ، ويعنى ذلك أن هذه المظاهر كانت موجودة قبل قيام هذه السلطنة ، ولكنها اخذت فى البروز والظهور بعد أن خضع جميع الحكام فى دارفور لسليمان سولون وتحول معظمهم الى الاسلام ، ومن أهم هذه المظاهر انشاء المساجد فى مختلف أنحاء البلاد .

وهذا العمل لم يأت بداية فى عهد سليمان سولون ، وإنما كان موجودا قبل ذلك بزمان طويل ، لأن الحركة الاسلاميه كانت قديمه قبل قيام سلطنة الفور بكثير كما بينا من قبل . فهناك اشارات تفيد بوجود هذه المساجد فى جبل الفور فى عهد التنجور وقبل ظهور سلطنة سليمان سولون(٢٤٢) ، ويقول آركل أن شو Show آخر سلاطين التنجور ينسب اليه مسجد(٢٤٣) . وبطبيعة الحال كان للعرب الوافدين والمهاجرين وكذلك التجار مساجدهم التى كانوا يؤدون فيها الشعائر الدينية .

وقد كثر انشاء وانتشار هذه المساجد منذ عهد السلطان سايمان

(٢٤١) المصادر والمراجع السابقة ونفس الصفحات .

Mandour : op. cit, p. 56. & Arkell : A history of the Sudan, pp. 214 , 215.

(242) Arkell : The history of Darfur. S. N. R., IV, p. 249

(243) Ibid : S. N. R., IV, p. 259.

سولون (٨٤٨ - ٨٨٠ هـ / ١٤٤٥ - ١٤٧٦ م) ، فقد بنى المساجد وأفاد صلوات الجمعة والجماعة ، واهتم اهتماما كبيرا بنشر العقيدة الاسلاميه حتى غطى الاسلام كل دارفور فى عهده وعهد خلفائه ، وان كان بقى القليل من الاهالى وثنيتين (٢٤٤) . وتشير المراجع الى أن جملة ملوك دارفور الذين خضعوا لهذا السلطان سبعة وعشرون ملكا منهم عشرون ملكا من المسلمين ، والباقى من الذين ظلوا على الوثنية ، مما يدل أن السلطان سليمان سرتون لم يكره احدا على الدخول فى الاسلام (٢٤٥) .

وكان الملوك المسلمون هم ملوك البرقد والتنجر (التنجر) وكبقة والممية والمسبعات فى الشرق من جبل مرة ، والمراريت والعورة وسميار والمساليط والقمر وتامة والجبلاوين ، واب درق ، وجوجة ، وأسمور فى الغرب والشمال الغربى . وزغارة كبا والميدوب فى الشمال والشمال الشرقى . والبيقو والداجو ورنقا فى الجنوب والجنوب الغربى (٢٤٦) .

أما الملوك السبعة الوثنيون فهم ملوك كارة ، ودنقو ، وفنقرو ، وبنة ، وباية ، وفروقى وشالا ، وكلهم فى بلاد فرتيت فى الجنوب الغربى لدارفور (٢٤٧) .

وتبع انتشار الاسلام على هذا النحو تأسيس المساجد والمدارس من اجل نشر التعاليم الدينية وتعليم القران الكريم ، فقد كان فى كل بلدة مسجد أو أكثر لتعليم الكتابة والقراءة والقرآن ، وكان كل شيخ أو فقيه أو مدرس دين له مسجد صغير بجانب منزلة ، حيث يؤم خمسة مصلين ويعلم القرآن وعلوم الدين . وبجانب هذا المسجد خلوات للمجاورين

(244) Mandour : op . cit, pp. 56-60.

(٢٤٥) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ١١٣ - ١١٤ ،
الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط
ص ٤٨٠ - ٣٨١

(٢٤٦) المرجعين السابقين ونفس الصفحات .

(٢٤٧) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ٢ ص ١١٣

يعلمهم فيها العلوم الشرعية ، وله (حاخورة) هبة من السلطان يعيش هو وتلاميذه من ريعها ، مما جعلهم متفرغين للعلم وطلبه ونشره الى حد كبير (٢٤٨) .

ومع ذلك فقد كانت قراءة القرآن وتعلم العلوم الدينية والعربية غير واسعة الانتشار في دارفور (٢٤٩) اذا ما قورن ذلك بما كان موجودا في البلاد الاسلامية الأخرى . أولا ، لأن الاسلام انتشر في دارفور في وقت متأخر بالنسبة لهذه البلاد ، وثانيا ، بسبب طبيعة الترحال والتنقل الذي دأبت عليه القبائل العربية التي سكنت دارفور ، ومن ثم لم يتمكن معظمها من الاستقرار الدائم الذي ينتج عنه ازدهار العلم (٢٥٠) . وخاصة في مجال العلوم العقلية التي أشار التونسي الى أن دراستها كانت قليلة (٢٥١) وان كان هذا الأمر كان امرا شائعا في معظم البلاد الاسلامية في تلك الفترة . وثالثا ، بسبب قلة العلماء الذين ظهروا أو رحلوا الى هذا الاقليم (٢٥٢) ، ربما بسبب بعده عن مراكز الثقافة الاسلامية الزاهرة في بغداد ودمشق والقاهرة .

وليس هذا الأمر غريبا اذا ما قارناه بما كان موجودا في بلاد مجاورة لدارفور وهي بلاد النوبة . ومعروف أن هذه البلاد كانت اقرب الى مراكز الثقافة الاسلامية من دارفور ، وكان تدفق القبائل العربية عليها أغزر وأكثر من دارفور ، ومع ذلك فان غلام الله بن عائذ الذي قدم اليها من اليمن في النصف الأول من القرن الرابع عشر للميلاد

(٢٤٨) المرجع السابق ، ج ٢ ، ١٤٦ ،

Mandour : op. cit, p. 60.

(٢٤٩) التونسي : نفس المصدر ، ص ٢٨٠

(٢٥٠) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣٣٩

(٢٥١) التونسي : نفس المصدر ، ص ٢٧١

(٢٥٢) المصدر السابق ، ص ٢٨٠

يقول انه لم يجد بدنقلة عاصمة البلاد أى مظهر من مظاهر التعليم ، أو أية شبهة من حركة علمية ، « فعبر المساجد وقرأ القرآن وعلم وعلم العلوم مباشرة لأولاده وتلامذته اولاد المسلمين » (٢٥٣) .

وقد انتهز هذه الفرصة بعض الكتاب الأجانب فهونوا بصفة عامة من شأن العرب حتى قال احدهم أنهم اجانب وليسوا من أهل دارفور والسودان عامة ، كما هونوا من شأن الثقافة العربية. فى السودان ، وقالوا أن هذه الثقافة حديثة العهد بهذه البلاد ، لأن العرب كان نجاحهم قليل جدا فى نقل لغتهم ودينهم للشعرب الموجودة هناك قبل القرن السادس عشر للملاد (٢٥٤) ، مستدلين على ذلك بوجود عدد من اللغات المحلية بين بعض القبائل التى اعتنقت الاسلام فى دارفور لاسيما قبائل الفور (٢٥٥) .

والهدف واضح من هذا التهوين من أمر العرب والتشكيك فى قيامهم بنشر اللغة العربية والثقافية العربية سواء فى دارفور أم فى السودان بصفة عامة ، دون اعتبار لظروف هذه البلاد التى اكتملت فيها الحركة الاسلامية بعد عدة قرون من اكتمالها فى البلدان الاسلامية الأخرى التى دخلها الاسلام منذ القرن الأول للهجرة ، فهذا أمر دأب عليه معظم الكتاب الأوربيين الذين كتبوا عن هذه البلاد كما اشرنا من قبل ، وأن كان الواقع يبين عدم الدقة فى آرائهم وكتاباتهم .

فالثقافة الاسلامية فى دارفور ثقافة عربية خالصة فى جوهرها ومظهرها ، لأن دارفور ببساطة لم تشهد ثقافة قديمة كالتى شهدتها مصر أو الشام أو العراق ، ويمكنها أن تؤثر الثقافة الوافدة ، ولذلك لم تتأثر الثقافة الاسلامية فى دارفور بأية تقاليد محلية أما بدت عربية

(٢٥٣) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٢٩٧

(254) Mac Michael : A history of the Arabs in the Sudan, Vol2 p. 197 & Evans Princhard : op. cit, pp. 82 - 83.

(255) Evans princhard : op . cit, p. 84.

خالصة (٢٥٦) ، مما يدل على مدى تأثير العرب والعروبة في هذا الاقليم ، رغم ما حاوله أركل أن يدعيه من تأثير الكانميين في الثقافة في دارفور (٢٥٧) .

فتأثير العرب والثقافة العربية الاسلامية هو التأثير الغالب على ثقافة هذا الاقليم . ومهما كان القول في مستوى هذه الثقافة فان هناك من المظاهر الاسلامية الأخرى ما كان بعيد الغور عميق الجذور واسع الانتشار وذا دلالة كبيرة على عمق انتشار الاسلام بين أهل دارفور .

من هذه المظاهر اتباع الشريعة الاسلامية والتزام أحكام الكتاب والسنة في الشئون الشخصية كالزواج والطلاق والميراث ، حيث كان تنفيذها موكولا الى علماء الدين (٢٥٨) . كما التزم الاهالى والسلطين بالشريعة بالنسبة لتعدد الزوجات ، فكان للواحد منهم أربع زوجات والباقيات : حظيات (٢٥٩) . كما طبقوا الشريعة بالنسبة لغير ذلك من الأحوال الشخصية وأحوال الدولة حتى ثقلت مسؤولية الحكم على بعض السلاطين فخرج أحدهم بعد توليه بثلاثة أيام الى مجلس خاصته وطالب منهم أن يولوا احد أعمامه بدلا منه « لأن طاقة الملك ثقيلة » (٢٦٠) .

وكذلك كان دخل السلطان الذى كان ينفق منه على بيته وأهله وجنوده وشئون دولته خاضعا للتكاليف الشرعية اذ كان يجبعه بالطريقة الاسلامية من العشر والزكاة ، وكان هناك مسئول عن جمع هذا الدخل او الجباية كان يسمى ملك الجباين أى الذين يجبون الغلال من البلاد . وكان هؤلاء الجباة يأخذون عشر ما يخرج من الحبوب كزكاة ويجعلونه فى

(٢٥٦) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣٣٤

(٢٥٧) أنظر ، ص ٢٣٣
(258) Mandour : op. cit, p. 59.

(٢٥٩) نعيم شقير : نفس المرجع ، ص ١٤٢

(٢٦٠) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣٢٩ ، ٣٣٢

مطامير لاحتياج السلطان(٢٦١) ، وكذلك كانوا يجبون العشر من التجار وأهل الحضر ، ويأخذون الزكاة من أهل البادية ، بالإضافة الى ضرائب وهدايا الأخرى كان يفرضها العرف المتداول بينهم ، وكانت تأتيهم من الحكام والأتباع ، مضافا إليها نصف الغرامات المالية التي كان يفرضها القانون المدنى وقانون العقوبات الذى كان يعرف بقانون دالى(٢٦٢) . أما النصف الآخر من هذه الغرامات فكان من نصيب الحكام على اختلاف درجاتهم(٢٦٣) .

وقانون دالى هذا عبارة عن مجموعة من التقاليد والأعراف تعارف الفور عليها وجمعوها فى كتاب واحد عرف (بقانون دالى) نسبة الى اسم احد ملوك الفور الأوائل ، أو لأن كلمة (دالى) فى لغة الفور تعنى اللسان ، فالمراد بقانون دالى هو لسان السلطان أى أوامره ونواهيه ، وكان هذا القانون العرفى بمثابة قانون الجزاء عندنا ، وكان تنفيذه فى دارفور موكولا الى المقاديم حكام المقدوميات أى الولايات ومن دونهم من الحكام . أما المرجع الأعلى لقانون دالى فشخصية كبيرة فى الدولة تحمل لقب « أبو شيخ » ، وهو كبير الخصيان ومقامه أكبر مقام فى السلطنة بعد السلطان . ويلاحظ أن أحكام هذا القانون لا تتفق كلها مع أحكام الشريعة الاسلامية بالنسبة للعقوبات ، وإنما كانت تخالفها فى بعض الأمور القليلة التى جرى عليها العرف قبل دخول الاسلام الى هذه البلاد(٢٦٤) .

(٢٦١) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٨٤

(٢٦٢) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ٢ ص ١٣٩ ،

Mandonr : op. cit, pp. 57 - 58

(٢٦٣) التونسى : نفس المصدر ، ص ٤٠٢

(٢٦٤) نعوم شقير : نفس المرجع ج ٢ ص ١٣٧ ، ١٣٨ ، حسن

محمود : نفس المرجع ، ص ٣٣٢ ، Mandour : op. cit, p. 59.

ومن أمثلة أحكام هذا القانون سواء كانت مطابقة أم غير مطابقة
للشريعة الإسلامية ، ان الملك يكون وراثيا للابن الأكبر ، الا كان هذا الابن
غير جدير بتولى مسئوليته الحكم فيولون غيره ممن تتوافر فيه هذه الصفة .
وقصاص السارق أن يغرم ست بقرات أو قيمتها مالا ، فاذا لم يفعل
حبس حتى يفتديه أهله . وقصاص القاتل القتل اذا كان القتل عمدا ،
والا فانه يدفع الدية ومقدارها مائة بقرة اذا كان من البقارة أو مائة بعير
اذا كان من الأباله .

واما الزانى فان زنى بمحصنة فغرامته ست بقرات ، وان زنى
بايم أو ببيكر فغرامته بقرة واحدة . وقصاص الضارب ان يغرم ثوبا
من الدمور ان أصيب المضروب بجرح ، وان لم يضب بذلك فالغرامة نصف
ثوب ، وهكذا أجزاء الشاتم لغيره . وقصاص شارب الخمر أن يجلد
ثمانين جلدة وتكسر أوائى الخمر فى بيته . واذا حدث حريق فى العشب
الذى ترعاه المواشى فى الصحراء ، تغرم أقرب بلدة الى مكان هذا
الحريق بقرة عن كل مساحة محروقة طولها درقة ، وذلك حتى لا يفكر
احد فى احراق الزرع ، وحتى يسرع الناس الى اطفاء أى حريق حتى
لا تزيد الغرامة عليهم جميعا (٢٦٥) .

وكما قلنا فان الأمور غير المطابقة تماما للشريعة الإسلامية بمقتضى
هذا القانون قليلة جدا ونادرة ، وفى غير ذلك كان القضاء فى دارفور
تطبق فيه أحكام الشريعة الإسلامية تطبيقا كاملا ، مما أدى الى استتباب
الأمن والى صبغ البلاد بالصبغة الإسلامية الواضحة .

ومن المظاهر الإسلامية الأخرى التى وضحت فى سلطنة دارفور
الإسلامية أن سلاطينها كانوا يتلقبون بالقباب الإسلامية مثل أمير المؤمنين ،
وخادم الشريعة ، والمهدى ، والمنصور بالله (٢٦٦) . كما كانت أسماء

(٢٦٥) التونسى : نفس المصدر ، ص ٤٠١ - ٤٠٢

(٢٦٦) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ٢ ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

ملك جبل مرة - حيث يقيم أعاجم الفور - وأسماء حكام قراه أسماء اسلامية ، وكان بعضهم يحرص على أن تتقدم اسمه كلمة (الفقيه) ، فكان يقال لرئيس بلده نمليه في جبل مرة على سبيل المثال الفقيه نمر ، ويقال لولده الفقيه محمد (٢٦٧) . وكان شيخ جبل مرة يجلس معظم وقته في (خلوته) (٢٧٨) ، وهي مكان خاص بالعبادة ، كما كان شوق مسلاطين دارفور الى الأراضى المقدسة عظيما وكانوا يحرصون على ارسال محمل وصرة الحرمين الشريفين كل عام الى مكة والمدينة ، فكانت ترسل قافلة المحمل الى مصر بحملة بالبضائع مثل ريش النعام وسن الفيل والصبغ وغير ذلك من خيرات البلاد فتباع في مصر ويتم بثمنها نقود الصرة ، وتحمل هذه الصرة بواسطة القافلة التي كانت تصاحب قوافل الحجاج المصريين الى الأراضى المقدسة (٢٦٩) .

وكان هؤلاء السلاطين يحرصون أيضا على أن تحمل اختامهم التي يختمون بها كتبهم ورسائلهم آية من القرآن (٢٧٠) ، كما كانوا يحرصون على الانتساب الى نسب عربى شريف كعادة الحكام في كافة ممالك السودان زيادة في اصفاء الصبغة العربية والاسلامية عليهم وعلى دولتهم ، وأسجادا لصلة ورابطة قوية تصلهم وتربطهم ببلدان العالم الاسلامي الأخرى ، فكانوا ينتسبون لبني العباس (٢٧١) .

أما حكمهم وكيفية تولى كرسى العرش فكان يتم على اسس وتقاليد اسلامية . فقد كانوا يتولون الحكم على أساس الشورى في نطاق الأسرة

(٢٦٧) التونسي : نفس المصدر ، ص ١٥٤

(٢٦٨) المصدر السابق ، ص ١٥٦

(٢٦٩) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ١٣٩ ،
Mandour : op. cit, p. 60.

(٢٧٠) التونسي : نفس المصدر ، ص ٤٠٥

(٢٧١) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣٢٧

الحاكمة أو البيت المالك (٢٧٢) . وعادة كان مجلس السلطان يقوم بذلك ، وكان هذا المجلس يتكون من اثني عشر وزيرا يشملون حكام الأقاليم الأربعة الملقبون بالقاب أبو ديمة ، وأبو أوما ، والتكنياوى ، والأب الشيخ وكذلك شرأتى غربى دار (فيا) ، وكرنى الذين يحضرون من أقاليمهم ، بالإضافة الى ملك الجبائين (الجباه) والقاضى ، والأمناء الأربعة أى الوزراء الأربعة العظام الذين كانوا يحكمون جبل مرة ، وهم أبو سارنجا ، وأبو وادنجا ، وأبو آيرانجا ، والسوميندقله (، كاتم سيرار السلطان) والذين يكونون عادة موجودين فى البلاط (٢٧٣) .

وكان كل هؤلاء الأعضاء الاثنى عشر يجتمعون لاختيار خليفة السلطان ، وإذا لم يكن هناك وقت كاف لذلك كأن يتوفى السلطان فجأة عند ذلك يقوم القاضى وملك الجبائين والأمناء الأربعة ويتشاورون ويقرون اختيار خلف للسلطان من بين أبنائه بعد استشارة وجوه القوم من نخوة السلطان وأبناء السلاطين السابقين والعلماء والرعية الذين يحضرون عملية الاختيار حتى يأتى هذا الاختيار موافقا ومريحا للجميع (٢٧٤) .

وبعد ان يستقر الراى على الشخص المختار يستدعى هذا الشخص سرا الى مكان به ستارة يرقد خلفها جثمان أبيه ، وهناك يسمع لأول مرة عن

(٢٧٢) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٦٧

(273) Arkell : S. N. R., 11, pp. 232 - 23٠

التونسى : نفس المصدر ص ٨٠ - ٨١ هامش (٣) ، ص ٩٧ - ٩٨ ، ص ١٥٠ هامش ٢ ، ص ٣ ، ص ١٥٠ - ١٥٢ ولعرفة دلالات ومعانى مناصب والقاب الوزراء الاثنى عشر ، انظر : الصفحات المشار اليها فى هذا المصدر .

(٢٧٤) المصدر والمرجع السابقان ونفس الصفحات .

(275) Arkell : The history of Darfur, S. N. R. , II, p. 233.

موت والده ، ويعلم بأنة اختير سلفانا ، ويقسم ان يحكم بالعدل ويخترم
الوزراء الموجودين وآلا يطردهم من مناصبهم أو يعزلهم منها(٢٧٥) .
بعد ذلك يجلس السلطان الجديد على (الككر) أى كرسى العرش ،
فيبايعه أهل الحل والعقد ليلا ، وفى الصباح يبايعه العامة ، فيقول
الواحد منهم للسلطان « بايعتك على السمع والطاعة ، الأمر أمرك والنهى
نهىك على الكتاب والسنة » (٢٧٦) .

وهكذا يلاحظ أن التقاليد الاسلامية متوافرة فى اختيار السلطان
الجديد ، فهناك الشورى وان كانت فى نطاق محدود ، وهناك البيعة
الخاصة التى تاتى من أهل الحل والعقد ، وهناك البيعة العامة التى
تاتى من عامة الناس والتى كان يشترط فيها الحكم بالكتاب والسنة . يضاف
الى ذلك ان النظام القديم الذى كان يقضى بتولية ابن الأخت أو ابن
البينت انتهى ، وصار السلطان الجديد يختار كما رأينا من بين أبناء
السلطان السابق أو اخوته(٢٧٧) ، وهو نفس النظام القبلى الذى
ورد فى ركاب القبائل العربية التى هاجرت الى دارفور .

ولم يكن تأثير هذه القبائل فى نظام الحكم وحده كما رأينا ، بل ان
هذا التأثير امتد الى حياة المجتمع ومظاهر نشاطه الاقتصادى والسياسى ،
فقد ازلت ما كان قائما من فوارق بين المراعى والرعية ، وما كان بينهما
من عبودية مطلقة ، واستردت الرعية حريتها الفردية ، وصارت الأرض
ملكا للجماعة القبلية متمثلة فى شخص زعيمها ، بعد أن كانت ملكا خاصا
لرئيس الدولة أو موقوفة على المعابد أو الآلهة الوثنية فى نظام
كان الأهليون فيه عبيدا لا يملكون الأرض ، بل يعملون عليها لمصلحة
الحاكم ورئيس العبد أو من ينوب عنهما ، فصارت الأرض توزع على
الجماعة يقومون على استغلالها والانتفاع بها ودفع جعل معين لشيخ

(٢٧٦) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ٢ ص ١٤٣

(٢٧٧) الشاطر بصيلى : معالم تاريخ السودان وادى النيل ، ص ١٠

القبيلة أو زعيم الدار الذى يقزم بدوره باعطاء جزء منها لحاكم القبيلة الذى يعطى هو الآخر جزءا مما اخذ لسلطان البلاد (٢٧٨) ، وهى تقريبا نفس النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى كانت موجودة فى كثير من دول العالم الاسلامى وقتذاك .

ولم يكن تاثير الاسلام وتقاليده فى هذه النواحي فقط ، بل ان هذا التأثير امتد الى نواحي اخرى ، منها الزى الذى كان يتزيا به الناس فقد التزموا باللباس الخفيف الذى يغطى العزرة (٢٧٩) ، كما لبس الحكام والملوك العمام البيضاء عدا ملك التنجور الذى كان يرتدى عمامة سوداء حزنا على فقد مملكته التى كان يحكمها اجداده والتى تغلب عليها سلطان الفور من أسرة كيرا الفوراوية (٢٨٠) ، ويخبرنا الشاطر بصيلى ان هذا العادة اى عادة لبس حاكم التنجور للعمامة السوداء قد اختلفت على ايامه (٢٨١) .

وقد اثر الاسلام فى دارفور ايضا فى مظاهر الاحتفال بالأعياد والاحتفالات الملكية ، وخاصة العيد السنوى الكبير الذى كان يجلد فيه النحاس وهى الطبول الملكية ، فكانت تنزع جلود هذه الطبول ويامر الملك بتغطيتها بجلود جديدة منتقاة من جلود الثيران (٢٨٢) . وكان موسم تجليد الطبول الذى يستمر سبعة ايام فى السنة عيداً من اعياد الربيع يحتفل به وفق السنة الشمسية ، وتقدم فيه القرابين للملوك الراحلين فى قبورهم ، ثم تآثر هذا العيد بالاسلام تأثراً كبيراً حتى

(٢٧٨) المرجع السابق ، ص ٥١

(٢٧٩) عن الزى والملابس فى دارفور ، انظر ، التونسى : تشييد

الأذهان ، ص ٢١٠ - ٢١٢

(٢٨٠) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٣٨

(٢٨١) تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ٣٧٦

(٢٨٢) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٧٣ - ١٧٤

أصبحت آيات من القرآن الكريم تتلى على القبور وعلى روح السلاطين المسلمين مع تقديم القرابين (٢٨٣) .

وبالإضافة الى الثيران التى كانت تذبح وتؤخذ جلودها لتجليد الطيرل الملكية كانت تذبح أبقار واغنام كثيرة يعمل منها وليمة كانت تقدم لرجال البلاط والوزراء واصحاب المناصب المختلفة ، ويقال ان البقرة او الشاة التى كانت تذبح فى هذه الوليمة حلت فى الاسلام محل عذراء كانت تذبح أيام الوثنية لنفس الغرض (٢٨٤) .

وقد ظهر تأثير الاسلام حتى فى الشعر الذى ظهر فى دارفور ، فقد غلبت عليه النزعة الدينية وروح الايمان ، وان كان شعرا ليس فصيحاً أو متفقاً مع قواعد العربية وأوزان الشعر المعروفة ، الا اذا كان قد صدر عن أناس اتصلوا بلغة العرب إتصال تعلم وتثقيف . اما العرب فى دارفور فقد كان لهم شعر أشبه فى موضوعاته بشعر الأقدمين ، فهو ينزع الى الحماسة والفخر بالعشيرة ، والافتخار وأبناء الضيم ، والحب والرياء وغير ذلك من الأغراض الأخرى (٢٨٥) .

ومن المظاهر السلامية الجديرة بالذكر فى دارفور ارتفاع منزلة العلماء عند السلاطين والناس . فاذا دخل أحد على السلطان حتى ولو كان الخاه فاته كان يلقى بنفسه عنى الأرض (٢٨٦) ثم يجبو على ركبتيه ويديه كاسلحفاة ، الى أن يكون على بعد أربعة أمتار من السلطان فيقف جاثيا على ركبتيه منكس الرأس ، ويدعو للسلطان . وقد كانت

(٢٨٣) دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٩ ص ٨٧

(٢٨٤) المرجع السابق ، ج ٩ ص ٨٨

(٢٨٥) عبد الله حسين : السودان بن التاريخ القديم ، ج ٢ ص ٥٢١

(٢٨٦) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٦٩

هذه هي تقاليد الدخول على السلاطين والتي يلتزم بها الداخلون عليهم
عدا العلماء ، فان الداخل ،نيم على السلطان كان يحضى رأسه ،
ويسير حتى يكون على بعد أربعة أمتار منه فيجلس على الأرض جلسة
المصلى ، ثم يرفع كفيه فيرفع السلطان كفيه أيضا ويقرآن الفاتحة معا ،
ثم يأخذ العالم فى الدعاء للسلطان وهو يصفق بكفيه ، والسلطان يؤمن
على دعائه الى أن يتم الدعاء(٢٨٧) ، مما يدل على ان العلماء كانوا
معفون من عادة التذلل والتمرغ على التراب التى كانت تحدث عند مقابلة
السلطان ، وذلك احتراما لهم واعترافا بمكانتهم .

ونظرا لارتفاع مكانة العلماء فى دارفور على هذا النحو ، فقد
كان مجلس السلطان لا يتم الا بحضورهم ، وكانوا يجلسون على يمينه
ويجلس الأشراف والفقهاء وعظماء الناس على يساره ، بينما كان وزيراه
المسميان بالأمينين يقفان بين يديه(٢٨٨) ، ونظر لارتفاع مكانة
العلماء عند السلطان على هذا النحو فقد كان يقطعهم الاقطاعات الواسعة
حتى يتفرغوا للعلم والتدريس(٢٨٩) .

ولم يكن هذا التشجيع وقفا على السلاطين وحدهم انما شارك
فيه الشعب . فقد كان سكان الحلة (القرية) التى بها مسجد أو خلوة
يستضيفون الطلبة الغرباء فى بيوتهم ويعاملونهم كأبنائهم أو ذوى
قرباهم(٢٩٠) . كما كانوا يسارعون لمقابلة العلماء الوافدين ويستضيفونهم
ويجلسون اليهم للاستفادة من علمهم . وكان السلطان اذا ما سمع بقدوم
أحدهم كان يطلب لقاءه ويغدق عليه ويطلب منه تأليف بعض الكتب فى
مجال العلوم الاسلامية والعربية ، أو يكتب شرحا لبعض الكتب المتداولة

(٢٨٧) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج٢ ص ١٤٣

(٢٨٨) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٩٧ - ١٩٨

(٢٨٩) حسن محيود : نفس المرجع ، ص ٣٤٠

(٢٩٠) المرجع السابق ، ص ٣٤١

والمطلوبة الدارسين لهذه العلوم (٢٩١) ، مما يدل على مدى اعتناء السلاطين بتشجيع العلم والعلماء وحرصهم على دفع التأليف في العلوم المختلفة ويدل على مكانة العلماء عند هؤلاء السلاطين .

وبما يدل أيضا على هذه المكانة ، أن الفقهاء والعلماء كان لهم دورهم كما لاحظنا في تنصيب السلاطين ، إذا كانوا ضمن جملة أهل الحل والعقد ، وإذا ما تازمت الأمور كانوا هم الذين يسعون بين الفرقاء حتى تتقارب وجهات النظر ويتم اختيار السلطان الجديد (٢٩٢) ، مما أدى الى سمر بنزلتهم والى ارتفاع مكانتهم حتى انهم كانوا لا يخشون بأس اصحاب المناصب العليا في الدولة (٢٩٣) .

وهكذا كانت مظاهر انتشار الاسلام في دارفور عامة وغابرة وواضحة في النواحي العديدة التي اشرنا اليها ، وكذلك في مجال آخر وهو الاتصال بالبلدان الاسلامية لتوطيد العلاقات معها وخاصة في النواحي التجارية والثقافية والدينية . فقد اتصلت دارفور بمصر اتصالا وثيقا في الناحيتين التجارية والثقافية ، وكثر رحيل طلاب دارفور الى مصر لطلب العلم حيث انشئ لهم رواق بالأزهر خاص بهم يسمى رواق دارفور ، فيتعلون ويعودون شيوخا الى دارفور فينشرؤن العلم بين اهليهم ومواطنيهم ، ولا يستبعد أن يكون بعض علماء مصر قد شدوا الرحال الى دارفور لمتابعة رسالتهم العلمية (٢٩٤) .

كما اتصلت دارفور ببلاد الحجاز اتصالا ازلته العلاقات الاقتصادية بين البلدين ، كما املاه اختلاف أهل دارفور الى البلاد المقدسة طلبا

(٢٩١) التونسي : نفس المصدر ، ص ١١٦ ، ١١٧

(٢٩٢) المصدر السابق ، ص ٩٧ - ٩٨

(٢٩٣) المصدر السابق ، ص ٢٥٣ - ٢٥٤

(٢٩٤) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣٢٨ ،

Mandourr : op. cit, p. 60.

للحج والزيارة ، كما وفد بعض الأشراف والعلماء من الحجاز الى دارفور .
حيث أقاموا فيها ونهلوا من تشجيع سلاطينها وكبار رجالها (٢٩٥) ، منهم
الشريف مساعد من اشراف اهل مكة (٢٩٦) ، وغيره من اشراف البكرية
والحسنية الذين سكنوا دارفور واتخذوها موطننا لهم كما سبق القول حين
حديثنا عن الهجرات الى دارفور (٢٩٧) .

وإذا كانت دارفور قد انصلت بمصر وبلاد الحجاز فانها اتصلت
ايضا بتونس وبلاد المغرب ، وذهب بعض ابنائها الى هذه البلاد للدراسة ،
كما اتجهوا ايضا لنفس الغرض الى بلاد الكانم وما يليها غربا من مراكز
علمية مثل كانو وتنبكتا (٢٩٨) ، وتأثرت دارفور بهذه البلاد التي ينتشر
فيها الفقه المالكي ، فتحول أهلها الى اعتناق هذا المذهب (٢٩٩) .

كذلك اتصل أهل دارفور بالحركة العلمية المزدهرة في سنار عاصمة
مملكة الفونج الاسلامية ، ورحل كثيرون من علماء الفونج الى دارفور
حيث أقاموا فيها واشتغلوا هناك بالنواحي العلمية ، كما رحل طلبة
دارفور الى سنار لاستكمال الدراسة وتلقى العلم (٣٠٠) .

وهكذا نجحت الحركة الاسلامية في دارفور كل النجاح ، وانفعل
هذا الاقليم بالعبودية والاسلام كل الانفعال وشارك في الحياة الاسلامية
بمقدار ما أتاحت له ظروف الموقع والبيئة والمكان ، وساهم في نشر
الاسلام ليس في داخله وبين اهله فحسب ، بل وفي بعض البلدان

(٢٩٥) حسن محمود : نفس المرجع ص ٣٣٨

(٢٩٦) التونسي : نفس المصدر ، ص ١١٧

(٢٩٧) انظر : ص ١٢٢

(٢٩٨) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣٣٨

(٢٩٩) القلقشندي صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٨١ ، حسن محمود

نفس المرجع ص ٣٣٨ - ٣٣٩

(٣٠٠) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣٣٩

والاقليم المجاورة (٣٠١) ، نتيجة لتنقل القبائل العربية بين دارفور وبين هذه البلدان مثل واداي وياجرمى وذلك اثناء رحلتها وراء العشب والكلأ وصيد الغزلان والحيوانات الأخرى التى كانت تعيش فى الصحراء الواقعة بين دارفور وهذه البلاد وغيرها من البلدان الأخرى التى تحيط بها ، ونتيجة ايضا للنشاط التجارى والقوافل التجارية التى كانت تعبر دارفور او تقزم منها الى هذه البلاد ذاهبة آيية (٣٠٣) .

نستخلص من هذا كله ان دارفور لم تكن بالاقليم المنعزل وراء الصحراء الكبرى ، او البعيد بعدا يعزلها عن وادى النيل ، بل انها بفضل الطرق التجارية التى اشرنا اليها كانت اقلها مرتبطا بالبلدان المجاورة حتى منذ ما قبل ظهور الاسلام .

وقد نتج عن هذا الاتصال وبواسطة هذه الطرق ومن خلالها ان رحل اليها كثير وكثير من القبائل العربية سواء من مصر أم من بلاد الشمال الافريقى أم من غيرها من البلدان القريبة والبعيدة ، وذلك خلال ازمئة متفاوتة وعصور متعاقبة ، واشتد ساعد هذه الهجرة وبلغت الذروة فى القرون الثلاثة الأخيرة من العصور الوسطى لأسباب عديدة خاصة باعرب فى بلدانهم التى كانوا يقيمون فيها قبل رحيلهم منها الى دارفور ، ولغير ذلك من أسباب سبق بيانها .

وننتج عن هذه الهجرة ان انفتح هذا الاقليم على العروبة والاسلام كل الانفتاح ، وبهيا لذلك كل التهيؤ ، فانتشر فيه الاسلام وتدفقت فى عروق أنائه الدماء العربية ، وبفعل المصاهرة والاختلاط تحول اهله

(٣٠١) عبده بدوى : نفس المرجع ، ص ١٣٠

(٣٠٢) التونسى : نفس المصدر ، ص ٢٩٣ - ٢٩٤ ، دائرة

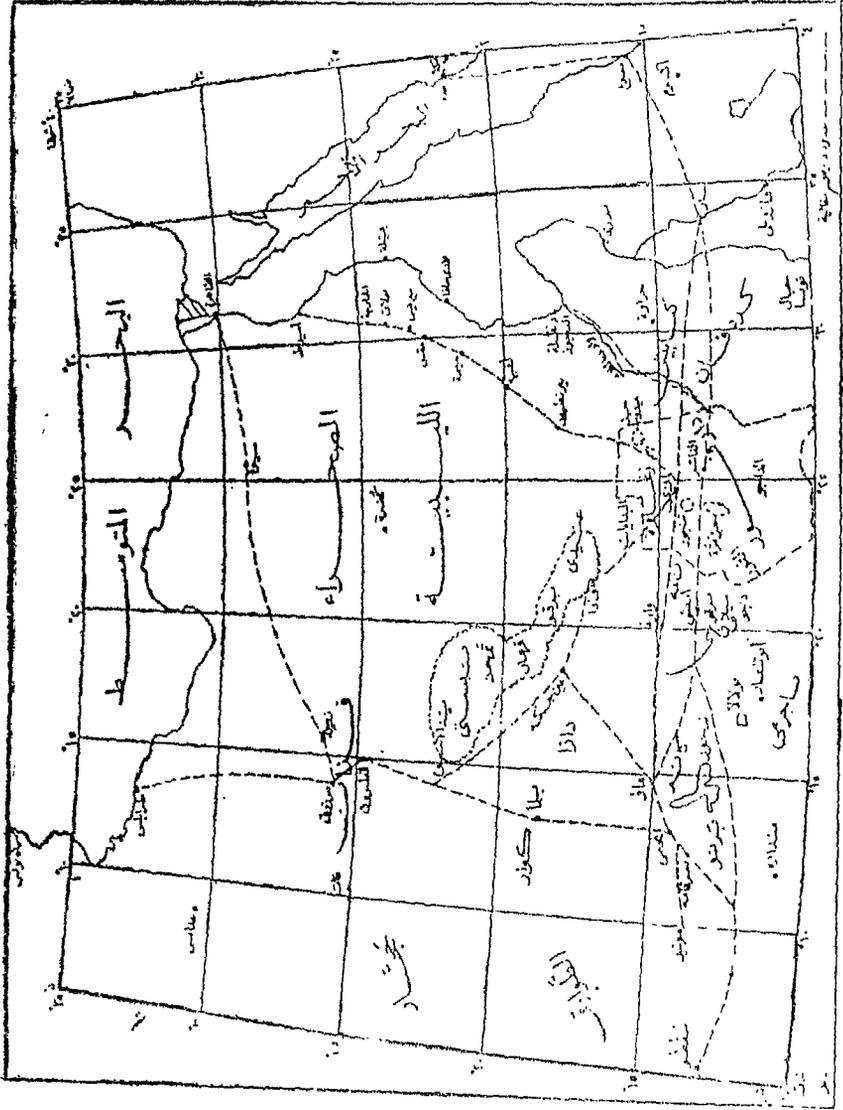
المعارف الاسلامية ، ج ٦ ص ٢٢٤ ، ٢٢٧

(٣٠٣) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ٢ ص ١٤٦

الأصليون مع المهاجرين الى شعب واحد يحمل صفة العروبة ويدين بالاسلام ويشترك فى الحياة الاسلامية وينفعل بها كل الانفعال ، لا يقل فى ذلك شأننا عن غيره من البلدان ، ويصل هذا الانفعال الى الذروة مع قيام سلطنة اسلامية فيه قبيل منتصف القرن الخامس عشر للميلاد بقليل .

وعلى ذلك يمكن القول ان هذا الاقليم وضحت شخصيته العربيه والاسلامية ليس فى منتصف القرن السابع عشر للميلاد كما قال بذلك كثير من الباحثين ومن لف لفيفهم ، وانما تحقق هذا الأمر ذلك بقرون .

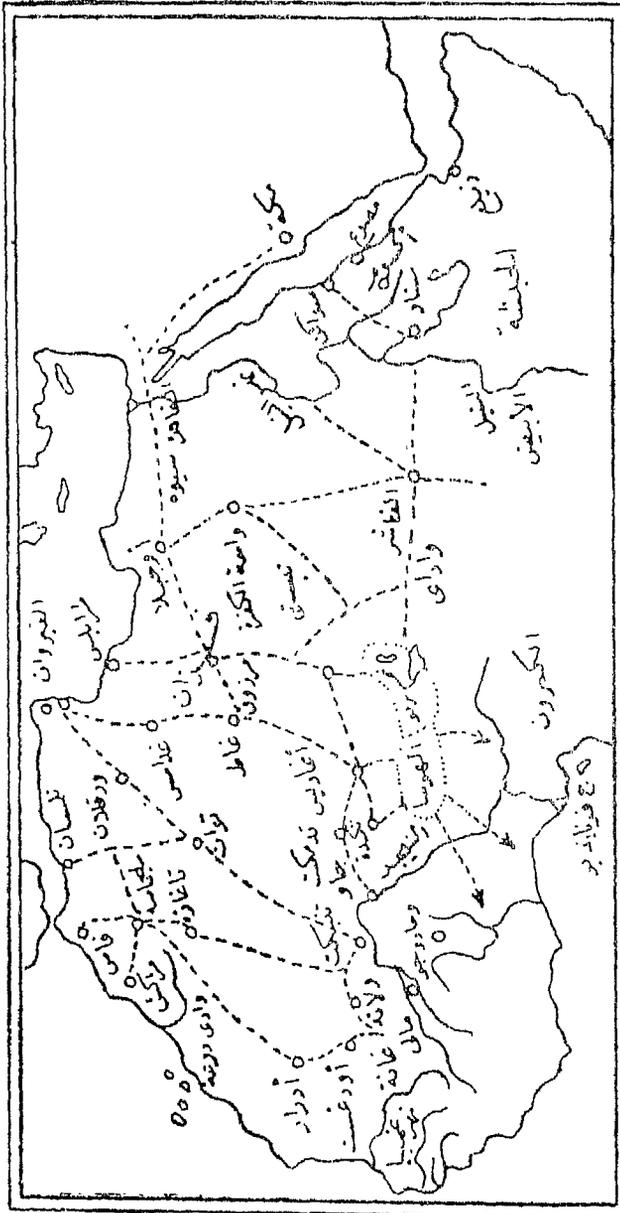




دارفور و جيرانها

خريطة رقم (٤)

المصدر : التونسي - تشييد الاذهان ص ٤٨٢



طرق القوافل الرئيسية بين بلاد السودان وشمال أفريقيا

خريطة رقم (٥)

المصدر : د. ابراهيم طرخان - دولة مالي الاسلامية ص ١٤٦

المصادر والمراجع

١ - المصادر العربية القديمة

الادريسي (ت ٥٥٧هـ / ١١٦٢ م) : أبو عبد الله محمد بن عبد الله
ابن ادريس الحمودى الحسنى المعروف بالشرىف الادريسي .
١ - نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، جزءان ، عالم دار الكتب ،
بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

الاصطخرى (، توفى قبل عام ٣٥٠هـ / ٩٦١م) : أبو اسحاق ابراهيم
ابن محمد المعروف بالكرخى .
٢ - مسالك الممالك ، تحقيق محمد جابر ، مصر ، ١٣٨١هـ /
١٩٦١م .

ابن اياس (٨٥٢ - ٩٣٠هـ / ١٤٤٨ - ١٥٢٣ م) : أبو البركات
محمد بن أحمد الحنفى .
٣ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، الجزء الأول القسم
الأول والثانى ، القاهرة ، الطبعة الثانية سنة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .

ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧ م) : أبو عبد الله محمد بن عبد الله
اللواتى الطنجى .
٤ - رحلة ابن بطوطة ، جزءان فى مجلد ، تحقيق محمد عبد المنعم
العرىان ، دار احياء العلوم ، بيروت الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٧هـ /
١٩٧٨م .

ابن تغرى بردى (٨١٣ - ٨٧٤هـ / ١٤١٠ - ١٤٦٩ م) : جمال
الدين أبو المحاسن يوسف .
٥ - النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة ، ج ١٦ تحقيق
د . جمال الدين الشىال ، والأستاذ فهيم محمد شلتوت ، الهيئة المصرية
العلمية للكتاب ، القاهرة ، سنة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .

- التونسي (ت ١٢٧٤ هـ / ١٨٥٧ م) : محمد بن عمر
٦ - تشحيد الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان . تحقيق د . خليل محمود عساكر ، د . مصطفى محمد مسعد ، مراجعة د . محمد مصطفى زبادة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، سنة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .
- ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م) : أبو محمد علي بن أحمد
٧ - جوهرة أنساب العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- الحسن الوزان (عاش في القرن ١٦ م) : الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف باسم ليز الافريقي .
٨ - وصف أفريقيا ، جزآن في مجلد ، ترجمة محمد حجي ، محمد الأخضر ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- الحميري (قرن ٩ هـ / ١٥ م) : محمد بن عبد المنعم الصنهاجي .
٩ - الرضى المعطار في خبر الأقطار ، جمعه عام ٨٦٦ هـ / ١٩٦٣ م ، تحقيق د . احسان عباس ، مؤسسة ناصر للثقافة ، مصر ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
- ابن حوقل (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م) : أبو القاسم محمد بن علي النصيبي .
١٠ - كتاب صورة الأرض (المسالك والممالك) ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، سنة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .
- ابن خرداذية (ت حوالي عام ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م) : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله .
١١ - المسالك والممالك ، مكتبة المثنى ، بغداد ، سنة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .

- ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) : عبد الرحمن بن محمد
١٢ - تاريخ ابن خلدون (العبر وديوان المبتدأ والخبر) ، ج ٥ ،
مؤسسة جبال للطباعة والنشر ، بيروت ، بدون تاريخ .
- ابن سعيد المغربي (٦١٠ - ٦٧٣هـ / ١٢١٤ - ١٢٧٥م)
ابو الحسن على بن موسى .
١٣ - بسط الأرض في الطول والعرض ، تحقيق خوان قريبط ،
خبيس ، تطوان ، معهد مولاي الحسن ، سنة ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م .
- ابن عبد الحكم (ت ٢٥٧هـ / ٨٧١م) : أبو القاسم عبد الرحمن
ابن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين القرشي المصري .
١٤ - فتوح مصر وأخبارها ، ليدن ، سنة ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م .
- القلقشندي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) : أبو العباس أحمد بن علي .
١٥ - صبح الأعشى في صناعة الانشا ، ١٤ مجلد ، طبعة وزارة
الثقافة والارشاد القومي ، مصر ، سلسلة تراثنا ، بدون تاريخ .
- ١٦ - قلائد الجمان في التعريف بعرب الزمان ، تحقيق إبراهيم
الابيارى ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة
١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- كاتب الشونة : أحمد بن الحاج أبو علي .
١٧ - مخطوطة كاتب الشونة .
- الكندى (ت ٣٥٠هـ / ٩٦١م) : أبو عمر محمد بن يوسف الكندى
المصرى .
١٨ - تاريخ ولاية مصر وقضايتها ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ،
الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- محمد بلو بن عثمان بن فودي : (عاش في القرن ١٩م) .
١٩ - اتفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور ، القاهرة سنة
١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .

المسعودى (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) : أبو الحسن على بن الحسين

ابن على .

٢٠ - مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج١ ، ٣ ، تحقيق محمد

سحى الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

المقريزى (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) : تقي الدين أبو العباس أحمد

ابن على .

٢١ - انخطط المقريزية ، ج١ ، ٣ ، مطبعة النيل ، مصر ، سنة

١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م .

٢٢ - السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج١ القسم الثانى والثالث ،

تحقيق د . محمد مصطفى زيادة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة

الطبعة الثانية ، سنة ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م .

٢٣ - البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، تحقيق

د . عبد المجيد عابدين ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الثانية سنة

١٣٨١هـ / ١٩٦١م

النويرى (ت ٧٧٣هـ / ١٣٧١م) : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب .

٢٤ - نهاية الأرب فى فنون الأدب ، ج٢٧ ، ٣٠ ، مخطوط بدار

الكتب المصرية ، معارف عامة رقم ٥٤٩

ياقوت (ت ٦٢٦هـ / ١٢٣٠م) : الامام شهاب الدين أبو عبد الله

ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى .

٢٥ - معجم البلدان ، ٦ مجلدات ، دار صادر للطباعة والنشر ،

بيروت ، سنة ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م

اليعقوبى (ت ٢٧٢هـ / ٨٩٥م) : أحمد بن أبى يعقوب بن جععر

ابن وهب بن واضح الكاتب العباسى المعروف باليعقوبى .

٢٦ - تاريخ اليعقوبى ، ٣ أجزاء ، مطبعة العزى ، النجف ،

العراق ، سنة ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م .

ب - المراجع العربية الحديثة

• ابراهيم على طرخان : (دكتور)
٢٧ - دولة مالى الاسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،
سنة ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م .

• أحمد شلبي : (دكتور)
٢٨ - موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية ، ج٦ ،
مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة الطبعة الثانية ، سنة ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .

• أحمد فخرى : (دكتور)
٢٩ - مصر وافريقيا فى العهد الفرعونى ، مجلة نهضة افريقيا ،
السنة الأولى العدد الرابع ، فبراير ، سنة ١٩٥٨ م .

• يتشر : أ . د .
٣٠ - تاريخ الأمة القبطية ، ج٣ ، القاهرة ، سنة ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م .

بوركهارت :

٣١ - رحلات بوركهارت فى بلاد النوبة والسودان ، تعريب فؤاد
اندرائوس ، نشر الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ،
سنة ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م .

توماس ارنولد :

٣٢ - الدعوة الى الاسلام ، ترجمة د . حسن ابراهيم حسن ،
د . عبد المجيد عابدين ، اسماعيل النحراوى ، مكتبة النهضة المصرية ،
القاهرة ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م .

حسن أحمد محمود : (دكتور)

٣٣ - الاسلام والثقافة العربية فى افريقية ، دار الفكر العربى ،
القاهرة ، سنة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

٣٤ - دائرة المعارف الإسلامية ، تعريب ، ابراهيم زكى خورشيد
وأخرون ، طبعة دار الشعب ، مصر ، بدون تاريخ .

زاهر رياض : (دكتور)

٣٥ - مصر وافريقيا ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة
الأولى ، سنة ١٣٩٦ هـ / ١١٧٦ م .

٣٦ - الاسلام فى اثيوبيا ، دار المعرفة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ،
سنة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .

سر الختم عثمان على :

٣٧ - العلاقات بين مصر والسودان فى العصور الوسطى بين القرنين
الثانى عشر والرابع عشر ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القاهرة ،
سنة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .

سيدة اسماعيل الكاشف : (دكتور)

٣٨ - مصر فى عصر الأخشيديين ، القاهرة ، سنة ١٣٧٠ هـ / ١٩٥٠ م .

الشاطر بصيلى عبد الجليل : (دكتور)

٣٩ - معالم تاريخ السودان وادى النيل ، القاهرة ، الطبعة الأولى ،
سنة ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م .

٤٠ - تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، الهيئة المصرية
العامة للكتاب ، سنة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .

عبد الله حسين :

٤١ - السودان القديم والجديد ، القاهرة ، سنة ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٥ م .

٤٢ - السودان ، من التاريخ القديم الى رحلة البعثة المصرية ، جزءان ،
القاهرة ، سنة ١٩٥٤ هـ / ١٩٣٥ م .

عبد المجيد عابدين : (دكتور)

٤٣ - تاريخ الثقافة العربية فى السودان منذ نشأتها الى العصر الحديث ، مكتبة الفنانجى ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٣ م .

٤٤ - دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى النيل ، بحث ضمن كتاب البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م .

عبدہ بدوى : (دكتور)

٤٥ - مع حركة الاسلام فى افريقية ، القاهرة ، سنة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م .

عطية القوصى : (دكتور)

٤٦ - محاولة العرب والمسلمين كشفت منابع النيل فى القرون الأولى للإسلام ، بحث فى كتاب العرب و إفريقيا ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

عمر رضا كحالة :

٤٧ - معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، خمسة مجلدات ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

كولين ماكيفيدى :

٤٨ - أطلس التاريخ الافريقى ، ترجمة مختار السويفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

٤٨

محمد عيسد الرحيم :

٤٩ - محاضرة عن العروبة فى السودان - القيت ببعهد البحوث والدراسات الافريقية بالقاهرة .

(الم . ١٩)

محمد عرض محمد : (دكتور)

- ٥٠ - السودان الشمالى ، سكانه وقبائله ، لجنة التأليف والترجمة والترجمة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٧١هـ / ١٩٥١م .
- ٥١ - الشعوب والسلالات الأفريقية ، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، سنة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م .

مدثر عبد الرحيم : (دكتور)

- ٥٢ - الامبريالية والقومية فى السودان (١٨٩٩ - ١٨٥٦ م) ، دار النهار للنشر ، بيروت . ١٣٩١هـ / ١٩٧١م .

مصطفى محمد مسعد : (دكتور)

- ٥٣ - الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى ، الأنجلو المصرية ، سنة ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م .
- ٥٤ - سلطنة دارفور ، تاريخها وبعض مظاهر حضارتها ، بحث فى مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ١١ ، سنة ١٩٦٣م .
- ٥٥ - امتداد الاسلام والعروبة الى وادى النيل الأوسط ، بحث فى المجلة المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٨ سنة ١٩٥٩م .

مكى شبكة : (دكتور)

- ٥٦ - مملكة الفونج الاسلامية ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ، سنة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .
- ٥٧ - السودان عبر القرون ، دار الثقافة ، بيروت ، سنة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .

مونسينجر بك : (مدير عموم مديريات السودان الشرقية)

- ٥٨ - رسالة جغرافية تتعلق بالكلام على ما تيسرت معرفته الآن من بلاد السودان . تعريب يعقوب صبرى ، مطبعة المدارس الملكية ، القاهرة ، سنة ١٣٩١هـ / ١٨٧٤م .

٥٩ - الموسوعة العربية الميسرة ، دار نهضة لبنان للطباعة والنشر ،
بيروت ، سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

نعوم شقير :

٦٠ - تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ا جزءان ،
القاهرة ، سنة ١٣٢١ هـ / ١٩٠٣ م .

نعيم قداح : (الدكتور)

٦١ - أفريقيا الغربية فى ظل الاسلام ، مراجعة عمر الحكيم ،
مكتبة أطلس ، دمشق ، بدون تاريخ .

(ج) - المراجع الأجنبية

Arkell, A. J :

62 — A history of the Sudan to A. D. 1821, London, 1953.

63 — The history of Darfur 1200 - 1700 A. D. (journal of
the Sudan Notes and Records E . S. N. R) XXX II, part II, 1941
& XXX III, part IV, 1942 .

Baddour, Abd El Fattah Ibrahim :

64 — Sudanese — Egyptian Relations, Martinus 1960.

Davies , R. :

65 — Economics and Trade . (in the Anglo Egyptian Sudan
from within by Hamilton, J. A) London 1933.

Evans Princhard, E :

66 — Ethnological Survey of the Sudan . (in the Anglo Egyptian
Sudan from within) . London 1935.

Hamilton, J.A :

67 — The Anglo Egyptian Sudan from within. AESW, London 1935.

Jacques Maquet :

98 — Civilization of Black Africa, New York, 1972.

Lamben, G. D :

69 — The Baggara Tribes (in the Anglo Egyptian Sudan from Within), , London, 1935 .

Lucy Mair :

70 — African Kingdoms, Oxford, 1979.

Mae Michael, H :

71 — A history of the Arabs in the Sudan, 2 Vol., Combridge 1922.

72 — The Coming of the Arabs to The Sudan .) in the Anglo Egyptian Sudan from within) London 1935.

Mandour El Mahdi :

73 — A short history of the Sudan, London 1965.

Parves , W. D. C. L :

74 — Som Aspects of the Northern Province. (in the Anglo Egyptian Sudan From wihtin) London 1935 .

Ried , J. A :

75 — The Nomad Arab Camel Brading Tribes of the Sudan (in the Anglo Egyptian Sudan from within), London, 1934.

Robert, W. July :

76 — A history of the African People, London, 1970.

Trimingham : J. Sa. :

77 — The influence of Islam upon Africa, London, 1968.

مجموعات الكتاب

الصفحة

مقدمة ٥

الفصل الأول

جغرافية دارفور وتاريخها القديم

(١٦ - ٤٧)

- ١٦ - جغرافية دارفور
- ٢٣ - موارد دارفور الاقتصادية
- ٢٤ - سكان دارفور - ديانتها
- ٣٤ - تاريخ دارفور القديم

الفصل الثاني

أسباب الهجرة العربية الى دارفور

(٤٩ - ١١١)

- ٤٩ (أ) العوامل التي ادت الى هجرة العرب الى دارفور
- ٤٩ ١ - العواجل السياسية
- ٤٩ ٢ - الأسباب الطبيعية
- ٣ - طبيعة موقع دارفور راحة العرب بها وأثر ذلك في هجرة العرب اليها
- ٧٠ ٤ - التجارة وأثرها في قدوم العرب الى دارفور

- ٨٦ (ب) مسالك وطرق الهجرة العربية الى دارفور
- ٨٧ ١ - الطرق القادمة من مصر
- ٩٦ ٢ - الطرق القادمة من ناحية الشرق
- ١٠٢ ٣ - الطرق القادمة من ساحل بر الزنج والسومال
- ١٠٨ ٤ - الطرق القادمة من ليبيا وتونس

الفصل الثالث

القبائل العربية المهاجرة الى دارفور

(١١٣ - ١٩٠)

- ١٢٣ (ا) القبائل العربية المهاجرة الى شمال دارفور
بنو جرار - العريقات - الزيادية - المحاميد -
المهريّة - الكروبيات - دار حامد - العريفية -
الجليدات - المعالية .
- ١٣٤ (ب) القبائل العربية المهاجرة الى الجنوب والجنوب الشرقي
لدارفور
الجبانية - المسيرية - الرزيقات - بنو هلبة -
التعايشة .
- ١٥٣ (ج) القبائل العربية المهاجرة الى شرقي دارفور
البديرية - المجانين - المعالية - الحمر - بنو عمران .
- ١٦٤ (د) القبائل العربية المهاجرة الى غربى دارفور
بنو حسين - بنو خزّام - عرب السّلامات .
- ١٧٠ (هـ) القبائل العربية المهاجرة الى وسط دارفور
البشير - الخوابير - بنو فضّيل - هواره - الهلالية .
- ١٧٨ (و) حياة القبائل العربية في دارفور
الحياة السياسية - الحياة الاقتصادية - الحياة
الاجتماعية .

الفصل الرابع

نتائج هجرة العرب الى دارفور

(١٩١ - ٢٧٠)

- ١٩١ اولاً - انتشار العروبة في دارفور
- ١٩١ ١ - انتشار اللغة العربية
- ١٩٥ ٢ - الأسماء العربية والكنى العربية
- ١٩٧ ٣ - الانتساب الى العرب

الصفحة

- ٢١٧ تانيا - انتشار الاسلام في دارفور
- ٢١٨ عوامل انتشار الاسلام في دارفور
- ٢١٨ ١ - هجره غير العرب من المسلمين الى دارفور
- الزغاوة - الفولاني - التكارنة .
- ٢٢٥ ٢ - احاطة الاسلام بمعظم جهات دارفور
- ٢٣٤ ٣ - تأثير الحج والحجاج في نشوء الاسلام في دارفور
- ٢٣٧ ٤ - طبيعة حياة العرب وطبيعة دارفور الجغرافية والبيئية واثرها في نشر الاسلام
- ٢٤٤ ثالثا - قيام سلطنة دارفور الاسلامية
- ٢٤٤ - مرحلة التهيئة : حكم التنجور
- ٢٤٥ - مرحلة الازدهار : سلطنة سليمان سولون
- ٢٥٥ رابعا - مظاهر الحياة الاسلامية في دارفور
- ٢٥٥ - انشاء المساجد والمدارس
- ٢٥٧ - قراءة القرآن وتعلم العلوم العربية والدينية
- اتباع الشريعة الاسلامية في الأحوال الشخصية والاقتصادية
- ٢٥٩ - قانون دالي ومدى تأثيره بالشريعة الاسلامية
- ٢٦٠ - التقليد بالألقاب الاسلامية
- ٢٦١ - تولي الحكم بطريقة اسلامية
- ٢٦٢ - الزي والملابس - الأعياد - الشعر
- ٢٦٥ - ارتفاع منزلة العلماء - الاتصال بالبلدان الاسلامية

الملاحق :

- ٢٧٣ - الخرائط
- ٢٨٣ - المصادر والمراجع
- ٢٩٣ - الفهرس

رقم الايداع بداز الكتب ٣٥٧٦ / ٩١